بسم الله الرحمن الرحيم وبه

اللهم يا من [illegible] عن ادراك سبحات جماله طرف عيون الناظرين ويا
من قصرت [illegible] البلوغ الى كنه عظمة جلاله عقول العارفين ويا من حارت
[illegible] عن نعت الناعتين ويا من ارتفعت صفات ملكوته [illegible] عن
وصف الواصفين ويا من لم تجد احلام الاعلام سبيلا الى كنه معرفته فما هو
في [illegible] كبريائه متحيرين ويا من لم يجعل لافهام الانام سبيلا
الى [illegible] في تنزيه صفته [illegible] تمجيد [illegible] متولهين ويا
من [illegible] سارقات ايماض الجفون وحركات السنة المخافتين ويا من يشهد هواجس
في الصدور وهمزات خطرات الضامنين ويا من عرف عليه باطن سرائر
ضمائر المضمرين ويا من احاط علمه بمكنون خواطر الظنون وعقد عزمات اليقين ويا
من شرف الذاكرين وشكر [illegible] الشاكرين ويا من انهج سبل الدلالة
عليه باعلام الهداية البينة على عباده الموقنين ويا من ارشد القصد الى
طريق [illegible] وانارها للعارفين المستبصرين اسئلك برحمتك التي [illegible] بها المذنب
[illegible] المخلصين وبرافتك التي [illegible] بها المراد [illegible] الموقنين ان
[illegible] سوابغ رحمتك على المتعبدين [illegible] نوادر نعمتك على [illegible]
[illegible] بوالغ نعمتك على [illegible] وابين وحيك الذي استغاث به [illegible] الحق
والطهارات [illegible] صفات العدل [illegible] البعث [illegible] كما لنا لدى

[illegible] هدى للمتقين ونورا للمستضيئين وشفاء للمتحيرين وسلم [illegible] التي
جعلتها ابات [illegible] وعظة للمتعظين [illegible] لقوم عابدين عبدك و
رسولك الذي اصطفيته من طينة الكرم وسلالة المجد الاقدم حين ادم
بين الماء والطين حبيبك وخليلك الذي انتجبته من ذوائب العلياء
الفاخرة [illegible] الضياء الباهرة رحمة للعالمين [illegible] الكريم [illegible]
الصادقة [illegible] الماخوذ [illegible] على لسان [illegible] المشهودة [illegible]
المحمودة [illegible] المشهور [illegible] في السموات والارضين [illegible] المجرمين
وشفيع المذنبين [illegible] سيد الاصفياء وسند الاولياء وامام
المرسلين [illegible] الخاطئين [illegible] المخلصين وشهيد النبيين
يوم الدين ابي القاسم محمد الحميد المحمود الاحمد الامجد الامين المصطفى
من جميع المخلوقين [illegible] الغابرين والماضين واشرف الاولين والاخرين
[illegible] المرسلين [illegible] النبيين [illegible] في الاميين يتلو عليهم اياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
[illegible] الصديقين [illegible] النبيين وابهى [illegible]
[illegible] من الشجرة الطيبة العود المعتدلة العمود
الواسعة الجود [illegible] الصعود الباذخة
السعود [illegible] المشهود [illegible] الفضول [illegible]
[illegible] العظام الجميلة [illegible] الكريمة [illegible]
[illegible] الاغصان [illegible] الباسقة الفروع على [illegible]
[illegible] الانامل [illegible] في كل حين [illegible]
الذي [illegible] امواج [illegible] الهائجة [illegible] امواج
البحر [illegible] الواسعة واذا ذوا بل النعم [illegible]
في [illegible] العذاب [illegible] على ظهورهم [illegible]
[illegible] على [illegible] في [illegible]
[illegible] امواج [illegible] بعد [illegible] امواج [illegible]
[illegible] كرامة [illegible] بعد [illegible] النعم بعد
[illegible] في مقام [illegible]
[illegible] النعيم التي [illegible] المتقين [illegible] في [illegible]

الذين جحدوا وابوا لم يوفق من طاعته وانس قرابته وحميته بوا بتعقيبه على اعقاب
دهورهم من اثار الايمان وطمسوا من اعلام العرفان بتجنبهم عن دليل الرشد و
تنكبهم عن سبيل القصد الى مجهل الذين قالوا انا للناس منار الهداية واقدم
من نبا بالعناية والجاهم من ساد العصابة وتعتصم طرائق الدار الرجى الحتم
بالصالحين وجعلهم منه ثم نوره وجعل لهم لسان صدق في
الاخرين اصبحوا بنور الهداية الذي دلهم عليه ظاهرين ظاهرين وبالحج التي
اتاهم بها مفلحين منجحين اللهم فصل عليه صلوة زكية تطلع من الترقي صلوات
المصلين وتدوم بدوام الخيرات المحبين صلوة ترفع بها درجته وتظهر بها
فضله وتبين كما بلغ رسالتك وجاهد في سبيلك مؤيدا بالملائكة
المسومين وحمى دينك وحفظ عهدك وانفذ امرك رحمة للمؤمنين و
حجة على الكافرين وكما انار بك ابطال [illegible] حتى وضح ما اغلق و[illegible] ما
فتق حتى علت كلمتك وظهر دينك على كره من المشركين واحيا الحق و
اباد الباطل واضاء الطريق واوضح السبيل المستقيم اللهم و
اعطه من قربك الوسيلة وكرامة الفضيلة ما تعطيه اكابر ملائكتك المكرمة
المقربين وانبيائك المرسلين وخلفاء آله المطهرين اللهم ابلغ به اشرف
محال المقربين واشرف منازل المكرمين اللهم شفع له [illegible] شفاعة جامعة
المجرمين اذا وضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم وقيل
الحمد لله رب العالمين اللهم وصل عليه اكرام تشريف ملائكتك الذين
لا يستفلون عن تقديس محامدك وتسبيح ذكرك حتى ابن الاجابين وا[illegible]
مقام تعجز عنه انبياؤك المرسلون واولياؤك المخلصون وتفرده
بالمقام لم تجعل لاحد من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
اللهم وابرز لصلواتك الطيبات وبركاتك الزاكيات وتحياتك العطرات
النابتات على صنوه وسنده ووصيه الانجب المختص بكرامة اخائه
بغاية خصوصه وحامل لوائه من جميع الانصار والمهاجرين ومستفيض المراتب
التي فاق بها اماثل الاماثل الفائقين وفخام كرام السابقين خليفته على
امته من بعده بالنص القاطع المستبين النائب منابه الى منهاجه [illegible] القاطع
الموصل الى المراد [illegible] عما حق له [illegible] بها جميع
المستفيدين والمستنيرين [illegible] الوصية الدال على

الذي جاء به من عندك
مشرقين وبعض العقلي

بالحق

كلامه معجزاته على الجاحدين المستبصرين امينه المأمون وخازن علمه المكنون وصاحب سره
المخزون مشيد دعائم الوثقى وموطد مبنيه المتين حارس ملته السمحاء من تحريف
المفسدين وحافظ شريعته الغراء عن انتحال المبطلين باب مدينة علومه واثاره
الناصحة لصدور الموقنين مفتاح خزائن حقائقه وكاشف اسرار المصون
عن [illegible] وصباح المستضيئين بنبراس معالم كتبه [illegible] من مجالاة مراصد [illegible]
[illegible] مظاهر لطفه وتفهيم اللدين [illegible] تمييز الغث من السمين الذي جلى
محجته بالبيان عن شبه الملحدين على تنبيه الناقبة الى الحق [illegible] مخرج
الكرب عنه ذب حمايته في كل حين الناطق بحجته لخاصم الجاحدين الذين جعلوا القرآن
عضين مروج مطلوبه ومقرب محبوبه في انظار الناظرين مسهل مخلوبه ومبعد
سلوته عن رغبة الراغبين محقق مرغوبه ومخرج تقويمه ارغام النبهرين الذين
كانوا عن اليمين وعن الشمال عزين سابق الذين في قطع اكباد المذبذبين و
قمع رؤس المتحكمين وليائه الطولى في التعبير عن مهامه المبين وتمكن
كياد خصماء الذين [illegible] عن قول الحق مستهزئين ساعي الاطول
في ابرها فسطنة الحق واستعراف شبه المعاندين وكاهله الاثقل في حمل
اعباء الوحي الهابطين والصاعدين ساعي الاثر في ارغاد الساهدين و
الناهدين [illegible] ذلك بما [illegible] ومعاضدة الامثل في تنبيه الهاجدين و
ايقاظ الراقدين عن غفلة القاعدين والواردين [illegible] في النجاح ما فك
عن عنق المعاندين [illegible] في قمع [illegible] الحاسدين ونصيم شوكة
المارقين المشارك له فيما خلا النبوة من المناقب السنية الى [illegible]
[illegible] ابدانها [illegible] اعلام العارفين [illegible] المآثر العلية التي حسرت
دون البلوغ الى ادراك [illegible] مشاعر الواصفين ومواسيه في
ضنك [illegible] وسعة الرخاء وركوب [illegible] ونزول الاعباء و[illegible]
الاكابر البادلين [illegible] عند هجوم الهموم النازلة من كيد الكائدين
النائبة [illegible] كلما [illegible] العمود الواردة من بغي الحاسدين ذابا
[illegible] الخارق [illegible] الملحدين [illegible] الى
[illegible] الحكمة البالغة [illegible] المبين [illegible] الادنين
الانزع البطين [illegible] الانصار وصفوة [illegible] المهاجرين [illegible]
وسيد الوصيين وامام المتقين ويعسوب [illegible]

الخاتم النبيين وآله الكرام وصحبه أولي الحجة البالغين الذين دعت بهم المباهلين وجعل
من خاتمهم الزمخ الأبين زمام الإسلام ونظام الإيمان وعز الحق وعون المعينين
بمنزلة العلم وموت الجهل وسرور المؤمنين وغيظ المنافقين وأكرم رابعة
الذين وحاز من سابق اليقين كما بحجها وبين رافع آثار الأباطيل وقاطع
أصار الأضاليل السالكة من أغترتها إلى العذاب المهين الذي كسر جناح
تلاح الملحدين في إعلاء كلمة الدين ونشر رياح رواح الموحدين في طي
أهوية الضلال المبين المنشر جناحه في قداح المؤمنين تجليك لنا لعمر
على من ذرأت وبرأت في العالمين وجعلك المفروض طاعته على الخلائق
أجمعين الذي لا ينتظم أسباب طاعتك إلا بالتمسك بعروته الوثقى ولا
يرتفع أنصاب عبادتك إلا بالاعتصام بحبله المتين فضلا دخل أسرار
الذين يسلو محبة الزين ونيران توارد أنوار اليقين بعلو محبة الزكي
الكرار غير الفرار عن نضال الجاهل المنجعات وقتال الأبطال المنابذين طلائع
الأنجاد والأعوان بعزمه الفاخر وقسيم الجنة والنار بحوزة الباهر يوم ينفخ
في الصور ففزع من في السماوات والأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين
مخضب دموع الأبرار بنور علمه المحيط بالعارفين والعارفين بجزيل جموع
الأخيار بالميثاق المأخوذ عليه من سيد الأولين والآخرين المثيل المحضر
غدير كربلاء لسابق وترادف الحجاج وحضر الأمتين المسؤولين ولا بنيه في
لحود الأحقاف وبطون الأرضين الذي بهم تنال سعادة السعداء وشقاوة
الأشقياء وإليه إياب الطالحين والصالحين وعليه حساب الخاسرين والراجحين
إن في ذلك لآيات للمؤمنين مظهر العجائب التي طارت عند شهودها عقول
المتحيرين مظهر الغرائب التي جهت في فضاء إثباتها أحلام المتبحرين كرفع
الصخرة العظيمة عن القليب حين توجهه مع جحفل من أصحابه العطاش إلى صفين
وكمخاطبته الثعبان على منبر الكوفة بمحضر أفنان من شفار الأنصار والمهاجرين
والتابعين وكقلعه باب خيبر الذي عجز عن إعادته رجال من الأقوياء البالغ عددهم
إلى السبعين فاصم شوكة عباد المعتدين بخطبه القوي وكسر المنبر ناصم جند
أنصار المهتدين حصن الغيرة والطف المبين جارح ضمائر المذنبين في نهاية
الاجتهاد عن الطريق المبين شارح صدر المسند بين الحق ناص الحكمة وخطاب
اليقين رافع معالم عز أوليائه المتقلدين جارح معاطس حساده أتباع الجاهلية

قائل الأولى الجبارين غارس صفوف الحشار بن مخزي صنوف المتمردين مراغم أنوف
المتكبرين سيلك البادي والسالك الهادي إلى النمط الأوسط الباذل ما تنقطع الآمال
لكلالة كبر أبيه عطفك النبي على كل معاند وقد نبي وسطك القوي على كل غادر
شقي وحصار وعصى وحبيب الحبيب مجاهد الناكثين والقاسطين و
المارقين حتى الحد وأعلى الدين وأزال الحق عن موضعه الحسين دحرجوا
بمجامر المجاهدين وقتعقبوا عليهم الأرضين وفرقوهم عن قوائم المكين
المتكلم عليه يوم الغدير بأمير المؤمنين أمينا لا إمرة رسولك
الصادق الأمين حيث أمرته بذلك نص من حضرها الكريم لا أيد المؤمنين
وأصناف المسلمين إذ ولكلا العصمة الواقية من فتنة أعداء النعمة
الباقية دهم الفاجرين بقولك يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من
ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله
لا يهدي القوم الكافرين يوم ثبت على الحق من ثبت من الشاكرين الشاكرين
وأهلك من أهلك من أشقى الخاسرين فنطق ناطق من الكاشحين ونعق
ناعق من الناعقين وأنشد حقوق العاشقين واشتد غيظ المارقين وقع
الأذعان من طائفة باللسان المبين من عقد الجنان البارع من ضعف اليقين
ومن طائفة باللسان دون حقائق الإيمان المضمر وكاظمهم في الضلال
المبين ومنادهم في الكفرة المهينين إنهم كانوا قوم سوء فاسقين فاستمر
حسد الحاسدين واستقر مرود المارقين وازدادوا لعد ذلك مجحجة شادخ
ثم نكثهم بعد إتمام النعمة وإكمال الدين أولئك لهم عذاب أليم وما لهم
من ناصرين فقام بالأمر وأنس بالقسط حين قتل القاسطون من الأفنداء
إلى شعائر الإسلام العادلون عن معالم العدل الحاملون بمراهم الدين الذي
لا يعرفون الحق من الباطل لا يميزون الغث من السمين وتطلع كلما تشعشع
المتحاملون بكلام من زخرف هجين عند تكثر الوقائع وتجدد الحوادث في
أثواب الناكبين مغرب عن حكم الرسل رب الرسل دحمقهم الذين وعتا أذكر
في حوانهم مند بسين من الطاعة ورسوم الجاهلية وإبادة شعائر من
المسلمين وإضاعة حقوق المؤمنين وإشاعة الأباطيل الهادمة لأساس الحق
المبين مشابهين أصنام البدع المدخولة التي كانوا لها عابدين وقذف الحق
على الباطل فدمغه فإذا هو زاهق ولهم الويل مما يصفون فغلبوا هنالك

وانقلبوا خاسرين وتقطعوا أمرهم بينهم ثم نكسوا على رؤوسهم فجعلهم الأخسرين وما
يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين أولئك جزاؤهم أن
عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ربنا آمنا بما أنزلت و
اتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اللهم وصل على الدرة الزاهرة
الفاخرة الصديقة المعصومة الطاهرة محتد المآثر الباهرة الزاهرة
محتد المكارم الناطقة الطاهرة بضعة فلذة النبيين وكفو سيد
الوصيين قرة عين الرسول فاطمة الزهراء البتول سيدة نساء العالمين
وأم الأئمة الطاهرين التي رضاها من أنجح الوسائل إلى رضا الرحمن فاز
بما كان من المحسنين وسخطها من أهل الله إلا على سخطك لقائد إلى
النار التي أعدت للكافرين اللهم وصل على كاشف معضلات الحق صارف
موبقات الإثم قالع أكام البدع والفتن رافع أعلام الفرائض والسنن السالك
بالحائط والناد على أقصى سنن أبي محمد الزكي الحسن صاحب المناقب التي
لكثرتها عن وصفها الألسنة منح الناصبين تراكيب المناصب التي كانت عن كشفها
أنبئه عين المادحين اللهم وصل على رب الفضل فخر الملوين نور الخافقين
ضياء الفرقدين الخارج عن محيط الأين وكاشف الغطاء عن البين أبي عبد الله
الحسين الذي تحت قبته دعوة الداعين وتنتهي المرضى ونوفي
الخائفين بما أوى جنة من البطن اللهم وصل على حبيب الصيد نفس
قدوة السبعين أنس المكرمين مقتدى المقربين مخرج كرائم الحور عن قلوب
المستشرين أبي محمد السجاد علي بن الحسين زين العابدين الذي نطق بالمناسبة الحق
بلسان عربي مبين بمخصوصيات استمع إلى استنطاقه من رتب المستبصرين اللهم
وصل على مهذب صحف البواطن والظواهر منور سبل المكارم والمآثر بمهامه
أصناف المناقب والمفاخر سناء أعلاق المحاكي لمظاهر المخرج من حجة
السلام على لسان جابر أبي جعفر محمد بن علي الباقر علوم الأولين والآخرين لا في
سرائر العارفين والعارين اللهم وصل على مفتاح كنوز المعارف والحقائق
مصباح رموز الشرائع والدقائق بحار بوارق المصادق ومحيي النافق مقلاد
معالي المعالي بمثل البارق مفرج كل غريب سابق ومهذب فائق أبي عبد
الله جعفر بن محمد الصادق الذي تحيرت عن عقل سامع العارفين اللهم و
صل على محيي أعلام المحاسن ومجدد المكارم قطب رحبة الأكارم ونحر

عقول الواصفين
وحسرت عن حصر مناقبه
افهام اعلام

غرر الأكارم رابع أئمة لمعات العظائم والجرائم واضع أسرار حكمه السلاسل
الدنيا ثم جمال الخليفة وزين العالم أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم الذي شهد
بعلو قدره وسمو مجده جميع المعاندين من المكاشفين والمكاشحين لأنه غمر
فيه الأجنبين خدع المعاندين وردة الجاحدين اللهم وصل على سلطان
سرير الارتضاء برهان كرائم الاجتباء عنوان صحيفة الاصطفاء عارف
رموز المنع والإعطاء كاشف سكون الابتلاء والامتحان أبي الحسن علي بن موسى
الرضا الذي ذلت لعزه بحور ملوك المغرب وتصاغرت لعظمته قدر
جبابرة المتغلبين اللهم وصل على عسكر الأعوذ يحدا سبيل الرشاد
مرمي الإلحاد بسيف سلسبيل الإرشاد قطب الأبدال والأوتاد محيي
الأشراف والأمجاد دعائم أبناء الأذواج وأبناء الأمجاد أبي جعفر التقي محمد بن
علي الجواد الذي أفحم في عمائم سنه المتعنتين بما أتى قد ورد خالفه الملأ
وأخرس في عصابة عصبيته الظلم المترفين بالحجج في صدد رد حجاله المعترين
وجعله في محفلهم من الداحضين فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين
ومن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين اللهم وصل على الإمام [illegible] الكبد
الحزين ومحل أهل البلاد [illegible] بأسماء الأعادي لسابع النعم [illegible] المقيد
الراوي الشاهد بيسر قدره وعلو محل الأحباب والأعادي محيي آثار الأجداد
بحجة وهدايته يوم ينادي المنادي مجري أعمار المأخوذين على ترك ولايته حين
لا يخصمهم المخاصم والنادي أبي الحسن علي بن محمد النقي الهادي الذي [illegible] سداد
الدين حتى اتضح سبيل الحق واشتعر صباح اليقين وقطع دابر غوائل المبطلين حتى
أن المستيقنين من متابع هدايته بما [illegible] أن في هذا لبلاغا لقوم عابدين
اللهم وصل على [illegible] لا إذا العدو وأولى يوم الأخذ الوفي معاذ العائذ
والوفي عند البطل القوي النور الغدي المفاخر كل الأنبي الجوهر
الملكي المنوم عن العالب المنجي الفاخر بأثر العمل العلوي
والحسب النبي النوري العنبري أبي محمد الحسن بن علي العسكري الذي لا
بسائط [illegible] كرامات معاليه [illegible] أفكار المتفكرين ولا يبلغ كنه سمات
صفاته [illegible] معجزات [illegible] عقول المتعجبين اللهم وصل على [illegible]
الأئمة الأبرار بقية المصطفين الأخيار وارث [illegible] المنعوت بالانتظار
من كل صنو [illegible] حافظ الأديان [illegible] الأقدار [illegible] القادر [illegible]

اللهم انا الذي رفع معالم الدين بعد تبع شوكة المعتدين عليك وعلينا بآية الهادية
المهتدين وارث علوم النبيين ومغيث من الصفوة المنتجبين وسليل الذي رسخ
عمن هلك وضل وكان من العارفين عارفا بكل علم ووافقا بكل نعم ومحيي كل عدل
مبطل كل جور ومحق كل حق ومبطل كل باطل من اباطيل المضلين صاحب الكرة
المنتظرة بايدي المقتدين والقضاء المنسوب الى آل داود والمتابع من اظلته
الخضر والملائكة العشرة على ركوب الحجرة البيضاء باشراق نور هدايته الذي
لا جحود له ولا انطفاء كاشف كرب البلاء والاواء عن قلوب المسلمين في غيبته
بالفتن العمياء والمحن الدهماء الذي هو للخلائق امان وللحق امين
مجدد ما انمحى من معالم الملة واندرس من مراسم الدين مجدد ما تراكم
على ثغور المستضعفين منا فقد ارتع المتمردين بفناح اقلادن اكلان في
ممالك المملكتين ... انوار صفات الكرمتين محمد ي
الدعوة الباهرة التي بعث عليها الخاتم النبيين مذكر النطوع القاهرة
التي صدع بها امير المؤمنين من مواطن العظمة الزاهرة الفاطمية التي
لا كفو لها في العالمين معدن المكارم الطاهرة الحسنية التي حسرت
عن حصرها ... لسان المتطلبين مكمن الهمم الفاخرة
الحسينية التي تقاصرت عن الاحاطة بوصفها افهام اعلام المتبحرين
مجمع المناقب الباهرة السجادية التي نورت نجوم السموات في زينت
نجوم الارضين منبع المعارف الساطعة الباقرية المعربة عن خبايا
علوم الاولين والآخرين منبع الحكم البالغة الصادقية التي لا يدرك
عمقها الا اعاظم الصديقين مطلع الانوار الساطعة الكاظمية التي
بها قلوب ... مظهر الحجج القاطعة الرضوية التي اذعنت
لها طواغيت المتغلبين مخزن الاسرار البهية التقوية التي لا يستنبطها
الا من اختبره من المطهرين مستند المقامات العلية النقوية التي
كان بها القانتين مصدر الكرامات السنية العسكرية التي سبق بها
السابقين هو الذي بوجوده دارت السموات ثابتات لا تزول في كل
حين ولاجله ثبتت الارضون قرارها الملكين ولولاه طرفة عين لساخت في
ساخت باهلها فما كان لهم من فئة ينصرونهم من دون الله وما كانوا
منتصرين ... انه ... على ... من رقاب

الآلاء التي تقصر عن احصائها نهم العارفين بتليغك الذي افترضت طاعته و
التسليم لامره والكون معه والنصيحة له على الجن والبشر اجمعين الذي
يملأ الارض قسطا وعدلا ويوسعها رحمة وفضلا اسالك الجميع الاملين بعد ما
ملئت ظلما وجورا وجعلت بعد الكون جورا محيطا بالحداري ... الذ
مكبر ضراع الطماح جماح المتنا كلين بالتغلب على قطاع المتعدين و
مهدوم رباع خداع جماع المتصلين بالناس نطق مهج المستضعفين وذراع
المنكرين وانه الهدى ورحمة المؤمنين ونقمة على الجاحدين الذين
دوامر الحق مذرين كهف الاولياء وحصن المهتدين لعنا لاعداء وغيظ المعتدين
معاذ العارفين وملاذ العارفين موئل الموقنين ومفزع المتقين خيرة
الاخيار وصفوة الابرار وبقية الصديقين وسلالة النبيين الداحض
محجات الحق المبين الحجج الملحدين بحجبك التي تظل اعناقهم لها خاضعين
الذي اشرقت نور ظهوره المضيء لاعيان السموات واصقاع الارضين مجدد
استطارة العقول ونضرة النفوس من طوارق البلايا وبوائق الزمان بالكرة
على كرة الشهور ودهور السنين الذي يفتح حجاب ارتياب المرتابين ويجلو
سحاب اضطراب الحائرين يهدم جدار نفاق الحاسدين ويمحو نشأة نفاق الكافرين
بطرد عناد المارقين ويمرق كيد فساد الخائنين يشفي غيظ صدور
المؤمنين ويحيي كسير قلوب المنتظرين لمقامك المعلوم بما وعدت له من النصرة
والتمكين اذ تقول ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة و
نجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم
ما كانوا يحذرون بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين اللهم اجعلني من
الغالبين وشيعته الناصرين واعدائه في نار جهنم خالدين وتحيل عليهم
لعنتك وباسك ولا تجعلنا من المنتظرين اللهم اكفه بغي الحاسدين واعذه
من شر الكائدين واكلأه بكلاءتك من مكر الساحرين وعين الراصدين وكفاه
الكاهنين ما أخرت لنجز سبيلك من شر جميع ما ذرأت وبرأت من الجن والانس
المتحركين والساكنين واحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله
ومن فوقه ومن تحته واجعله من الآمنين وحصنه من كل في الحصنة واعز
ناصرين حصين وانقاعنه عيون الظالمين والطاغين واصمم عنه اسماع
السامعين والباغين اللهم وتمم على من ... له وده من عشيرته واقصم بريق

الضلالة ومنار دعائم البكم وحجة المبطلين اللهم انا نسألك بمحمد حقه و
اشهدك بامره واناد احمد ذكره وسعى في اطفاء نور المبين وانجد بسيفه نوائر
تسلط المتسلطين وانح بعدله دوائر تغالب المتغلبين واذل بقهره نوادر تعزز
المتعززين اللهم جدد به ما درس من حدودك واحكامك حتى تعود دينك
به وعلى يديه جديدا غضا ويمحق الباطل نقضا ويمحض الحق تمحيصا
من بدع المبتدعين لا شك فيه ولا شبهة تعتريه ولا باطل عنده ولا زيغ معه
مخلصا من اجلاب المتجلبين اللهم نور باسفار صباح حضوره دواجي
هواجس دياجير الناكثين واذهب باشراق انوار ظهوره دياجي
همهمات خطرات اشباع المارقين ونشر المؤمنين اللهم ازجر عنه
خشن الجائرين واصرف عنه نفث النافثين وادفع عنه بحر الناجين و
اهلك كل من ناواه واركس كل من عاداه وانكل كل من نكث ما لك
حبل الماكرين اللهم اوهن قوى اعدائه وافلل حد الناكثين عن طريق
ولائه وخذهم باخذك الوبي وادمهم سطوتك القوي وانزل عليهم
باسك الشديد الذي لا ترده عن القوم الظالمين واقطع بحكمتك عن
اسماعهم وابصارهم واطبع على قلوبهم وقلوب انصارهم واعمهم
بذنوبهم وذنوب كل من اغمض باصرارهم حتى تاخذهم الرجفة فيصبحوا
في دارهم جاثمين اللهم شرف بنيانه واعظم برهانه وافلج حجته
وارفع درجته فوق درجات اصفيائك المقربين اللهم اجعلنا من اهل
شيعته الراشدين في هداه المؤمنين والمطيعين في غيبته وشيعته وذريته بما نعتز به
عيون اوليائك المكرمين اللهم صل عليه وعلى آبائه المعصومين صلاة تفضل
على فواضل صلوات الفاضلين وتعلو نسمات صفاتها على ذلك خطرات
الكاملين ولا تسلبنا لطول الامد بما ادت له من الغيبة والابتعاد
عن هيبته الانتظار وشمول الغيبة واخفاء الاثار زيادة الاصطبار و
حلاوة اليقين واجعلنا لغدا فرق الارض يوم حضوره الانتصار
من كل خبث فساد ولئيم كفار بامره قوامين وتصديق شائعة مكرمين
وبحبس اطاعته فائزين وبين يديه مستشهدين اللهم ان هؤلاء
ائمتنا وسادتنا وقادتنا وكبراؤنا وشفعاؤنا وسادة التابعين معادن
العلم ومساكن الحلم ومواطن العدل ومعالم اليقين خزان الوحي و

ولاة الامر واركان التوحيد ودعائم الدين سلوى جنان المؤمنين وامان الحيران
المتحيرين وزمام ايمان المؤمنين صدور مجالس عبادة العرفاء السالكين ومراتع
علوم اعلام العلماء الراسخين فوطن حكمهم وختم عنه من فات حلاوة الذي هنا اتاه
كلمات المتقين ذلكم تلم وحرم فيه من شرب بكاس من النصح تعين صفاء
لدى الشاربين نطقهم نجاة للصديقين ودعوة للسالكين وعلم المؤمنين
ترجمة الشاكرين وصمتهم حجة للمتعظين واية المتوسمين ووزر المتحوبين
وجنة للصابرين ان نطقوا نطقوا بما الحق قلوب المستمعين ونجى ارواح
المحتملين وان صمتوا صمتوا عن حق مضيع لئن كشفنا الغطاء عنا بقيت اللهم
اني اشهدك واشهد السموات والارضين وجميع ما فيهما وما بينهما من
صنوف المخلوقين وكفى بك شهيدا عن كافة المربوبين ان هؤلاء الائمة
النعمة المحبين المصطفين من العالمين خلفاؤك المفروض طاعتهم
على الجن والبشر اجمعين المحتوم اتباعهم في قضائك السابق على ما بدأت
خلق آدم من طين وان موالاتهم والانتصار بهم بمنزلة السعداء من الشقاء
والاعداد من الاشقياء والمؤمنين من الكافرين وان ما الكوثر ينعم والتنعيم
لم يعرف الحزن بين المحسنين وهنا المحك من الطالحين والراجحين
من الخاسرين لن يدخل الجنة الا من عرف له العبادة واحد من الغطاء
نعرفهم ويعرفون من المستبشرين ولن يدخل النار الا من جحد لهم العصمة وحرمة
الشكر فانكرهم وانكروه من المستفيدين لقد فاز ونجا وظفر وانتصر
كل من تمسك بهم ولجأ اليهم من المهتدين وضل وغوى والحد وكفر كل
من عاداهم ونكث عليهم من المنصبين الذين غرهم الحيوة الدنيا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين واشهد انهم اولياء نعمتك على البشر في
ورسائل رحمتك على المرحومين وولاة سبل منهاج القصد الاقرب لدى
سادات نور البصيرة المستبصرين امروا بطاعتك سرا وجهرا ونهوا عن معصيتك
سرا وجهرا فان كل من صدعوا بامرك واعلوا كلمتك ونصحوا العباد في
الاقربين منهم والابعدين وان تلك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة
فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اللهم واني اشهد
ان ولايتهم تقبل اعمال العاملين وتزكي اجتهاد المجتهدين وتضاعف حسنات
المحسنين وتمحو سيئات المسيئين فمن والاهم واعرض عن اعدائهم فلك

أعماله وصلحت أفعاله وصدقت أقواله وبدلت سيئاته حسنات وهم في
المفلحين الفائزين وذلك الفوز المبين ومن عدل عن ولائهم واستبدل
بهم غيرهم لم يقبل منه صرف ولا عدل ولم نقم له يوم القيمة وزنا وباء
بغضب من الله وكان في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين واشهد انهم
عيبة علمك المكنون وخزنة سرك المخزون وحملة كتابك المبين ومحال
معرفتك التامة ومساكن بركتك العامة وولاة الامر واعتصام حبلك
المتين ومعادن مكارم الابرار ومفاتيح اثار الاخيار وسلالة اعاظم ٣ المكارم ٢ معادن
النبيين الولاة الهداة الكفاة الحماة حجزة المتقين الفخام العظام
الفخام الكرام [illegible] ذروة الموقنين اصول شامخ الماجد المعدلين ودعائم [illegible]
حجاج المفضلين ومفاتح حصون الجهالة الدامغة لصولات [illegible] الى
المبتدعين معالم الدين ولامع البطالة القاطعة لادبار [illegible] اباطيل [illegible]
بهم انقذت عبادك من ضيق الجحد والين وعصمتهم من سقطة المغرورين
وبهم اثبت بلادك نور الايمان وعمرتها بدعم الاطمئنان وجعلت
سكانها من الاذلال امنين لا نحجب ضياؤهم ولا تظلم اضواؤهم ولا
يوضع شانهم باذبار المدبرين ورفض الرافضين لا مودة [illegible] كرامهم
ولا عرج على [illegible] ولا تعتبر في شانهم لاحد من القائلين [illegible]
الحاضرين [illegible] نحوهم افئدة اعتبار المعتبرين و[illegible] اليهم ازمة
ابصار المحبين بعد ما احاطوا خبرا بما لديهم من اخبار [illegible]
كانوا مستبصرين وبعد ما قلبوا اثار المستبصرين [illegible] فطالوا في
الزيادة على انصارهم مستنصرين اللهم صل على محمد خاتم انبيائك المرسلين
وخيرة اصفيائك على جميع العالمين وصل على اهل بيته الغر المعصومين
واسباطه الاحد عشر المنتجبين وعترته خير عترة الصديقين السابقين
واسرته خير اسر المقربين التابعين [illegible] دينك المبين الاخذين
بعنان الحافظين لاذكار [illegible] الجاهلين و[illegible] كتابك المبين العارفين
متشابه بيان المتفردين [illegible] المتناهلين وخلفاء سبيلك الابين
الناطقين ببرهان القائمين بابانة الايتين الذين لهم خصائص [illegible] الولاية
على كافة المخلوقين وفيهم الوراثة والوصاية الحق من المبدأ اليهم ومنهم الى المآل
ودينهم الحق [illegible] من المفرطين والمفرطين [illegible] والنوء [illegible]

على المرتضين وتابع بين العفوة والمرفة المرويين المستغفين لا انقاض [illegible] من كل الجحد دونهم
للجحد في العالمين ولا يتوقى بهم من خرجت نعمتهم عليه ابدا لو كان من التاكرين
مات بفضلهم الجهل ميتة معصية على غشوة الجاهلين وعاش بنورهم العلم
عيشة مرضية لرخوة الجاهلين [illegible] تواصوا عن غاية التاديين [illegible] واعيو
بحاسة التاديين [illegible] واصغوا [illegible] المضلين [illegible] اخرة صلح بابه
اباء المفترين حتى اقاموا قناة الحق واناروا [illegible] اليقين نفوسهم مكان [illegible]
اسرارك المطهرة من [illegible] المضنون بها عن المتكلفين في
قلوبهم [illegible] الا [illegible] الامن اكنته [illegible]
الفؤاد من المتحرفين [illegible] الهدى [illegible] الضلالة و
الغواية حتى لم يبق متعذر للمعتذرين [illegible] اعين الجهالة والعماية بايدي
النبوة والوصاية حتى لم ينصر [illegible] امام ولا [illegible] الكواكب [illegible]
البازغة من [illegible] العناية لا [illegible] الاولى
المكونية الفائضة على الهياكل العنصرية [illegible] الذكر القدسية
المثمرة للسعادة الابدية الباقية [illegible] هم الذين لولاهم لما برز
[illegible] الوجود [illegible] العدم ابد الابدين ولما نبع ماء الرحمة من [illegible] الكرم
دهر الداهرين ولو ان كل المخلوقين من الملائكة والجن والادميين يكونون
[illegible] ومناسبهم بمداد البحار واقلام الاشجار على الواح الافلاك في
صفحات الاقضية لما احصوا عشر عشر [illegible] من [illegible] مواهب
اليهم [illegible] ما [illegible] من [illegible] عليهم بمرور الدهور
وكرور السنين اللهم صل على محمد خاتم النبيين واهل بيته السادة الغر
القماقم الجحاجح الكبراء العظماء الانجبين الاكرمين ازكى صلواتك الطيبات
وانمى تحياتك الساميات وابهى بركاتك الناميات واسنى رحماتك
النازلات التي لم تنزل امثالها زكاء وطيبا وبهاء وسناء على احد من
النبيين والوصيين والشهداء والصديقين وصل عليهم صلوة تنظم صلوات
ملائكتك المقربين وتشمل صلوات جميع عبادك الصالحين من جنك
وانسك واهل اجابتك من المؤمنين وتجمع صلوة كل من ذرأت وبرأت
في السموات والارضين وما بينهن وما فوقهن وما تحتهن من المخلوقين
اللهم صل عليهم صلوة تحيط بكل صلوات المصلين والمتنفلين وصل عليهم

صلوة مرضية لك فيمن دونك من المصلين المفتحين منهم والانجبين المجهرين
منهم والمستبدين الناطقين منهم والمضمرين وصل عليهم صلوات تضاعف
معها تلك الصلوات عندها وتزيدها على كرور العصور ودهور السنين
زيادة في تضاعيف لا يحصيها غير علمك المحيط بمقادير اغماض الحقوق
وسرائر ضمائر المضمرين اللهم صل عليهم صلوة تجزل لهم بها من نحلتك وكرامتك
وتكمل لهم بها منحتك وعطاياك وتوفر عليهم الحظ من عوائدك وفوائدك
الى فائزيهم بها على جميع العالمين اللهم صل عليهم صلوة لا يدرك
حركات رجع الجفون وخطرات رجم الظنون وعزمات عقد اليقين
صلوة لا يقف عليها تغلغل افكار المتفكرين ولا ينتهي اليها توغل
اوهام المتوهمين صلوة لا يحيط بها تحتم اعتبار المتوسمين ولا يبلغها
بصائر انظار المحدثين صلوة بهية سنية جليلة جزيلة كاملة
شاملة مقبولة موصولة منتهية الى انقضاء آجالهم وتبقى ارواحهم
في اعلا عليين صلوة متصلة بالروح والريحان محفوفة بالنضارة و
النور ممنوعة عن قبول الانقضاء والنفود باقية دائمة عن الفانين
بدوام الداهرين اللهم قرب وسيلتهم ووفر حظهم واجزل نصيبهم
واكرم زلفتهم وتقبل شفاعتهم واعظم سؤلهم واجب دعوتهم للمستغفرين
اللهم اظهر بالحق قائمهم وانفذ عليهم مقالهم واتمم نورهم وادم سرورهم
وارفع درجتهم وابلج حجتهم وعظم برهانهم وشرف بنيانهم وثقل
ميزانهم على جميع الموازين اللهم العظيم مع كل ذي نعمة زلفة ومع كل
قربة قربة ومع كل وسيلة وسيلة ومع كل فضيلة فضيلة حتى لا يعطى
ملك من ملائكتك المقربين ولا نبي من انبيائك المرسلين ولا احد
من عبادك المفلحين الا دون ما انت معطيه ومما انا سائله من خيرات الخيرات
التي لا ينقصها الحاح السائلين والحاف الملحين اللهم ارفع سموهم
ونهاهم وصفوهم وعزز علمهم وتمجد شيخهم وعظم حججهم وحيزهم على حين
في مقام سرى بينا فمن بين اصناف السابقين واخصصهم بمنزل سنيع
ومجلس رفيع ونجاه وحبه ونسب خسيه ونظل لطائف وعطايا جزيلة وحباء جميل
ورزق مبسوط دار المغبوط غبطهم بدار الشرف المغتبطين اللهم صل
عليهم عدد كل حسن الكلم وكل شر ودق وكل نيران وكل غير اضواء

و لطف خفيه

وكل جبار اسنده وكل ضعيف قواه وكل يتيم آواه من ابنائهم المضطهدين وصل
عليهم عدد كل مسترحم رحموه وكل حامل علم حملوه وكل متفقه فقهوه وكل
مستبصر بصروه وكل حق نصروه وكل باطل طردوه وكل سائف بحجوده
في اعلاء كلمة الدين اللهم صل عليهم زنة صبر المجاهدين واخلاص
العابدين واستغفار الراكعين وقرب الساجدين وايثار المحسنين
وجزاء المحسنين ونعيم الشاكرين وصل عليهم زنة خشوع الخاشعين
وعلو الخاضعين ودرجة المتواضعين وظفر الكاظمين وحزن المتفكرين
وعزة المؤمنين وعز المؤمنين واجر الصابرين اللهم صل عليهم صلوة
اكثر من ذرات لحاظ اللاحظين وسقطات الفاظ اللافظين
وشهوات جنان الغافلين وهفوات لسان الناطقين وخطرات اوهام
الواهمين وهممات افكار الناظرين وصل عليهم صلوات اكثر من
حاجات طوائف المربوبين ولهوف صرخات المكروبين وكربات طبقات
المهمومين واحزان افئدة الملهوفين ونغمات حسرات الظالمين و
سطوات دعوات المظلومين اللهم صل عليهم عدد ما خلقت من الانام
وملكت من الرقاب وعدد ما نصبت من الحجوب وهدمت من الاحزاب
وعدد ما قدرت من العلل وسببت من الاسباب لنظام معاش الدنيا
وقوام صلاح الدين وصل عليهم زنة ما ارسلت من الرياح وانشأت
من السحاب وزنة ما كشفت من الغطاء وزنة ما حجبت من الحجاب وزنة
ما وعدت من الثواب واوعدت من العقاب لطوائف المحسنين و
المجرمين اللهم صل عليهم صلوات ارجح من ثواب تسبيحات اصناف الملك
السابقين المقربين المتكئين على سرر متقابلين يطوف عليهم ولدان
مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين ومما اعددت من سدر
مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة
لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة لاصحاب اليمين وصل عليهم
صلوات ازيد من سوابغ نعمتك على المخلوقين وبوالغ حججك على
المحجوجين وصوارف تفضلاتك على المسترشدين وعواطف رحماتك
على المسترحمين واصناف عوائد اياديك على المتوسمين والوان فوائد
احسانك على المستوجبين الذين لا يرغبون الى غيرك منك وحنينهم

السموات والأرض أبدت المتقين اللهم صل عليهم صلاة أنمى من شكر الشاكرين
وحمد الحامدين واجتهاد المجتهدين وحمد الحامدين وعبادة العابدين واخبات المخبتين
واجابات المجيبين واخلاص المخلصين أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم
مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين وصل عليهم صلاة أزكى من
المتقربين صلوات المصلين وتسبيحات المسبحين وتهليلات المهللين و
تحميدات الحامدين وتنزيهات المنزهين وتقديسات المقدسين الذين
يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم
عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين اللهم صل عليهم صلاة
لا يدركها الإحاطة الفهم ولا تحصر صلاة تحيا في تيار إدراكها جوانب
الوهم وتغرق صلاة أنور من أنوار النيرين وأحلى من أطباق الشفق
صلاة أضوء من إنارة القمر إذا اتسق صلاة زاكية إلى
درجات الجنان طبقا عن طبق واصلة إلى أعلى عليين موصلة
ذروة الزلفة لديهم في المستقر لا يمسهم فيها نصب وما هم منها
بمخرجين وصل عليهم صلاة تضاعف ضياء النهار كلما أنار و
أشرق صلاة تمطر سحائب منا بك بهم كلما أرعد وأبرق صلاة
تنزل سماء رضا لك بها فأمطرها غدق صلاة تنصب ذيل نار عدوهم
فأحكم دونهم صلاة ترشد إلى باهر مجدهم فتدعو دون صلاة
تحكم لمبادئ ما تدهم وترغم عناد من نازعهم ثم تمزقهم كل ممزق
وذلك جزاء الكافرين اللهم صل عليهم ما تعاقب الأيام و
تناوبت الأعوام وما خطرت الأوهام وتدبرت الأفهام وعقلت
الأحلام وما دبت الهوام وانتعرت الأنعام وما ارتفعت الأكام
ونبتت الآجام وما نطقت الألسن ونفقت الأنام وما تحركت النسماء
وسكن الرغام وما استقرت نطف الأصلاب في خواص الأرحام لما
قدرت من خلق البنات والبنين وصل عليهم ما اصطفت الأمواج في البحار
وما رعدت السماء وبرقت لنزول الأمطار وما نبعت المياه في تخوم
الآبار من مجاري الأحجار وما أورقت الأغصان وأثمرت الأشجار وما خرجت
الأنهار وانبعث الأنهار وما بزغ كوكب وأنار وما ادلهم ليل و
أشرق نهار ليتعب المنتسبون إلى نيابة بل ما علمهم وذلك أجلهم



ليرجعوا إلى النجاح آمالهم وإحسان لتحولهم وإنعام بالهم وإصلاح شأنهم مطيعين
وإلى تقبل سيئاتهم وترجيح أوزانهم وتعديل أركانهم وتسديد بنيانهم
مسرعين اللهم صل وسلم وبارك وتحنن على أرواحهم وأجسادهم على كل
حال وفي كل حين ما دامت كرور الشهور دائبة في إعادة الأيام والعادة
السنين صلاة تكل عن إدراك سبحات أنوارها عقول فحول العارفين
وتحول عن غاية صفات صفاتها وسمات ذواتها وصف وصفة الواصفين
اللهم أنزل الحتف العتيد ومقتك العتيد وأخذك الوبيل وسيفك
الحديد وبطشك القوي وبأسك الشديد على أعدائهم المعتدين وأرسل
غضبك الأبر وسخطك المبيد وكيدك المتين وقهرك الكبير وعذابك
الأليم وعقابك المجيد إلى الراصدين لإطفاء نورهم المنتسبين الذين
حرفوا آيات كتابك المبين وبدلوا شعائر دينك المتين وأولوا أيتام أعلامك
وذادوا كرام أوليائك من الأنصار والمهاجرين أولئك لهم عذاب مهين
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين اللهم العن الذين
شقوا عصا الحق وغيروا نظامه واتهموا رسولك وردوا عليه كلامه و
أنكروا وصيه الذي استخلفه وإمامه بأمرك مقامه وانتهبوا ما آتيته
من المجد والكرامة واستخفوا بمجده وأنعامه ثم نصبوا الهدم دعائم
دينك من أبطل كهنه وأظهروا إسلامه ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب
وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين اللهم العن الذين
تأولوا لنفسانيتهم ولاة أمرك ونهيك وعيبة علمك وحفظة سرك و
مظاهر لطفك ومجالي عزتك وعصم الأسم من نوازل سطوتك ونهيك وأنصار
نعمتك وآلاء رحمتك الذين جعلتهم بكرامتك فأثرب وباذل ذلك فاطين
اللهم العن الذين تعاونوا على كل نعمة أركان توحيدك وأنصار دينك
ووسائل قربك ودلائل تحصيل معرفتك وأبواب حكمتك ووسائط إحسانك
وذرائع إنسانيك على العالمين ودراهم وخلقك بلسان صدق جعلت لهم
في الآخرين ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه
أليس في جهنم مثوى للكافرين اللهم العن الذين خالفوا أمرك وأنكروا
وحيك بعد التبليغ والتبيين وغيروا حكمك الذي حق على قوانيهم
لإتمام النعمة وإكمال الدين وشقوا بما عصوك وعصوا رسولك عصا

للسائلين وتعرضوا دونهم شيعا فتاهوا في بيداء اغوائهم حائرين بائرين ولجوا في
طغيانهم عامهين أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
اللهم العن الذين أزالوا الحق عن قراره المكين وأخرجوه عن خطته الحصينة
نحو المؤمنين المخلصين عن منابع العز ومناهل اليقين وحجبوهم عن سبيل
الامينين واخرجوا بلا دليل [illegible] وحده الوقوف في غمرتهم حتى
الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وكانوا من الممترين
اللهم العن الذين عصوك وعصوا الرسول وجحدوا حق الخمس وغصبوا
ميراث البتول [illegible] ونهج السبيل وتمسكوا بحبائل الأباطيل وسلكوا
مسالك الضلال وقطعوا الى مصارع العدوان الذين بهم درست أعلام
شعائر الدين وبهم ماتت آثار [illegible] المفسدين بئس ما اشتروا به أنفسهم
أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده
فباؤوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين اللهم العن الذين [illegible]
الخلائق واطرحوا [illegible] الامانات وتوغلوا في الحجاب
عن [illegible] بما أودع [illegible] المزخرفة مع الكاذبين ونطقوا بآرائهم المغلوبة
جنب القلوب المائلين الى [illegible] الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم
من الجن والانس انهم كانوا خاسرين اللهم العن الذين رفضوا اتباع الثقلين الذين
من تمسك بهما لن يضل أبدا ولن [illegible] صلوات [illegible] و
منقطعات الحجج وعبدوا الأصنام [illegible] والمنن وقطعوا الأرحام
الأخيار [illegible] الى دار البوار [illegible] بما غشيهم [illegible]
وعليهم لعنات [illegible] إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في
الأذلين اللهم العن الذين هدموا دعائم الاسلام وغيروا مراسم الأحكام
أصروا بالجحود وأصروا وأتوا العقوق [illegible] الناصبين
[illegible] كانوا من [illegible] الصادرين المفسدين وجلبت
لقلوب السالكين وطلبت [illegible] القاسطين والله ورسوله أحق أن يرضوه
إن كانوا مؤمنين اللهم العن الناكثين المكذبين الذين كانوا يصرون على
الحنث العظيم [illegible] في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم
ثم إنهم لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه

من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين اللهم العن الذين نكثوا العهد
وقطعوا الإل وسعوا في إطفاء نور الحق وإنشاء الباطل [illegible] الأخيار
الأخبثين وحملوا الآثام [illegible] الأوزار ليحملوا [illegible] من الأيام كاملة
من [illegible] وحملوا [illegible] أولئك الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم
الخاسرون زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين اللهم
العن الذين عادوا رسولك الصادع بجليل النبأ الأنبياء والأبناء والأولاد
[illegible] المختار [illegible] الأصفياء من [illegible] وبدلوا نعمة الله كفرا و
أحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ولم يرعوا [illegible]
الوجوه والأبصار يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار وحملوا على ظهورهم
[illegible] وقصور شعورهم [illegible] والنار وحملوا [illegible]
الى عذاب النار [illegible] الحق [illegible]
والرسالة وردوا [illegible] والضلال ونقضوا [illegible] الخلافة و
النيابة وهدموا أركان العبادة والنيابة ووصلوا الى [illegible]
أشرار المنافقين والمشركين وظلموا أكرام أخيار الصحابة والتابعين
أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين اللهم العنهم عدد كل شر [illegible]
وكل [illegible] وكل فتنة [illegible] وكل منكر أبدوه وكل معروف [illegible]
وكل ظالم آووه وكل [illegible] وكل ولي آذوه وكل [illegible] وكل مؤمن
أزعجوه وكل منافق [illegible] وكل [illegible] وكل طريد آووه وكل [illegible]
[illegible] وكل باطل ادعوه وكل حق [illegible] من حقوق [illegible]
من دونهم من الأولين والآخرين والعنهم عدد كل نفاق أنشؤوه
وكل غدر أضمروه وكل عهد نقضوه وكل إرث غصبوه وكل كفر
نصبوه وكل [illegible] نصروه وكل حكم حكموه وكل [illegible] وكل حلال
حرموه وكل حرام أحلوه وكل [illegible] أكلوه وكل دم سفكوه وكل [illegible]
أنكروه وكل [illegible] وكل [illegible] بدلوه وكل [illegible] وبسط في
أكناف الأصقاع وأطراف الأرضين أولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين اللهم العن الذين أنكروا [illegible] ما جاء به رسولك
الصادق المؤمن وحرموا [illegible] القرابة والنبي [illegible]

المسلمين شر مضلات الرزايا والمحن واقتدروا على المؤمنين بنيران موبقات
البدع والفتن وتعدوا حدود ذلك فاحكاما لك لسانه ثم من لزمها
المجرمين من صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اللهم
العن الذين هجروا محكم الكتاب وعدلوا عن سبيل الصواب كفروا بالكلم و
عكفوا على الظلم واتبعوا نعيق الغواة واستمعوا إلى نهيق الحمير طمعا
في نائل حطام الدنيا وتبعا للقادة إلى الردى وبيعا لحظهم الأنفع
الأوفى بالأرذل الأدنى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما
ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اللهم عذبهم عذابا فوق عذاب
المعذبين وزدهم هوانا فوق هوان كل مهين واسلكهم في أليم
عذابك ونكالك خاسئين واحشرهم يوم القيمة زرقا عميا وسقهم إلى
جهنم زمرا حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل
منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين اللهم عذبهم أشد العذاب في
كل يوم أشد التنكيل والعنهم لعنا لا يجير المستجير ولا يغيث المستغيث
ولا يقيل المستقيل لعنا يكون إلى نقمة قهرك وسوء بأسك ذلك دليل
لعنا لا يكون لهم إلى الخلاص من ألم غصصه وغصص جرضه وقلق
علزه من سبيل لعنا لا ينجو من هوله أحد من المارقين ولا يفلت من سطوته
أحد من المارقين اللهم خلدهم في سجين وأبد عليهم من أليم عقابك المهين
وتطلع لهم نارا من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود
ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ذائقين
والعنهم لعنا يرغم الجموع من أشياعهم من التابعين وأعوانهم من الناصرين
اللهم العن أشياعهم الضلين وأتباعهم العمين وكل من أخذ بحجزتهم وسعى
في حججهم وتمسك بولايتهم وتمسك على وفق أهوائهم ولزم سمتهم واقتفى
أثرهم من الأولين والآخرين والعن المتعصبين بعصابة أشياعهم المقلدين
لقلادة طاعتهم وكل من رضي بفعالهم وكتب على منوالهم وسرب
في مسارب ضلالتهم وشرب بمشارب جهالتهم وتاه في فلوات سبلهم
سبلهم وعمه في غمرات ضلالة أباطيلهم من العامهين العارين أولئك
الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين اللهم اقصص

جماعتهم وشتت كلمتهم وابتلهم بقطائع أفعالهم وأسلمهم إلى حبائل أعمالهم
وأزعجهم عن أوطانهم وديارهم واقطع عنهم فضاء حوائجهم ومجالس مآربهم
واحشرهم مع من أشقى الكفار إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد
ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين اللهم اطرقهم بطوارق الأوجاع
والأسقام واشغلهم ببلابل الأحزان والآلام وخذهم بضرب يفلق
الهام ويطيح العظام ويسقط النواصي والأقدام من المشايخ المقدم
ارجمهم بالحجارة تمزقها الحلائب واقطع بينهم وبين أعوانهم الوثنين
ثم ارددهم إلى أسفل سافلين وعذبهم بالنار التي وقودها الناس والحجارة
أعدت للكافرين اللهم ألبسهم سرابيل القطران ومقطعات النيران في
عذاب قد اشتد حره وبعد قعره وغلب قهره وثاب قد تطبق على أهله
في نار لها لهب ساطع وقصيف هائل لا ينفذ أسيرها ولا يتنفس
كبولها واقرع عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون تلفح
وجوههم النار وهم فيها كالحون تنادينهم من أحيد منخاجرين اللهم
عجل هلاكهم وأسلبهم ممالكهم وضيق عليهم مسالكهم والعن مساهم
ومشاركهم واقطع عنهم فرحة البشرى وراحة النعمى وضيق عليهم
المثوى وضاعف عليهم العتاب والمضيق وانبهم من شفاعة كل
ولي شفيع وأجارة كل جار لصيق وأغاثة كل حميم شفيق وعجل لهم
صلية الجحيم وعذاب الحريق واجعل بيوتهم بورا وما جمعوا حوزا
حتى يصير لهم المستور الوارثين وأورثهم العقيم الجزين كم تركوا من جنات
وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين فما بكت عليهم
السماء والأرض وما كانوا منظرين اللهم اطف نورهم واخمد نارهم
واركد ريحهم واظلم نهارهم وفرق جمعهم ومزق أنصارهم واصم أسماعهم
وأعم أبصارهم وأوهن أركانهم واقطع أسبابهم وأهلك أنصارهم و
أرغم أنوفهم وعجل حتفهم وأبر أعضادهم ودمدم على ملكهم وأسرع إلى
هلكهم وأخرب ديارهم وامح آثارهم عن أبصار الناظرين واقطع آثارهم
عن أسماع السامعين وخلدهم في نار جهنم خاسئين صاغرين اللهم
الذين يمكرون السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين فأدخلوا أبواب

وتضرع كل حميم شفيقه

جعلتهم عالين فيها فبئس مثوى المتكبرين اللهم العنهم لعنا كبيرا [illegible]
لعنا لا تحويه الظنون والاوهام ولا تحيط به العقول والاحلام ولا تدركه
الفكر والافهام لعنا لا يحصى عدده العادون ولا يحيط به احصاء المحصين
والعنهم لعنا اكثر من خطرات القلوب ولحظات العيون وحركات
الاقدام واوراق الاشجار ونباتات الاحجار وشعور الانعام وقطر
الغمام لعنا يملأ طبقات السموات وتخوم الارضين اللهم العنهم
لعنا اثقل من لعناء الانام على الذين عتوا في الارض مفسدين وتآمروا
على المستضعفين واستعبدوا عبادك وعلوا في بلادك مستكبرين
وزين لهم الشيطان اعمالهم وكانوا مستبصرين ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين والعنهم لعنا افضل من مضاعف
عذابهم يوم القيامة الذي كان عليهم غراما بافتياتهم على منتجبيك و
مصطفيك الذين جعلتهم للمتقين اماما وزدتهم على ذلك انعاما ما
اكرمتهم وابنائهم كل ولي من اوليائك واوليائهم الذين يجزون الغرفة
بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا
ومقاما الذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
اللهم اجعلهم خمص البطون من الطوى ذبل الشفاه من الظما واخل
صدورهم من الامنة وابدانهم من القوة واذهب عقولهم عن الاحتيال
واوهن اركانهم عن منازلة الرجال واجبنهم عن مقارعة الابطال وامرج
ابدانهم بالوباء واطعمهم بالادواء وارم بلادهم بالجدوب ورمهم بالحصباء
بالمقذوف واصبهم بالجوع المغير والسغب الاليم ثم اسقهم في عذاب
الجحيم من حميم واطعمهم من غسلين واقترب لهم وعد الحق فاذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين
اللهم فل جمعهم وابح حريمهم ونغص عيشهم واقطع نسلهم و
انقض اجالهم وخيب امالهم وهون احوالهم وعجل نكالهم وتبر
كيدهم في ضلال واردهم الى الذي جعلتهم في مثال ومآلهم الى شر مآل
واجعلهم عظة للمعتبرين وعبرة للغابرين وذلك جزاء الكافرين اللهم
لا تدع لهم دعامة الا هدمتها ولا سارية الا كسرتها ولا قوة الا اوهنتها و
لا كتيبة الا مزقتها ولا رتبة الا هدمتها ولا فئة الا اتيتها ولا بدعة الا

ميزتها ولا خديعة الا ابدتها فانك لا تصلح عمل المفسدين اللهم لا تدع لهم
جنة راقية الا هتكتها ولا سنة سائرة الا امتها ولا كلمة مجتمعة الا
فرقتها ولا قائمة عالية الا وضعتها ولا شوكة بازغة الا قطعتها ولا قائمة
راضية الا اشغلتها ولا نجمة مضيئة الا ادحضتها ولا كودة عامرة
الا اخربتها وقلبتها وجعلت عاليها سافلها وكم قصمنا من قرية كانت
ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين اللهم يا من لا تخفى عليه
انباء المتظلمين ويا من يسمع عويل الظالمين ويا من قرب نصره من
المظلومين صل على محمد واهل بيته المعصومين وعجل باضمحلال سلطان
ائمتهم المعتدين وبابادة اعوان طغاتهم وانصار عدوانهم و
اتباع كفرائهم الهادمة لاركان الملة ودعائم الدين بظهور المهدي
الهادي المنتظر المترقب للانتصار من هؤلاء الملاعين الذي جعلته
ملاذا للاولياء ومعاذا للعائذين وعدته النصر والتمكين على تغلب
صنوف المعتدين وتفريج كروب المهتدين وجدع انوف الجبارين و
جذم ايدي الجبابرين ومنع ذوي العاصين وقطع دابر الظالمين الذي
اقمته علما لعبادك ومنارا في بلادك بعد ان وصلت حبله بحبلك
وجعلته الذريعة الى رضوانك وافترضت طاعته وحذرت معصيته
وامرت بامتثال امره والانتهاء عند نهيه وان لا يتقدمه متقدم و
لا يتأخر عنه متأخر فهو كهف المؤمنين وعروة المتمسكين وعصمة
المعتصمين اللهم اشبع به مخمصة الساغبين واروي به غليل الظمآن
واريح به لغوب المتعبين ونفس به هموم المهمومين واكشف به غموم
المغمومين واشرح به صدور المكروبين واقض به ديون الغارمين اللهم
انجح به ما امات الظالمون من معالم دينك واجل به صدأ الجور عن طرائق
دينك وابن به الضراء عن سبيلك وازل به الناكبين عن صراطك وامحق به بغاة قصدك
عوجا واكن جانبه لاوليائك وابسط يده على اعدائك وهب لنا رأفته
ورحمته وتعطفه وتحننه واجعلنا له سامعين مطيعين وفي رضاه
ساعين والى نصرته والمدافعة عنه مكنفين واليك والى رسولك صلواتك
اللهم عليه وآله بذلك متقربين اللهم يا من قلت آيات جبروته عن
وصف الواصفين وسمت سمات قدرته عن نعت الناعتين ويا من تجلل

السرّ من عمّار المضمرين ولتهذّبها هم ألسنة المخالفين وبائن لا يبغض لمكونة
عصيان المتمرّدين ولا يرشحه جحود الإيمان الموحّدين وبائن بابه مفتوح
للآملين وجوده مباح للسائلين صلّ على محمّد خاتم النبيّين وعليّ إمام
الوصيّين وفاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين والحسن والحسين
سيّدي شباب أهل الجنّة أجمعين وعليّ السجّاد زين العابدين
ومحمّد الباقر لعلوم الأنبياء والمرسلين وجعفر الصادق الأمين
وموسى الكاظم مفزع الصدّيقين وعليّ الرضا مرجع السابقين و
محمّد الجواد قبلة المتّقين وعليّ الهادي مفزع المهتدين والحسن الزكيّ
عون العابدين والحجّة القائم بأمر الله الحاكم الدين بإنها الرسول كريم ذي
قوّة عند ذي العرش مكين مطاع ثمّ أمين صلّ عليهم صلوة بحزيل الهم بها
من كرامتك ما لم توته أحداً من النبيّين والصدّيقين والشهداء
والصالحين وثبّتنا على الحبّ إليهم غير شاكّين ولا مرتابين ولا مكذّبين ولا شاذّين
ولا تسلبنا ما منحتنا من الاستمساك بعروتهم الوثقى والاعتصام بحبلهم
المتين ولا تزغ عنا ربقة الإيمان بهم وولايتهم ولا تزغ قلوبنا
بعد إذ هديتنا إلى الاعتراف بعلوّ قدرهم وسموّ منزلتهم واحشرنا بإمامتهم
مدعوّين اللهمّ لنبتّل وسيلة إلى عواطف أفئدة الأتقياء منهم ولا لنا
ذريعة إلى عوارف رحمتك الأولياء بهم فاقضها من بوائق الدهور و
سوء عواقب الأمور برداتك وانشر علينا بهم سحائب إحسانك وأمطر
علينا سحائب فضلك الذي أعددتها بهم من ثائر المتعلّلين ونثر الناثرين
وكيد الكائدين وحسد الحاسدين وهمزات الشياطين وسطوات الظلم
اللهمّ أحينا على سنّتهم وتوفّنا على ملّتهم وخذ بنا منهاجهم واسلك بنا
سبيلهم واجعلنا من أهل طاعتهم واحشرنا في جماعتهم وأوردنا حوضهم و
اسقنا بكأسهم واجزنا بهم جزاء المحسنين ولا تفرّق بيننا وبينهم في جنّات
عدن التي أعددتها للمتّقين كما جعلت أفئدتنا تهوي إليهم حين تفرّقت
السبل وتشعّبت الأهواء بالحائدين عن الطريق المستقيم الذي كشفت
عنهم عذاب الحزين في الحجيج الدنيا ومنعتهم الخيب اللهمّ أدم بهم صلاح ظاهرنا
واحجب بهم خطرات الوساوس عن صحيح ضمائرنا واصلح بهم دخائل قلوبنا
وعلائق أدنانا وأجمع بهم شتات مودّتنا وأدخلنا فيهم في موقف العرض عليك

تماهوا جرانا واكسنا بهم حلل الأمان يوم الفزع الأكبر في نشورنا وهوّن بهم عند
الموت علينا سكرات السياق وجهد الأنين واجعلنا بهم من كلّ مخذول
آمنين اللهمّ كمّل لنا قوّة في العبادة ونضرة في الدين واحشرنا مع
عبادك المتّقين الذين هم في مقام أمين وأيّدنا بتعجيل المخلصين
واجعل لنا ذريعة إلى رضاك بما قضيت والتسليم لما حكمت و
ألهمنا الاقتداء بما أوردت علينا في كلّ حين ولا تؤاخذنا
بتفريطنا في جنبك وتعدّينا طورنا في حدودك ومجاوزتنا أحكامك
ولا تستدرجنا بإملائك لنا استدراج الجاحد ولمن كيدك المتين
اللهمّ نبّهنا من رقدة الغافلين وسنة المسرفين ونعسة الذاهلين
وألحقنا بصالحي الماضين واجعلنا من صالحي الباقين واسلك بنا
سبيل الراشدين ولا تزدنا في سوء انقذنا منه يا منجي الخائفين
ومأوى المنقطعين اللهمّ يا ناصر المستضعفين ويا منجي الهالكين
خذ بقلوبنا إلى ما استعملت به القانتين واستعبدت به المخلصين
واستعبدت واستنقذت به المتهاونين واجمع بنا مجالس الصالحين
وأطلبنا في سلك الآمنين فإنّك غرض إقالة الملهوفين وموضع
إجابة المضطرّين اللهمّ عظمت آمالنا وساءت أعمالنا فأعطنا
من عفوك بقدر آمالنا ولا تؤاخذنا بسيئات أعمالنا فإنّ كرمك يجلّ
عن مجازاة المذنبين وحلمك يكبر عن مكافاة المقصّرين اللهمّ صلّ على محمّد وآله
الطيّبين وعترته الطاهرين واجعل لنا بهم إلى كلّ سعة منهجاً ومن كلّ ضيق
مخرجاً ولا تحرمنا بهم من نعمتك ولا تقطع رجاءنا من رحمتك إذا أعملنا
المسكنة وحقّقت علينا الكلمة وانتهت بنا الآجال وطويت صحيفة
العمل يا أرحم الراحمين ثمّ تعول لنا في النزع والارتحال والعافية والبلاء
والغيرة والبشرة ومتجاوزنا في ساعة الدوائر وعظائم الضرّاء ومعاجلة
البوادر وصروف البأساء وعصمتنا وحياطة الحرز من كلّ مارد لم يتنبّه
وسلّط حياطة الحرز من كلّ ما يذلّ ويهين اللهمّ اجعلنا على الاقتداء بهم والالتجاء
إليهم ثابتين ومنهاج النقط ناهضين وبحجزة النبتة آخذين ولما
افترضت علينا من وظائف عبادتك مؤدّين وإلى الخيرات سابقين وعلى
الصلوات محافظين وللزكوة فاعلين ولرضاك في جميع الحركات والسكنات

متعمّدين بقلبك في تطوّر الأطوار وتقلّب الحالات مستغفرين ولنفحات رحمتك
متعرّضين ولتطلّب فضلك مترقّبين ولفضلك راجين ومن عذابك خائفين
وإليك تائبين ومن الذنوب نادمين ومن الرياء والسمعة متطهّرين ومن
الشرك والكفر والزيغ متعصّمين ومن الشقاق والنفاق متبرّئين ومن الأدناس
والعيوب متطهّرين ومن الحلال الطيّب متزوّدين وعند الشبهات في الفتن
ولأهل الإيمان ناصحين وبرزقك قانعين وللجنة طالبين ومن النار
هاربين وفي الدنيا زاهدين وفي الآخرة راغبين وعند المعاينة و
الاحتضار مستبشرين وعند وحشة القبر وظلمة اللحد فرحين وبلقاء
منكر ونكير مسرورين وعند المسائلة بالصواب مجيبين ومن الفزع
الأكبر آمنين وللعزة وارثين وفي الجنان المكلّلة بالدرر و
اليواقيت متوّجين وبالولدان المخلّدين مستخدمين وبأكواب و
أباريق وكأس من معين شاربين ومن الحور العين متزوّجين وفي نعيم
الجنة متنعّمين وعلى الأرائك مع أوليائك وأصفيائك متكئين في
مقام أمين في جنّات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين
يدعون فيها بكل فاكهة آمنين وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا
حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ
منها حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول
العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين
وكتب مؤلفه الفقير إلى الله في كل حال وفي كل طرفة عين و(?) صير
وفي كل حين محمد المدعو علم الهدى ابن محسن بن مرتضى (?) المحسني (?)
ووجهه في مسالك الإيمان ويحمل بصيرته بنور اليقين حامدا لله
جل جلاله على آلائه التي لا تبلغ إحصاءها ما حصر الحاصرين ولا تستطيع
أن يكون كفء شكرها شكر الشاكرين مؤمنا بوحدانيته إيمان الموقنين
موقنا بحقّانيته إيقان الصادقين معترفا بالتقصير في أداء حق عبادته
إقرار التائبين مبتهلا إلى لطف جنابه الذي هو كهف المتقين وإغاثة (?)
كفايته التي هي ذخيرة المتوكلين مستغفرا من موبقات الذنوب التي أعقبت
استحقاق عظيم عقاب المجرمين وأليم عذاب المذنبين ولجناية كريم صفحه عن

التوابين وتب علينا عن الآثام متمسكا بعصمة الوافية من كل ما يبعد
بين مصطفى على سيد الأنبياء وعترته الطاهرين داعيا الجميع ممن تعلّم (?)
تمسك بهم وبحبالهم وعكف عليهم من المؤمنين المستفيدين منهم
المستأنسين (?) وأنقذنا الله لشفاعتهم من (?) ومن نزول الحيف (?)
بعد عفو الله سبحانه بلطف (?) فإنه (?) المؤمنين سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وفي المجلد الثاني من (?) شكر نعمائه (?) لم يزد (?)

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا بارئ النسم وسابغ النعم ويا ولي الإحسان والكرم ويا من
لا ينال له عوض العطاء ولا يدركه بعد الهمم ويا سابق الأزلية في القدم
ويا مخرج محكم صنائع الوجود من كتم ستارة العدم ويا ناصر من استنصره
راحم من استرحمه ويا كافي من استكفى ويا عاصم من استعصم ويا مقيل العثرة
لمن عثر وقابل التوبة لمن زلت به القدم ويا سامع النجوى ودافع البلوى
وكاشف الألم ويا جاعل الأنوار والظلم ويا خالق اللوح والقلم ويا من
علم الإنسان ما لم يعلم صل على عبدك الذي اصطفيته على كل من تقدم
منزلة في القدم ورسولك الذي انتجبته على جميع أنبيائك وخلفائك
المبعوثين لهداية عبادك للتي هي أقوم الذي فتحت بظهوره على وجوه
طوائف الأمم أبواب طرائف النعم وأفتحت بنوره مشارق الأرض و
مغاربها بعدما زالت عليها غياهب الظلم إذ بعثته لإنفاذ أمرك وإنهاء
عذرك وتقديم نذرك فأنفذ وأنهى وقدم على حين انقطاع من سبل
الأعيان (?) وظهور من أعلام الطغيان ودروس من آثار الحكم (?)
منكسفة الاستواء مولية الإقبال بما (?) من الدواهي (?) في
(?) العدوان و(?) من حقوق الأمم على حين (?)
فأنكر (?)
من الجهل (?) في (?) من الأمم (?)
الأباطيل (?) و(?) الأباطيل (?)
من الجاهلية الجهلاء (?) وتعليم الحكم ودفع (?)
(?) المنهج و(?) المقصود

وجوده بينا بحارا بالها لابي القاسم محمد المصطفى الحبيب المحمود الاحمد سيد ولد
آدم • وصل على اخيه ووصيه وخليله وخليفته وناصره وساعده والمطهر
المقدس عما نقص المنزه عما يلام المعصوم عما يذم وزيره وظهيره و
عونه ونصيره وحبيبه ونسيبه ونظيره المعظم • صنو نفسه وابنه وحامته وصفوته
ونجيبه ووليه المكرم مواسيه في الايراد والاصدار والاجهاد والاظهار
بما انتحله من المجد والكرم ومساويه في اقامة العوج واشادة الفلج وايضاح
مقطعات المبتين وابادة مضلعات النعم صاحب سره المكتوم وخازن
علمه المخزون وامين ذخره المصون ومنزلة كنزه المستر المقنع المحرم علي
امير المؤمنين وامام المتقين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين المتمنع
المظفر المجالح الغضنفر البطل الغشمشم • غرة دمن الهاجرية والانصار
قسيم الجنة والنار خارق سائر الحرق المنكرين فالق الهامات المتجبرين
الانزع البطين الجحجاح الرزين الباسل الضرغم جامع عبادة عيسى وهيبة موسى
وحلم ابراهيم وتقوى نوح وعلم آدم ثم ما فضله به من نفقته المنزلة وحماية
اللواء وسقاية الكوثر وكرامة الاخلاء التي هي افخرها واعظم • مفرق
جموع الكفار ومخرب ربوع الاشرار ومخرج اوداجهم من ديار الفرار الى
القرار بعد الفساد ثم غير اشياعهم الى الفناء والفناء العدم • فقام بالامر
انثى الاثر والامر اخيه على حين حقبة جاهلية ونفوس عالية من نغاطيه
والناس يختلفون على فرس ويموتون على كفن ويموجون من اتباعه اتباع الشيطان
كالمناعة من ابيهم الاخبار في صدر الامر ويتكلمون بالنهاب من العدوان
والنظام امواج الطغيان ثم نحبة الندم ثم واعلى النفاق وجموا على الوفاق
وركنوا الى النفاق وجاروا عن الحجة ونكصوا الى الذلة وتولوا على الادبار
اصروا على الادبار بما سطا عليهم الحق ونبههم الحد والشنآن لامرهم ملا كاد
اتخذهم له انك كافلهم وزرع في صدورهم ودس في جحودهم مطامعهم ونطق
بالسنتهم وركبهم الزلل الذين لهم الضلال ثم الحقد فهدم ما بني ونقض ما ابرم • فقد
غشيتهم سرابيل الغفلة ولزمتهم خلال الضلالة وحدتهم مصائب المسالك
وعزلوا عن المهالك وطردتهم مسارب الاهتداء ومسارح العصيم فهدى الى الناكثين
والقاسطين والمارقين سيفهما بعزوك بمعونة ما ضلة فعزالهم بلا عزة بادهم
وهجم عليهم في مجوحهم فراهم حتى استشف له ما درت واولياء الله ... 

ذا امنا آمنك وانتقم • اللهم وصل على الصديقة المعصومة الطيبة الطاهرة
مطهرة المبارزة الزاهرة سيدة المفاخر الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء
العالمين بضعة خاتم النبيين كفو سيد الوصيين المكروب نور وجهها على
لوح القضاء مبيانا للعبائر وقلم الكريم • وصل على قرة عين الرسول ولده كبير
البتول ناشر ذباج الاحسان والجود • كاسر جناح العدوان والاثم ابي محمد
الحسن • صاحب الحيا الانور الاسنى وراكب العز الاكبر الاروم • وصل على قرة
الانظار والعقول وبهجة الارواح والعقول زين المتقين ثمار الخافقين ابي
عبد الله الحسين محمد الفخر الازهر الابهى سيد الشرف الانجز الاقدم • وصل
على متوج شؤون الاخباء والاذعاء مخرج عيون الاصطفاء والاعلاء جامع
مكارم الاوصياء والاتقياء الناطق ابانة الحق محضر اكابر الانصار والمهاجر
ابي محمد علي بن الحسين زين العابدين مقتدى الاخيرين والاخيرين ومفخر العرب
والعجم • وصل على منبع انوار العلماء الراسخين مفرح اماثل العرفاء الناسخين
منور سبل المفاخر والمآثر مهذب صحف البواطن والظواهر ابي جعفر محمد بن
علي الباقر المنان بنشر عوارف المعارف وطرائف الحكم على كل من تكلم ذو
الفضول وتكثر • وصل على ملاذ افاضل الصديقين معاذ اماثل السابقين
مقلاد معالي الحقائق بلبابة الرائق منجاة بوارق المضائق بجنابه الفائق
ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق مجنوب ربوع انتاج النعم • ومجذب ذروة
وتمكنت ما لم يكن يعلم • وصل على زين اجلة الحلفاء المكرمين انسوة
الحكماء المعظمين فخر غرر الاكارم بحر درر المكارم ابي ابراهيم موسى بن جعفر
الكاظم • منور السبيل الاقصد وموضح الطريق الانور بما يحير ويظلم ويسدد
ويرشد • وصل على طارد الاذى الطاهرة والدراية بارز ثمار الغوائر والعيابد حادي
الملائك من السدانة الى الطاعة الورى فاتح انملاق ما في الشرائع لعله الانوار
النقل ابي الحسن علي بن موسى الرضا ما نال من غفر وطلق • وتكرما اشتغل بما
ارتدى من الملك الكبرى ما اعز والحكم • وصل على عنوان صحيفة التقية والنهى
رتق كل امر الهامة والحجى ساكن الاشراق الانجاد بارز سبل الرشاد
غاية انشاء الازواج وابناء الامجاد ابي جعفر محمد بن علي الجواد يخجم كل من
تردى بالمبين وتشتمع ما البحر ثم ما لم يعلم ويحكم بما لم يقيم فلعلو
بغرائب على لسان كل فصيح والعجم • وصل على سامي شوامخ الولاية والهدى

ناجى قوارع الضلال لنور الهدى بجلاء القلب الصادى من كل رائح وغادى بسماء
اسنى المرتبات وانقى الاباء ابى الحسن على بن محمد الهادى جامع جوامع ما يوزد
بجسم ويعظم وبحر زاخر من فرائد الفوائد ونجوم النعيم • وصل على باب الفتوح
لكل عبد بنى كتابا بما المفتاح لكل ضيق من فنون النور والمقتدى الفائض قطر الحكم
السنى ابى محمد الحسن بن على الزكى العسكرى المنفصل بجوامع الكلم ولوامع
الحكم على كل من عرف قدرها واغتنم • وصل على المهدى الهادى القائم
بامر الله ممد طول الانساء بمهابته الذى بار وصاحب الدار حافظ الازمنة و
حادى الادوار مدمر رياح صلاح كل عتو جبار ومكسر ضلاع اطماع كل متجبر
جبار مروق كل كدر ومغبر كل ورد ومنبع كل نعيم الذى عليه دار
الرحمن بحركة السماء وسكون الثرى وبقاء به تبقى ما استحسنت للعالم وذلك
من سوابغ الالاء التى لا تحصى كثرة تحيته من سابغ احسانك وانعامك
التى لا تحصى ما اضمنت عليهم من زاهر النعيم وعوائد القديم • الذى يرد
كيد عدى عادى الشاردين • ويهدم جدران الهادم البادئين ويقصم ظهر شوكة
المعتدين • ويجبر كسر قلوب المهتدين ويشفى غيظ صدور المرتقبين ٥
لبقاء اللقاء بما رزقته من النصر والتمكين ويجمع على التقوى كلمة
المؤمنين والكافرين [illegible] الراجح والخاسر من العرب والعجم • اللهم نور
باشراق نوره اعنان السموات واكناف الارضين • واكشف بتجلى
ظهوره كروب قلوب المؤمنين واسعهم بتمايل حمائل حضور الكامل الاصفى
واعظم بشائر عواطف [illegible] وصدوره من خزائن الطاف احسانك
الحظ الاوفى والنصيب الاوفر • اللهم احمد بسيفه نيران الحيف وانت
بعدله طغيان الجور واسقط بسلطانه سلطان الظلم واقم بحكمه حدود
الحق • واهدم بمهابته بنيان العوايد واكسر بيد لاهيته اركان الضلالة
واكشف بعنايته من كروب العين وخطوب المحن ما اهمّ والمّ • والمم به
الشعث واجمع به الامر وارتق به الفتق وايد به الحق وابتد به الدين
واتمم به النعم وتوّد به الظلم • اللهم ان هؤلاء ائمتنا وسادتنا وقادتنا
الى سالكى طريقة بهاء الامين وانسد لا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر لا تبلغه غور الفكر ولا تناله بعد الهمم • بهم باب الاسلام
[illegible] الاعتصام وعصم الامم • تراجم الحق وموازين العدل المنتقم من [illegible]

صلى
وعلم من استهدى واستعلم • اصول الرحمة واولياء النعمة وعناصر الكرم ودعائم
الايمان ومنابع العرفان ومصادر الحكم • خزان الوحى وعيبة العلم ومصابيح
الظلم • انتجبتهم من اعز ارومة وانتج اصلة واسمى سنخ واسنى جزء فى المجد
الكرم واخترتهم من اطيب مغرس واطهر منبت واكرم محتد وانزه مختد
فى الكرم والعظيم من الشجرة التى نشأ لها وزكى فعلها واكمل عودها و
اعتدل عمودها وطاب ركن الحرم • وتشعبت شعبها اغصانها وتدانت ثمارها
واتمام اهل الكتاب لما ارفاقه من اصناف الارزاق وانواع الالوان
والوان النعم لاشباح النسم يتنعمون بها ويتعيشون بها بعد انقضاء الاجال
وحلول الاوجال وانقطاع النسم • لهم الخلافة والولاية وفيهم الوراثة و
الوصاية من تعلق بهم فاز [illegible] من تمسك بهم اتقن محط الرشد [illegible] لهم
السيف والقلم وبايديهم اللواء والعلم وفيهم الشرف والكرم واليهم ينتهى
لكل من احترم • هم خزان اسرار الله الذى نزل الوحى فى بيوتهم نزل الوحى • ومهبط
جبرئيل لهم العروة الوثقى والحبل المتين والصراط الاقوى والسنام الاعظم نظمهم
نجاة لمن صدق وعصمة لمن خوّف ونعمة لمن شكر [illegible] لمن سلم وصحتهم عبرة لمن
اعتقد [illegible] لمن نجح وجنة لمن [illegible] كافية لمن توسّم وطهم علم لمن وعى • و
حديث لمن روى • وحكم لمن قضى وقدوة لمن استقى [illegible] لمن استهدى • وبرهان لمن
تكلم ودعائهم نجح لمن طلعهم ونور لمن ابصر وحلم لمن عقل وجامع لمن قضى
وسلم لمن ادعى وحجة لمن خاصم ان نطقوا نطقوا [illegible] الاسماع وتبتع
الاصم [illegible] الصخر • يحيون الاجمال وينطق الابكم ويفتح الاعجم
وان صمتوا [illegible] المفتتح المنير البهيج عند من يهتدى بمساعيه و
يهتم الذى لمن كشف الغطاء عنه يحنى على كل [illegible] هم الذين
لولاهم ما ادبر ليل وما اسفر صبح وما انحجب [illegible] وما انطر سحاب وما اورق
غصن وما نبت نبت وما اثمر شجر وما اينع ثمر وما [illegible]
ولولاهم ما تحرك متحرك وما سكن ساكن وما [illegible] طاعن وما تشوق [illegible] ودنا
دنى [illegible] وما ادبر [illegible] وما ربح [illegible] وما تنبع ماء الجود من عين الكرم وما طلع
نجم الوجود من [illegible] العدم • اللهم صل عليهم صلاة كاملة فاضلة نامية
طالبة لا يبلغ اليها فكر من تفكر ولا يبلغها بصر من تبصر ولا
يصفها تدبر من تدبر ولا يحويها [illegible] الفكر ولا يحيطها [illegible] من يحتشم

ولا يعقلها اسفهاء من استمتع وسل عليهم صلاة شريفة منيفة جليلة جزيلة
زاكية نامية نائبة بموائد الكرم نافية بعقاب النعيم زنة سمائك وارضك
ومداد كلماتك وزنة عرشك وما تحتهن وما فوقهن وما بينهن مما انت رضاك
ورحمتك • وزنة ما انسدت من توابع آباد الابد وغايات الامد الى جميع
عبادك وامنائك من خلائق الكرم • اللهم ارسل اليهم من كراماتك و
انعاماتك وتحياتك وتفضلاتك ما تغبطهم به جميع انبيائك واصفيائك
واوليائك المنتسبين الى ذروة الرفعة لديك والكرامة عليك بما
اعطيتهم من اسنى المواهب وادخلتهم من اعلى المراتب • اللهم العن العصابة
التي نالت على عبادك وعصابة الرسول وعاونت على انكاد [illegible]
في اعناقهم محجرين من حرقى اناظم الفحول واوثقت بطلاق الحجر • وفي
طلاقة السكون بعد [illegible] الذين [illegible] الوعول وتوادت على نقض
عهد القبول [illegible] الرسول نكثوا عن مسالك اللهم وتنزعوا
الى مضائق [illegible] الاخيار المقتبسين من انوار النبوة والامامة
المقتدين بهدي [illegible] من [illegible] هابوا وجاملوا [illegible] الآثار
لاختيار الحيرة والاعتبار القاطعين لآثار التذكر والاعتبار و
حملوا على ظهورهم [illegible] اوزار المعاصي والتبعات وتوجهوا [illegible]
بقصور [illegible] الى عذاب النار يصلونها وبئس القرار • وبدلوا نعمة الله كفرا
واحلوا قومهم دار البوار جهنم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعمى
بالمغفرة والغي بالرشد والجماح بالنعم والسفاهة بالحجى والبلادة بالذكاء
والقدح بالرجاء والخذلان بالنصرة والمعاذير بالمراجعة والمخافة بالامان
والمحن الصابرة بالمنح الراتبة والملامة اللازمة بالكرامة الدائمة والنقم بالنعم
والمرادة بالسلم اولئك الذين باعوا الآخرة بالدنيا والاشرف بالارذل الادنى
وشربوا [illegible] والصعود بالعادة [illegible] والرباح بالخسران
والتذكر بالكفران والبلاء بالتلذذ والفلاح بالفساد والسراء بالضراء
والعافية بالبلاء والنجاة بالتنعم والفرح بالاثم والمدح بالتذمم رضوا بالدنيا
من الآخرة عوضا وبالذل عن العز خلفا [illegible] ابواب الحيرة والاهتداء
بالتوغل [illegible] الحسد والبغضاء وتعقبوا اعلام [illegible] والاهواء المحيرة
والجهالة حتى [illegible] قوائم الابصار [illegible] واتباع [illegible]

الا اشياء والمين وتحوا عن موجبات القهر وموردات الحرب وقطعوا الى شيئا
البين وتقطعات الحين لم يتركنا بها العهد قطع الاول ولم يرعوا عن
اضاعة الحق واتباع الباطل حتى تطلعوا على اعلام الانام سبل الاغتشام بمجيد
التجار الاكرم وتمجيد التجار الاعظم • اللهم العنهم والعن اشياعهم
المنتسلين الى سعي طلائعهم الصفاء واتباعهم المتدللين لمغالبهم الطغاة
وكل من دعي عن النهج اللاحم وسلك الطريق الذي التم المودي الى المضي
المتوي [illegible] • اللهم والعن كل من رضي عن ظالمهم ولج على موالهم
واشتغل بهم ولزم شيعتهم وتابع اهواءهم وعقل بالآيات [illegible]
عكف عليهم من اوحصر ما اخر او تقدم لعنا ابدا ووبيلا يكون الى سطو
نهمك ولسبيلا الى الحلول باسك سبيلا يحل لهم نكال الغشام وتكلمهم
في دار نحكم لعنا واتباع لا ابحد ولا ابور ولا يعيد ولا ابر
ولا ابتل ولا افنى ولا ابعي ولا انقض ولا ابتيد ولا انضر لعنا دائما
نائما باقيا لا يتبدل ولا ينتقل ولا ينفصم ولا ينزع ولا ينقطع
ولا يهدم ولا ينكسر ولا ينقسم ولا يتأخر ولا يتقدم • اللهم
الزمهم بطوارق المصائب وخصص الحق وقلل العذر ولا تخلهم من اوجاع
النقم ولا تطلقهم من سلاسل النقم واصفدهم بكبول الآثام • اللهم
اسلبهم النعم واقطع عنهم النسيم وقطع لهم ثيابا من نار يصب من فوق
رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد لا يلان
ولا يهابه ولا يباد ولا يفصم • اللهم اسلكهم في الجحيم وخلدهم وعذبهم
اليم وعذاب مقيم واثر عليهم من غضبك العظيم ما تنصب به حرها
المضرم بمادها • وادهم وحرم عليهم الخلاص من لهب عقابها ولدغ
حياتها ولا تخفف عنهم طوارق سلاسلها وبوائق اغلالها دائمة سرمدة
عقيمة مقيم • اللهم صل على محمد وآل محمد وسلم وبارك وتحنن وتفضل و
تعطف وترحم وارسل عليهم تحيات سابغات وبركات طيبات طاهرات بكونها
كفاء لاداء واجب حقهم على الشفق والتعبد البر والطاهر العالم والعامل
الناقص والكامل الصالح والطالح من جميع الامم وكافة العوالم لا انعم وقدرهم
الاسنى وفضلهم الارجح وعزتهم الافخم وشيمهم الاشرف ومجدهم الاكرم
وفخرهم الاتم • وتبتنا على الايمان بجلالتهم وامامتهم التسليم لفضلهم و

كرامتهم والتذلل لعزتهم ومتابعتهم والاقرار بوجوب الكون معهم وفي جماعتهم
الفائزين بانشط المقامات وانبط الكرامات واغبط النعم واحوط القسم
ولا نبرح متابعتهم التمسك بحبل ولايتهم والتعلق بعروة محبتهم واسلك
بنا سبل الاجتناب لمحرماتهم والطاعة لهم الناهضين بحجاج متابعتهم وعامة ما
يختص بهم • اللهم اعنا على اقتفاء مناهجهم وسنتهم ووفقنا للاتباع بهم
ودليلهم واحشرنا يوم حشرنا وحين نشرنا في زمرتهم واوردنا حوضهم واسقنا
بكاسهم التي من شرب شربة منها دفع عنه الزلفة وكتم • اللهم اقنا
بهم على قصارى حسناتك واجعلنا بهم من خيار خلقك والحقنا بطليعة آ
عفوك وعفتنا وصفحك واغفر لنا ذنوبنا التي تقطع الرجاء وتحبس الدعاء
والتي تكشف الغطاء وتنزل البلاء والتي تغير النعم وتهتك العصم وتورث
الندم • اللهم اكفنا حدوثات الزمان وشرور مكايد الشيطان وصول لم
تضيم السلطان وتراد نعم الاعداء وخداع متلبسي الاخوان وملامة
شكاسة الجيران وعقوق الولدان ومتابعات مناظر الكفران فانت من
تعطيه نعمتهم ومن تشا تبتلي • اللهم اعذنا من متابعة الهوى ومخالفة الهدى
واستصغار المعصية واستكبار الطاعة وسنة الغفلة وتعاطي الكلفة
وسورة الغضب ولجاج الشهوة وهيجان الحرص وقلة القناعة وايثار
الباطل على الحق والاصرار على المآثم • اللهم اوزعنا شكرك في عامة
الاحوال والهمنا ذكرك بالغدو والاصال ووفقنا لحسن العبادة والحقنا باهل
السعادة وسددنا في النية والعمل وصدقنا في الرجاء والامل [illegible] لما
رجوناه من جميل عطائك وبلغنا ما تمنيناه من جزيل حبائك فانك ولي
الاحسان والكرم البادي قبل الاستحقاق بابتداء النعم • وكتب فوقه
احقر عبيده من كتم العدم • وافقر مذنوب الى العفو ربه الاكرم محمد الملقب
علم الهدى ابن محسن بن مرتضى عفا الله عنهما اجترح واجترم ببلدتنا المحروسة
المعروفة ببلاد المؤمنين قاشان صانها الله عن طوارق الحدثان ونوائب
النقم • وحرس سكانها عن جميع ما يورث الندم وتعقب الندم • لشهر
ربيع الاول من شهور سنة اربع وثمانين والف حامدا لله تعالى على انعمه
متوسلا اليه بما قدم من الذين لا يخلو عن الاحصاء عددها وحجم والمستطيع
شكرا اداها احد من شيد اساس ذلك وتأكيدكم • وانما يكفانيه

الى عبادي بقوله فكل ما اهتم واكرم • جل ثناؤه وعم صلواته على من كمل النبوة
وختمهم • وتمت معالم الدين لكل من سالكي الثقم • ونظم عقود درر الغيب
على ابلغ نظام واحكم • وعلى اهل بيته الهداة الذين هم اقوم • صلاة دائمة
بدوام الاحسان والكرم •

## بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا من لا يحيط به فحص العقول • ولا يحويه غوص الفكر • ويا من لا يبلغه
غور الظنون • ولا يدركه لحظ البصر • ويا رب العين والاثر • ويا خالق
الجن والبشر • ومجري الشمس والقمر • ويا مرسل الرياح ومنزل المطر • ويا
من انبع الماء من يابس الصفا ومن جاسي الحجر • ويا من فلق النجم وشق البصر •
ويا من سوى العظم واتقن البشر • ويا من عدل الاشكال وركب
الصور • ويا من يعلم من كل قطرة المنسقط والمستقر • ومن كل ذرة المتحرك
المحرك • ويا من لا يعزب عن علمه ما تحمله الارحام من انثى وذكر • ولا ما تخفيه
الاكمام من حب وبذر • ولا ما تنبته الانعام من شجر وورق • ويا من لا تخفى عليه
خافية مما ورد وصدر او عبر وغبر • ويا من لا معقب لما حكم ولا راد لما
قدر • اسالك بجلالك وجهك الكريم الذي لا يحول ولا يزول ولا يفنى ولا
يبلى ولا يتغير • ان تجعل شرائف صلواتك على خير من انتخبته لحمل امانة
نبوتك فصدع بما امرته ونهى وانذر • وتنزل نوامي بركاتك على
اشرف من اخذت منه ميثاقهم على تبليغ انباء رسالتك فقام باعبائها بعد ان
وحذر وانذر • عبدك المبعوث بالامن للاذان على الاسود والاحمر
ورسولك المختار من اشرف الشعوب وانجب القبائل مضر • المخرج من
لجة الضياء رحمة للعالمين • واصطفيته من ذوائب العلياء وادم بين
الماء والطين قبل ان يحشر • خاتم النبيين وامام المرسلين ابي القاسم محمد
المصطفى الابيض الحمد المحمود الاحمد الامجد الطيب الاطيب الاطهر •
الذي ماتت الانبياء شيخا وكهلا قد سطع دهرا • وسبق الاشقياء شفعه

وتفضلاً اذ خرج وظهر • شفيع المذنبين وشهيد المتقين ونور العرش الاكبر
مؤمل الصديقين ومختار السابقين من تقدم منهم ومن تأخر • توسل به
صفوتك آدم فتبت عليه مما سلف وعبر • وتسلى به خليلك ابراهيم من
حر نار فقد التهبت واستعر • وتكبت له الذبيح بالكبش الاملح بعد ما اضطر
وقال يا ابت افعل ما تؤمر • وتحنن به نجيك نوح من الطوفان حين فتحت
ابواب السماء بماء منهمر • وتفجرت الارض عيونا فالتقى الماء على امر
قد قدر فحملته بجنابك على ذات الواح ودسر • وتركتها آية لمن ادّكر
اشرقت الدنيا كاشرقة النور ظاهر الغرر وتجلى جنحا الاثير من الجن و
جهالة بالرب وكفروا بالبعث في غفلة عن العبر • ارسلته بالعلم المأثور و
الكتاب المسطور والناس يمرحون في حيرة ويضربون في غمرة قد اكتنفتهم
الفسوق وحفت عليهم الشقوة وضل عنهم المخرج وعمي عليهم المصدر
فقام بحجة الهدى • وشمل عليهم العمى وعمه ذكر الحجى • واتخذت حبال الدين
وزعزعت سواري اليقين في الاصفاح والكور • فاعلن الحق بالحق واعيا
لوحيك داعيا بعهدك حتى اضاء الطريق وقام السبيل لمن خبط وسدر
وبالغ في اغاظة من حقق وفتح ما انغلق ورتق ما فتق ودافع الجيوش
لا باطل ودافع الصولات الاضاليل حتى اقام موضحات الاعلام وبين آيات
الاحكام لكل من ابصر وادّكر • اللهم صل وسلم عليه وعلى
صنوه واخيه وكفو ابنته وابي بنيه صاحب سره المكنون المخزون
المدخر • وخازن علمه المستصعب المنيع المستتر فاضحى نجيه ووصيه ومنجح
دعوته ودعوته وخليفته على امته من بعده السالك بهم المنهاج الواضح
باليمين الاسنى والمجد الافخر • الذي سطع نوره وبهر باب مدينة علمه و
سره فنماه نشأ في حجره ودرج بين اكناف مظاهر لطفه وقهره • فجلاه
مقاصده وانبأه المبلغ عنه من الانباء ما فيه مزدجر لمن ازدجر لمن
اعتبر وازدجر • مفرج الكرب عن وجهه الداعي الى محجته الناصح لامته
الماضي على سنته الناطق بحجته فجاء لمن ادبر واستكبر • مروج مطلوبه
ومزين محفل به ومسهل مخالفه ومحقق مرغوبه ومخرج مرغوبه ازعاما
لمن تخلف واستهتر • سامي الاطواد كامل الاعتبار ولسانه الطلق و
سنانه الذلق ضوء نجمه الساطع وذباب حسامه القاطع • مستبد

ركنه الاوثق ومؤيد دينه الازهر المشارك له فيما خلا النبوة من المناقب
التي نافت وتنبا ابنائهما شأو الاحلام وتمهد في فضاء افنائها شعبات
الفكر • سابق في مضمار السنية الباهرة والمفاخر العلية القاهرة ما خص
بها مظاهره ومواسيه في الشدة والرخاء والعافية والبلاء والمحنة
والسفر الباذل نفسه دونه في مواقف الخوف ومواقع الخطر • المختص
بمنقبة المنزلة وكرامة الاخاء ومحاسن اللواء وسقاية الكوثر على رغم
وسيد الوصيين ويعسوب المسلمين وقائد الغر المحجلين وثاني الخمسة المباهل
الذين دعا بهم المباهلين • وجعلت من خدامه الروح الامين الحامل
لابلاغ الوحي وانباء الحجج • ناشر رياح الموحدين وكاسر جناح الملحدين
رافع معالم المجاهدين وجادع معاطس المعاندين • شارح صدور
المؤمنين وجارح حمائر المنافقين ذو غواشي بعضها لا ينبو ولا يبدد من
انوف الجاحدين ومخزي صنوف المعتدين لاعلاء كلمة الحق واحكام اليد
اليقين • قاتل الوف المتجبرين ومحارب صنوف المتكبرين لرعاية
حوزة الملة وحماية بيضة الدين • الغطريف السمهدي البطل المطهر
الشجاع الغضنفر • مفرق جموع الكفار ومخرب ربوع الاشرار حاصد
خضراء بني العناد ومزعج ارواحهم الى الفناء العفاة وكاسر البوادر
ومخرج اوداجهم من دار الغرار الى دار النار ومبيد الفرار المتمنع
المطهر • المحجاج القسور قالع باب خيبر مطلاع الانجد والاغوار • دافع
آثار الانهار وواضع اثار الاعزاز بمحضره من سابقة العبادة الازلية
الى الراتبة الابدية من الابرار ومبيد من حقت عليه كلمة الشقوة والنار
الكرار غير الفرار قسيم الجنة والنار • مروق المصفق ومرتق السكدر
نعمتك السابغة على من احبت العطا به بيده وانقذته من مضلات
يومه ومونقات غيه فتذكر وتبصر • ونقمتك الدامغة على من
خذلته العمرة بمدارج الشيطان ومراجمه وصرعته النكراء بحبائل
العدوان ومخائله وعمرة ثم راح يجله عن فلاح آجله فاعرض وادبر لطفك
الخفي بكل سداد ورفق وعطفك السني على كل مخلص صفي • واخذك الوبي
لكل عناد شقي وبطشك القوي على كل جبار عصي وصلك المتوفى الى
المكان العلي لا ابنار وقبلك الاني • وانمناه المرك المعفوق الذي حمته

في القدر وكتبته في لوح محفوظ لا ابتداء له ولا انتهاء بدرك العليا وقدرتك
العظمى وآياتك الكبرى وكلماتك الحسنى وسبلك البادي المقصد
الزائد وبدليلك الهادي الى اقسط المناهل وانبط الاوادي معهد من
هوى • وبحبل نعمة نور الورى وعلم الهدى السائق الى فرحة البرزخ
وراحة النعيم في جنة المأوى • ودليل النهى الدال على نجوة الخلد
وسلك لا انبتات • التحفة المنجية من الردى لمن سلك وعبر خليقات
المغرور طاعته على كافة من ذرات ذرات من الجن والبشر من عابر
ما نهى وامر • وبجلك على جميع من اظلته الخضراء واقلته الغبراء
من اوجحد اقر وانكر • الذي ضل الغالبين واغطى الناظرين وكمل
التنطيق وشهد بذلك وحنين ولم يبرح بسطلرعة عين ولم يغفل
عن نهيه من مجلسه وبين بذكره دعوته بطي • الذي تابع البعثين
وهاجر الهجرتين وقاتل الغالبين غير ناكل عن قدم ولا وان في عزم
امتثالا لامرك الذي جعلته آية لمن توسم وفهما لمن عقل و
تالي من تدبر المستقل عنده كبد السنان وجهد الاين وآداب
الحناجر لكل مخصص المسؤولين ولا ابنه في حود القبر وعظم الحجر
العالم بتاويل الآيات وتنزيل السور • الذي بيده مقاليد السعادة
والشقاوة ومفاتح الجنة وسقر وعليه حساب من برو وفجر و
الينه اياب من امن وكفر • الذي يفاتح ابواب المدخل وكلم من
الفئة الجهولة بما ارشد بصره وهدى وحق • بعد ما نصر الشيطان
وخذل الايمان وكثر الطغيان وعبدت الاوثان العدوان
وانهارت دعائم الايمان وتكررت معالمه تهددا وبعد ما عمت
موبقات الغرور • وغلبت موجبات الشرور وانتشرت الظلمات بالبدور
ومحت سمت الاقدار وضاقت الصدور بما ذاع واشتهر في معشر المنعم
ساكت بالحكم وجاهلهم بالحق متكلم لا يفرقون بين الحق والباطل ولا يميزون
المعروف من المنكر • نام بالامر حين تقاعد المتخلفون الخاذلون الذين
في صدورهم نار الشيطان وفي جحورهم مسدد ويا لسنتهم تطق
وبقلبهم نطق • وجاهد منتصرا للناكثين والقاسطين والمارقين
اذ كانوا الكل من الحسد وغدر • واستصلا من كل من لم يؤمن به ولم يسلم له لسانا

برح في الجنة بين الحب والقلب • فتفكر وتدبر ثم تكرر وتدبر ثم نظر ثم
عبس وبسر ثم ادبر واستكبر ثم تقدم واخر • اللهم وصل على بضعة خاتم
الانبياء وكهف سيد الاوصياء النازلة بنورها من السماء المكنون ولاء
عينها والغاية الازلية على لوح القدر • قرة عين الرسول المعروفة
القدر المجهول فاطمة الزهراء البتول سيدة نساء البشر وام الائمة
الغرر وصل على ربيبها من العترة المصطفوية الطيبة الطاهرة خير العترة
والاسرة المرتضوية الزاكية الفاخرة خير الاسرة • الاسباط المنتجبين
المعصومين المقربين التابعين الصديقين السابقين الاحد عشر
نقباء الدين القويم الاحوذين بعيانهم عن تحريف الجاهلين بشارة وقرناء
القرآن العظيم الصادرين عن بيتنا بنابته المختصين بترجمة لسانه • و
خلفاء النبي الكريم الناطقين بترجمانه في كل صغير وكبير مشيد ما من
الايمان وعذابه وناف الاحسان وادكانه وادوية الاديان وغطاية
مواهب العقل لسانه عندي زوي الغواية وادبر • واضاءة
الدلالة في ان نشر • مصابيح الامة ومفاتيح الرحمة وعيبة العلم وخزنة الوحي
الحق والسنة الصدق الذين بهم ابلج من دياجير الغيوم وبهم اوضح
صراط المستقيم السالك بمن امن به الى جنات النعيم • اصول الكرم وسادة
الامم واولياء النعم وينابيع الحكم لهم خصائص حق الولاية وبهم الوراثة
والوصاية لهم بهم يحق العالي وبهم يلحق التالي صاحب تقهم به من دمع القلب
وسبح الكبر • منازل الابرار وكفاة الاخيار ساسة العباد وأركان البلاد
وشفعاء يوم التناد منابر الاسلام الهداة الى دار السلام الحكام بين
الانام في ساحة المحشر • مطالع شمس الرسالة والنبوة ومنابع عين الفتوة
والمروة الذين اطلعتهم على مصون سرك ومكنون علمك وجعلتهم حجابا
بينك وبين خلقك وابوابا الى معرفتك واوجبت حقك لا تعالنهم من لا
يجلسون في ذنبهم تجاسا ولا يبوحون بهم من حدث فعمتهم عليه انبا عند
من نقض حق التدبير واعتبر • الكواكب العلوية العلوية المشرقة من ضياء
العصمة الفاطمية سماء العظمة المحمدية الناطقة الازهر • الانوار الالهية
القدسية الفائضة على الهياكل المنضرة المودعة لاغصانها الدوحة الاحمدية
الباسقة الفرع • الدرية الزكية الهادية المهدية المخلصة الصفية لا

شرفه ولا امره • الى آلهم خير البرية الفائز بكرامة الحظوة وعظيم
القدر بنفوسهم بمكان من المنزلة المكنون المضمر ومنازل لهوادي نورك
الذي لا يستضيء به الا من اوليته سناء الفرحة وذكاء الفؤاد وصفاء
الجوهر بقلوبهم مجال الادليل في القدر • ومظاهر لما كتب في لوح القضاء
من كل امر مقدر • مفترض طاعتهم طيب متفرق شيعتهم اطهر شيء وادومهم
اعز الارومات وتجمعهم اكرم المحتد مستودعهم خير مستودع ومستقرهم
اغبط مستقر • نصيبهم من نتائج انعامك اوفر نصيب في اكثر • و
قلبهم من نتائج اكرامك تعنت قلب واطهر نفعتهم احسن منقلبة
المحمد ومقاماتهم ارفع مقام واثر • هم الذين لولاهم لما خلقت الارواح
ولا الهياكل والصور ولما ظهر في الكون عين ولا اثر • ولو ان كل
الثقلين والاملاك يكتبون مناقبهم ومناصبهم بمداد البحار واقلام
الاشجار على صفحات الارضين والواح الافلاك لما احصى معشارها
ولما بلغ • اللهم فارزقنا ازكى صلواتك وانمى بركاتك وابهج تحياتك
واسنى رحماتك على الامامين الهمامين العادلين الكاملين العالمين
العاملين غاربي الحربين وقطبي الخافقين ودرتي الحجاب الملقبين سيدي
شباب اهل الجنة ووارثي المختار الحجة الذين كانا للسيد العشر
بمنزلة السمع والبصر • قرة عين الرسول المؤتمن وثمرة فؤاد البتول
وحبيبها ما في الحي • على كاشف كروب البلايا والمحن صاحب بعوائق الرزايا
والاحن دافع اعلام الفراغر والتبن الشاربون على الغوم من ابي محمد
الزكي الحسن الذي لا يعرف عباد مقادير ولا يدرك منتهى رضاه
الفكر وحديد النظر ورب الثقلين وفخر الملكوت ومهد المتقين وبقاء
الفرقدين الخارج عن محيط الاين لو كشف الغطاء من البين • الذي كان
لاعيان الاكوان قرة عين وقال وبنا برسيد الثقلين حسين مني
وانا من حسين ابي عبد الله الشهيد السعيد الكريم الظفر • الحبيب المجيد
العظيم الخطر • الذي جعل في تربته الشفاء من كل داء والامان
من كل خطر وتجيب تحت قبته الدعاء لكل مضطر • وعلى جامع
مكارم المرسلين ومستودع علوم الاولين والآخرين مفزع المقربين •
وملجأ الصديقين مرجع العارفين وملاذ السابقين منهج كروب

المتربين مرجع قلوب المسترشدين ذخر المقربين وملجأ صفوة المجتهدين
المؤيد بعزة جلال المتهجدين مغرس يثار المستضعفين بدو نبراس المستغفرين
قدوة الزاهدين واسوة الساجدين • ابي محمد السجاد زين العابدين
مفخر اهل البدو والحضر • الذي نطق بامامته الحجر ايثا الالامة بحجر من
حصر • وعلى البحر الزاخر الحجر المالي الغيث الماطر البدر الباهر العلم الزاهر
منبع عيون المحاسن والمآثر مجمع فنون المناقب والمفاخر ومظهر مكارم
الاوائل والاواخر • مستنبطا كامن المعالي في المظاهر منور سبل المواعظ
الزواجر مهذب صحف البواطن والظواهر • خازن الحقائق والاسرار حافظ
الدقائق والذخائر العترة من تحيته السلام على لسان جابر ابي جعفر محمد بن علي
الباقر • باقرها مضمن بحر العلوم وبنحرها وما سبقت منها ونظمها • من في
الكتاب وبحر نطقه • ينشر ما انتشر وستر ما ستر • وعلى كاشف كنوز الحقائق
ودقائق رموز الدقائق ملاذ كل مقرب سابق معاذ كل مهذب فائق المفحم
بحجته البالغة لما ادركه مارق المسجي بحكمته النابغة من بوائق الحقائق
مفتاح مغالق المغالق ببيان الناطق ملاذ دقائق الحقائق بلسانه
الرائق الذي كلت السنة البلغاء عن وصف غرر البارق • وحسرت
السنة الخطباء عن نعت محاسن الناطق اعلم اهل المغارب والمشارق ابي عبد
الله جعفر بن محمد الصادق • مخزن اسرار الالباب والنور ومنبع انوار
البركات كالفجر • وعلى بحر المناقب والمعالي جمال الاعاظم والاكارم شمس
فلك المفاخر ومحيط درر المكارم رافع اعلام المحاسن ودافع اكارم الدعائم
كاشف مدلهمات الامور ودافع مكفهرات العظائم • دافع اثار مشعلها
المحذور وواضع اثار موبقات الجرائم الذي كلماته لدرر الحكم الغالية
ناظم وبيانه لظهور النبيا العالية • فاصم عرى الغواية بعبارته ذريع
وقبيل الدرائر برعايته ما تم الذي لم يخف في احياء الحق وابادة الباطل
لومة لائم ابي ابراهيم موسى بن جعفر الكاظم • الذي قال الي سبيل ربه
بريئا بالغيل حتى علا الحق وظهر • ودحض الباطل واندحر • وعلى السيد
المجتبى الكريم المرتجى الامام المرتضى الهمام المنتقى مظاهر ذاتي النجاة
من حر الظلم • والفوز بالدرجات العلى من جنة المأوى الذي رضيته
لرفع اعلام البصيرة والهدى • واصطفيته لانقاذ الانام من الردى الضلالة

ثم مرضاته على ما جرى من الاذى المؤلم للبضعة وطوى على الجفاء والعترة المثنى
الحلال الذي حاز الى السدرة والرجاء سلطان سرير الارتضاء ابي الحسن علي بن موسى
الرضا الذي قرطاسيه رسائل يجنبه المكتوب على لوح القدر بما شاهده
من نار عزة الاتقى وراى من انوار رحمن الابهر • وانتهى دليلي الفؤاد في
العسكر • ثم انتهج بتسليم الاسرار اليه وبذل المال المحر • وعلى المجتبى كامل
النجابة وارع امثال الزهاد طلب الامتثال الاوتاد ومحز الاشراف في
الاقتصاد كاشف سكر سبل المحجة البيضاء المعاد ومفرج هموم المذنبين
يوم التناد الذي لا يجمع الا الا بشارته منك لنا سالكين ولا ينفع الا
بالانقياد له عبادة العباد سكن الاين في دقيق الاكباد بهما به
سبيل الرشاد وبقيا به سلسبيل الارشاد الذي الحم في عنان نز
سنيه وغضاضة غضبه صناديد الاضداد والحساد وغابه ابناء
الارواح وابداء الاجساد ابي جعفر الثاني محمد بن علي التقي الجواد صاحب
الشرف الابلج الازهر • ومراكب المجد الارفع الافخر • وعلى نور رك
البادي لكل رايح وغادي المشاهد بعلو مجده وسمو قدره الاحباب في
الاعادي الذي يغتني بنشر مفاخره التاديه كل نادي ويترنم ببث
ماثره الحادي في كل وادي منبع الاحسان ومفرج الايادي مروي الكبد
الحرى ومحلي القلب الصادي العائد بالمعروف البادي على المقتصد و
الرايح الجادي وابائه الاحدين المجرة هداية يوم ينادي المنادي لمحزن لاعدا
الماخوذين على تراب نصرته ورعاية حبه لا يجمعهم الخصائص والتنادي
التابع المعز على كل حاضر وبادي ابي الحسن الثالث علي بن محمد النقي الهادي
الذي بصر وهدى وبالغ في النصيحة لمن وعى وامر ونهى ورغب و
حذر • وسعى بصفو معين قد روق من الكدر • وعلى السيد الصفي الحبر
التقي البحر المليء مخزن اسرار الحق ومعدن العلم الجلي ملاذ العلية
والولي ومعاذ العادي والوفي عند البطش القوي النور القدسي الفائض
على الهيكل الانسي الجوهر الملكي المستودع في القالب البشري الفائز بالنسب
الفاخر العلي العلوي والحسب الباهر النبي النبوي • صاحب الاصل البهي
الالمعي والفرع السني العبقري ابي محمد الحسن بن علي العسكري الذي اظهر
من الدلالات البينات الخارقات للعادات العسكر • ما لا عين رات ولا اذن

يوم الاخفا لوبيم

سمعت ولا خطر على قلب بشر • وعلى الحفيظ العليم الذي جعله على خزاين
الارض والوالد الرحيم الذي ملكته ازمة البسط والقبض الامام الهمام
الناطق بايضاح الحجة لمن سال على جميع الانام وايضاح المحجة النقية المنجية
من غمار دهن الحجة اللجي الذي لا ساحل لنهايته البحر الذي ينقطع وصف
الواصفين دون البلوغ الى غايته الذي لا يرتفع نور الرجز الا بولايته في
لا ينتظم امور الرعية الا برعايته الذي شرف الارض بنوره وشرف
وارث الانبيا خاتم الاوصيا جامع الانجاب مفرج الاولياء ملجا الاذكياء
كهف الاتقيا حصن الارض وحارس السماء الذي بوجوده امسك الخضرا
وبجوده اقلت الغبرا ولولاه خسفت ما فيهما وما بينهما عن نظر القضاء
بقية الله المستور المغمور المنتظر المنتظر • وخليفته المشهور بالنصور المؤيد
المظفر • صاحب الكرة البيضاء الذي على يديه دارت الرحى وبيمنه رزق الورى
وببقائه بقي ما اجريت من عادات من سوابغ النعم • وبدوامه دام ما
امتدت الى بلادك من سحائب الالاء الذي لولاه لما قرت عين لما قرت الارض
ترجعه بصيرة ولما هبت الرياح وما نزل المطر • ولا تكدرت النجوم وكورت
الشمس وانخسف القمر • سلالة الائمة الابرار بقية المصطفين الاخيار
وارث ذي الفقار الموعود بالانتقام من كل معتد جبار المعد للانتقام
من كل كفور عناد • كاشف كروب الاشرار والاغوار ورافع دولة الاخفا
والاظهار حافظ الاديان وحارس الاذوار صاحب الدار ومهيمن الديار
المنبي عن فيه في صحاح الاخبار • اشبه الخلايق بجده سيد البشر
في الحلية والسيرة • رافع معالم الدين ومقصم شوكة المعتدين بفتح
خزاين الغيوب ويبرز دفاين القلوب بهدم جدار الشرك والنفاق
ويمحو اثار البغي والشقاق • ينقشع سحاب الجور ويجلو ضباب الاحزن
بحد الحجاب ركب السحاب ويردي سنة الانساب ويطوق بالصواب ويخني
الغفير من المتاب ويميز الصفو من الكدر • ليشرق ظهوره ويظهر نوره بعد
استطارة العقول وصعقة النفوس من طوارق البلايا وبوائق الرزايا • و
تلاطم امواج الكروب المزعجة وتراكم افواج الخطوب المدلهمة وتزاحم الفتن
الهائلة وتصادم المحن القاتلة ودعوة الحضرة الجاهلة وتشوق النفوس الخائفة
وطول تاسف الخيبة وتمادي لهب الحسرة وشدة نار الفرقة وقوة سطوة

الجبرية وترزقها الإبلاغية بقبول الآثار في محمول المستقر وهي الحجة بخطاء الأرضية
ما نشره وتضم ما انتشر • مفتاح أغلاق إغلاق الملكات الملكية والأخلاق
الإنسانية بمغلاق أذواق أطباق الدعائم الفارسية والجرائم الجسمانية
مرائي الأنوار الجبروتية وسرحة الربانية ومغلاق الأسرار الملكوتية السبحانية
محيد الحقائق الخلقية والأمرية بفطرته العلية مجلي المفاتح الحنيفية • و
المآثر الجليلة بطينته الزكية مجدد الدعوة الباهرة المصطفوية مذكي
النطوق الفائقة المرتضوية موطن العصمة الزاهرة الفاطمية معدن الكرامة
الباهرة الحسنية مكمن المراتب الفاخرة الحسينية مجمع المناقب الطاهرة السجادية
منبع المعارف الساطعة الباقرية منبع الحكم البالغة الصادقية مطلع
الأنوار الساطعة الكاظمية مظهر الحجج القاطعة الرضوية مخزن الأسرار البرية
النقوية مسند المقامات العلية النقوية مصدر الكرامات السنية • ه
العسكرية محجة الحق والدين الذي يجتمع على التقوى كلمة الأسود والأحمر
ويملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا أهل الاستطارة وانتشر
دبوسها مأثمة ونفعا بعدما انجلت بعد الكون جورا لا يحقق ولا ينتشر
منهم بالتوبة ويعجل لهم الرحمة ويدعو الناس إلى أمر قد درس • اللهم اجعلنا
من ملككك المقربين وأئمة محمد بك الغالبين وجنود سلطانه ما انتهى من
نعائم الدين وأحيى به ما أمات من بدع الجاهلية وأخال المبطلين وأكفيه
بأس المتآمرين والمتجبرين واقمع به المتغلبين والمتكبرين ودمدم
على من كذبت به وأزرعته وأنكر وأفضم به شارقة البدع ودرس
المنكر • وأدم إمسكانتنا وذلتنا بعز لقائه النظر • وأشف غيظ قلوبنا
بخزيه فإنا نوم يخرج ويظهر • اللهم انصر بنصرك الغالب ناصره وخذ
بأخذك العزيز خاذليه واجعله في كنفك الإبرام الحريم والاعتصام من كان بيته و
احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته
بحفظك الذي لا يضيع من حفظته به واجعله تحذ لنا بأيدي القضاء والقدر
مستوليا على ما أورد وأصدر • اللهم صل عليه وعلى آبائه ما جرت النجوم
في الأبراج وتلاطمت البحور بالأمواج • وما أدلهم ليل داج وأشرق
نهار ذو ابتلاج لكل ناظر نظر وانتصر • وما بزغ كوكب وأنار وما
طلع صبح وأسفر • وما هبت ريح وأمطر سحاب وانهمر فجوا • وما أورق

غصن أو خرج نور وأينع ثمر • وما اتصلت عين بنظر أو أذن بخبر المحبة
اللهم صل عليهم ما تعاقبت الأيام وتمادت الأعوام وما خطرت الأوهام
وما تقلبت الأحلام وما انتعشت الأنعام وتحببت الأجسام • وتعاقب
الأنام وما تحركت السماء وسكن الرغام وما استقرت النطف في
الأرحام للمقدرة من خلق أنثى وذكر • اللهم صل عليهم صلوة جليلة
جزيلة زاكية نامية كاملة شاملة مقبولة موصولة منتهى المعتبر
أرواحهم وعظام أجسامهم تصل إليهم مقرونة بالروح والسرور محفوفة بالنضارة
والنور دائمة بلا انقضاء ولا فتور • صلوة لا ينتهي إليها فوق الأوهام
ولا يقف عليها تأمل الفكر • اللهم إنا نشهدك أن هؤلاء المصطفين
المنتجبين أئمتنا وسادتنا وقادتنا وكبراؤنا وشفعاؤنا ومواضع
نجاتنا وعروتنا متمسكنا أئمة الهدى ومصابيح الدجى ومناهج التقوى سبيل
القصد وسنتهم الرشد وأمرهم حكم وحتم عند من ذاق حلاوة الدين
تعتبر • وآياتهم علم وحزم عند من ترتب بكأس الصبر فصبر • المتأولين
على الحق والمستفزون إلى الخلق بالحق عميمة العدل والفضل كالنجوم
عظيمة الحجر ولا يزال إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا نطقهم راحة
لمن فوض ونجاة لمن صدق وفوز لمن سلم وغنم لمن اغتنم وفيهم من الحكم
وصمتهم عبرة لمن اتعظ • ويتبصرون لمن علم وذكر لمن تحدس وأنهوا من
توسم وحجة لمن نظر أثبتهم بنور عظمتك وأرضيتهم لغيبك و
حكمتك • ووليتهم أمر مملكتك وأجلستهم على منابر النور وسقف
السرور وكراسي العز والظهور • وجعلتهم محال معرفتك ومساكن
بركتك وحفظة سرك وحملة كتابك صرفت نحوهم أفئدة الأبرار • و
نسبت إليهم رتبة الأبصار بهم شدت أركان الضلالة بركبهم الأرض و
أفقت دعائم الدولة بمعرفتهم الأخيار • لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه
ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه من تمسك بهم ولجأ إليهم فقد
فاز ونجا وظفر وأبشر • ومن عاداهم وتكبر عليهم فقد ضل وغوى و
لحد وكفر • اللهم وأشهدك أنهم دعائم الإسلام وذو لانح الأعظام
بهم غدا الحق في نصابه واستقر في مقره وانزاح الباطل عن مقابره وانقطع
لسانه من منبته مات بهم الجهل ميتة معقبة وعاش بهم العلم عيشة

مهجته يصولون بصولته ويفخرون بحبوته ذلك بهم الصعوبة وتسهلت
بهم الحزونة حتى مرج الضلال عن نهج دين الحق من صدد عن مناهل
الغواية فاختبروا وانتجبوا. وقد تسلسل اليهم الذنابة فاختبروا ذكر. اولئك
لا يخذلون انفسهم والبيعة لا تظلم اصواتهم لا انفصام لعروتهم. ولا تلك
لخلفتهم ولا انهدام لدعائمهم ولا مزاحمة لكراماتهم ولا انطفاء لمصابيحهم و
لا انكسار لجناحهم ولا اعقاب لشرعتهم ولا اشتباك لطريقتهم ولا انقلاع
لشجرتهم ولا انقطاع لبيعتهم لا وكس لحظهم الاوفى من كل ما بسط
ولا بخس لنصيبهم الاوفر من كل ما يوزن. هم القائلون بالاذن القادرون
بكل ذلك الادلاء على الزلفة والقربة الادعاء الى كرامتك فلذلك لم تكن
لاحد منهم نهمة ولا النائل بهم بمغضبة مصابيح الظلم ومفاتيح النعم.
اخترتهم من سلالة المجد الاقدم واخترتهم من طينة الكرم الاكرم
عادتهم التفضل والكرم. على طوائف الامم وحننتهم الاحسان الى العرب و
العجم. بفرائد النعم وطرائف الحكم اسالك على الحقائق ما بدا منها وظهر
وما خفي واستتر. وخلفاؤك على الخلائق من عترتهم وتخيرتهم وانتجبتهم
وانتخبتهم. اللهم واني اشهدك اني عارف بحقهم معترف بفضلهم مؤمن
بايابهم موقن برجعتهم منتظر لامرهم مرتقب لدولتهم سلم لمن سالمهم
حرب لمن حاربهم ولي لمن والاهم عدو لمن عاداهم او بري ممن برئ منهم و
على ابنيهم واتوسل اليهم في حضورهم وغيبتهم في القعود بجبارة
الغيظ الاغيظ والحظ الاوفر من نوابغ اياديك التي لا تحصى وعوائد نعمائك
التي لا تحصر. وبنصرة قائمهم المنتظر وغيبتهم المظفر. على قمع جحوده
اشياع اعلام الغدر. وبضم شوكة اذناب نصاب الغدر الجاحدين لحق الائمة
بعد نبيهم الوثيقات الناكبين عن الالزام لطريقتهم المثلى صماعة فيتجهى وتيه
بوء عمرو. اللهم صل على محمد واوصيائه الاثني عشر. الذين اصطفيتهم على
جميع اصفيائك ... وبلا ... بكريم المجد وعظيم الفخار وصاغت ... على
على ... المعتدين المرتفعين لانطفاء نورهم المستنين الذين حرموا كمال المبين
وبدلوا دينك المبين وعادوا اولياءك من الانصار والمهاجرين. وقالوا ...
من الذين جعلوا القرآن عضين. وخالفوا امرك نكثوا وخلفوا عهد التبليغ
النبي وغيروا احكام الذي حث على العباد لاتمام النعم واكمال الدين و

ازالوا الحق عن موضعه المحصين وحرفوا شعائر الملبين وضيعوا عليهم الاجر
وغرتهم عن قرار دينهم المكين واغروا بالاقلية واقتدوا باعادة الجحد. لم يرجعوا
راسا الى نصح الناصحين ولم يدنوا كاسا من نهل اليقين. اللهم سلكتهم في
سقر. وعذبتهم العذاب الاكبر. والعنهم لعنا كبيرا اغزر السقر اشتهم
الى قيام الساعة وسياق الزجر. بل الساعة موعدهم والساعة ادهى و
امر. اللهم العن الذين رفضوا اتباع الثقلين وغمضوا العينين عن قضاء
حقوق المصطفين بحبائل الاولين الذين لم يولوا سنا بابك طرفة عين ولا نشا
دعائهما الى اظهار الاسلام محافظة المداهنة والشين. لو كشفوا الغطاء عن الغيب
الذين حملوا اهل طهور ديهم مصلحات الشاء ومقطعات الجنين بالافراد الى
ولم ينظروا الى ذنب الآثم ولم يبصروا محمد العين بما فيهم فبئس الخبث و
علاهم نعقت الريح حاد واعر بصدى النبال وتاروا بغير دليل بعد ما انتاب
عليهم الحجة وانقطعت عنهم المعذرة واتضحت لهم المحجة فاستدت على
شعائر الايمان تكبيتهم وتغلغلت ازمة العدوان وطاعتهم حتى لا انفى ...
مدى فلا دين. الا اضرموا على اهله نيران الطغيان واوقدوا عليهم شرر الضرر
هم الذين ابتغوا سرا وجهرا فلم يضيعوا ولم يتبعوا ودعوا شرا وزجرا فلم
يجيبوا ولم يرعووا ونصحوا بدا وكورا فلم يقبلوا ولم يقبلوا واضيعوا الحقائق
وطرحوا الوثائق واستهانوا بالامانة ودحقوا في الحجائز ... اهوائهم
المرديه مع الماثلين وتطفلوا بارائهم المغوية في شعائر الدين. عبدوا
اصنام الغواية والاغترار وتطفلوا احكام الاختيار والانتحال. لم يدعوا محرما
الا استحلوه ولا عقدا الا حلوه. لم يبقوا عملا من الاعمال توقيفه ولم يضعوا
امرا من الامور موضعه حاملوا لئام الارذلة وحاملوا كرام الاعزة الحقد والبغض
دولا وعنادا لتحولا الصالحين حربا والمنافقين حزبا حتى بدت من
الايام كلواح العاذب ومن الليالي كدوح الغبر. اللهم العن الذين
عصوا رسولك المصطفى المختار الصادع بجميل اعباء الانذار والانذار وخذلوا
وصيه المرتضى لانقاذ الامة من شفا جرف هار. الذين ازالوا الحق عن مكانه
واقاموا الباطل انطابه هدموا دعائم الاسلام واصروا بالحقوق وغيروا
تراجم الاحكام واصروا على الفسوق خانوا العهد وقطعوا الال وبدلوا احكام
فلخاصة الحق واشاعوا الباطل هو اكبر الجرائم وركبوا اخطر العظائم ثم تجاهلوا

عدل فاذا يعدلون لا يهم نصبوا للناس اشراكا من حبائل غرورهم فاتوهم لجهلهم اكل الآكلين
سوط اعتدائهم وتولوا وزر ليس بعدما لانبيائه بالذين عاتبه الا اتوها وانجدوا
الى شق عصا المسلمين بطاعة الاضداد وما نحو من سبل الجور سرا وجهرا على كل
من تقدمهم • وخفض المعروف جانبه لصولة المنكر • اللهم العن
الفئة الباغية التي نكثت عن نهج السبيل وتمسكت بحبائل الاباطيل
كفرت بالكلمة • وتعكفت على الظلم فهجرت محكم الكتاب وعدلت عن
سبيل الصواب ودفعت الفجور وسعت في الغرور وجحدت النور و
نبذت الامور فسلكت المحاذ الكرام وتوصلت الى وفاد الكرام توازرت
على الاعتداء رئاسة هشيم الدنيا فاعرضت حظهم الاراذل الاوائل وسلكت
مسالك الطغيان وقطعت الى مصارع العدوان الذين بهم قامت
الوية الشيطان وتدرست اعلام الايمان ولقد جاءهم من الانباء ما
فيه مزدجر • اللهم عذبهم اسفل العذاب ونكل بهم اشد التنكيل
والعنهم لعنا لا يغيب المنتعش ولا يبلغ المستعجل لعنا كاملا لا
لا يحوي سطوة من شدد ولا يبلغ من صولته من تمرد لعنا دائما باقيا
لا يبيد ولا يبلى ولا ينفد ولا يفنى ولا ينفذ ولا يتغير • اللهم والعن
الناصبين باجمعهم والاخذين بحجزتهم والمتمسكين بمودتهم و
المستمسكين بمحبتهم والمعترفين بامامتهم والمائلين الى اهوائهم و
المنقادين لطاعتهم والخاضعين لدولتهم والمذعنين لاعزاز ذكرهم
والمنتحين الى اكثار تطلبهم والمتمردين في معاوي حكمهم والمرخصين
لباطلهم وجهلهم والتابعين لسالفهم والتالين لخالفهم الذين
لا يعتبرون بالحجج البوالغ ولا ينتصحون بالآي القواطع التي لم تدع
سبيلا لمن انحرف ولم تذر معذرة لمن اعتمد • الذين لا يحجون اليك
مما انزلت عليهم من حجج سقي الالباب بهم السامي في القضاء السابق
في القدر • ولا يستمعون بما نطقت لهم من الحجج ولا يبصرون بما نفقت
لهم من البصر • اللهم العن السائرين في منار ضلالتهم السائرين بمنار
ضلالتهم الملتحقين بزمام ارادتهم المتابعين لحجام جلادتهم المتعصبين
بعصا تونيبهم المتقلدين لعلاقة اطاعتهم الناظرين بابصار عشويتهم
الغاربين في تهامه عمى بهم المنتزهين الى حفائه اجنحة ادوارهم المستغرق

بحبائله باطله وزمهم المنخنقين لسطوات بحورهم المتذللين لحمرات
صولتهم المداهنين لحبائله هوانهم الشائمين في مرابع المصعد
في سلاسل نجوانهم المشتغلين بهم السهدين في الاذيال لحبائل بغيهم المتجاهلين
عن مساوى افعالهم المتغافلين عن فظائع احوالهم الناهجين في تلوث
سلوك سبيلهم العامهين في غمرات ضلالات لبلهم الذائبين في حوز و
غباوتهم الحارسين لبيضة شقاوتهم وكل من رضي بفعالهم المنكر
والتحق على منوالهم المستقذر • لعنا يرغم الجميع من تابعهم بمن تابع
وتابعهم فيمن تابع • واعانهم فيمن اعان ونصرهم فيمن نصر • اللهم والعن
اشياعهم الصم واتباعهم العمين وكل من لم يتخذهم وانعى اثرهم
من الاولين والاخرين وكل من سلك سبيلهم واتبع دليلهم من
الغابرين والعابرين الذين يجترون دينهم سفاها ويكونون لباغي
الغوائل وناعقي العمائم نعقا لا يؤمنون بالله ورسوله ولا يدينون
دين الحق ولا يرتدعون عن الشرك كامن في سلاح الباطل بعد ما الحق ذرهق
فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق
فما لهم لا يؤمنون بعد ما تبين نهار النجاح واشرق وتبلج صباح
الفلاح واسفر وبعد ما انطر سحاب الاحسان وابل البرهان • و
اغدق وارسل سماء الفوائد بسنابيب الهداية ووقد حتى يركضون
في اودية العصبية ويحملون على ظهورهم اوزار الحمية اذا لقوا الذين
امنوا لقوهم لاثارة الفساد واذا فارقوهم سلقوهم بالسنة حداد قد
بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر • اللهم اخصفهم بالبلا
وارعهم بالقوارع واصبهم بالجوع الاوجع ومهم بالموت الاحمر • اولئك الذين
ضيعوا ما صنعوا فاتبعوا وتمادوا بالمحصد وما دعوا وهولاء الذين رضوا
فطلبوا صبيهم فاتبعوا وقرن الارتياب في لجج الفتكات عند كوب سعيد
المحاذاة ما دحو واتبعوا باطلهم ما اخذ الوا واوقعوهم بما وقعوا
وهجوبهم عما هجروا في مصارع المرد ومصارع الخطر • اللهم العنهم لعنا
لا انقطاع لحزنه ولا انقطاع لسببه لعنا لا انا يه لا بين ولا احصر لعدده لعنا
لا ينحصر ولا يتنفس ولا يبلغ الرخاء ولا يبقي لاجمد ولا يبيد ولا يتغير ولا
يشتق • لعنا لا يحويه الظنون والاوهام ولا يحيط به العقول والاحلام لعنا

بتطاير الأكمام وشعود الأنفاس وتغابن الأيام أدبر • لهفنا من الدور وإن نحها
ونحت الأحجار وتزيل الأكوار أرأيت لهفنا من وزن الجبال وكيل البحار
وتعديل الرقام الريح لهفنا من تحمات العيون بخطرات الأوهام • وحركات الأقدام
أكثر لهفنا تعبدا بلا يكون إلى المخلوق قولك وثق نطلب سمة
لهفنا وبنى الأذكار يقوى لبنيان لا ينقض ولا يتزعزع ولا ينهدم
ولا ينقطع ولا ينكسر • اللهم قد نزهم قلبا كما تنزهت أهل النار
ونخلدهم في سقر وانسلكهم في نفسه عذابك الأليم ودعها بك المهين
التي لا تبقي ولا تذر • اللهم قطع لهم ثيابا من نار يصب من فوق رؤوسهم
الحميم • يذاب به ما في بطونهم وجلودهم • يوم يسحبون في النار على وجوههم
ذوقوا مس سقر • كلا لا وزر • اللهم صل على محمد وآل محمد وشرف بنيانهم
وعظم برهانهم وثقل ميزانهم وتقبل شفاعتهم وقرب وسيلتهم و
بيض وجوههم وأتمم نورهم أشرف محال المكرمين وأعلى منازل المقربين
حيث لا يلحقهم لاحق ولا يعلو فوقهم فائق ولا يسبقهم سابق واجعل صلواتنا
عليهم وانقطاعنا إليهم تزكية لقلوبنا وكفارة لذنوبنا إلى كي
أوقعتنا في مهاوي الجزى ومصارع الخطر • فيا من لطف بأن مزج طينتنا
بفضل ما بقي من طينتهم ثم أرضعنا من ثدي الهوى بحلب محبتهم ودمنا
في حجر الاعتصام بعروة الطاعتهم والبسالة الإقرار بوجوب الكون
معهم وفرض الدروم لحجاتهم صل عليهم وعلى الأرواح التي حلت بفنائهم
وأقامت بساحتهم وعلى الأشباح التي أذنت لها في زيارتهم و
دخولها إلى ديارهم ولا تسلبنا ما منحتنا من معرفة قدرهم وشرف مراتبهم ولا تنزع
عنا ذلك بعد الإيمان بهم والإقرار بهم ربنا فذلك ما أكرمتنا به
من التعلق بعروة عصمتهم واسلكنا سبيل المهتدين باستضاءة مصابيح دينهم
واتفق بنا آثار المتشبثين بأنوار مصابيح ولايتهم ووفقنا لاتباع دينهم
وسلكنا وأعنا على اقتفاء مناهجهم وسننهم التي من سلكها أوصلته
إلى الغبطة بعيد الخطا سبقن وهي السبيل المنيب المنجوة لل...
الضعفاء أدعى سمع والعيني العفلاء أحد بصير • اللهم اعنا يوم حشرنا
... المدعوين بإمامهم واسقنا يوم اللقاء من حوض الاستشفاع بكأس
كاملهم وأجزل لنا في قسم المواهب من نوالك وزدنا فليلا بهم حظوظ الرغائب

من إفضالك والخواتيم المطلوب من طولك برحمتك وأتممنا بالمرغوب
من كراماتك بمنك واجعل قلوبنا واثقة بما عندك وهمتنا مستفرغة
لما هو لك وأوجدنا برد عفوك وحلاوة إحسانك وأذقنا طعم الفراغ
لما يوصلنا إلى رضوانك ولا تخذلنا ناسين لذكرك وشكرك فيما أوليتنا
ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا إنك أنت الوهاب • الحمد لك يا كنز
كل مستعجب وإليك الجأ ببابك يفزع كل مضطر أنت العفو بصفاتك
الكريم عن كل من أساء وأفرط ثم اعترف وأقر • وأنت الرؤوف
بتركك العقاب بمن عز كما غفر وجد دق فارتدع • اللهم لنرى لنا وسيلة
إلى عواطفك وأنبائك إلا انقطاعنا إليهم ولا لنا ذريعة إلى عوائد رحمتك
إلا ولائهم فأعطنا من مصادق المسائل بذلك وأمطر علينا بهم سحائب
إفضالك وأعذنا بهم من بوائق الدهور وأنقذنا بهم من سطوة عواقب
الأمور • سهل إلى طلبنا بنهج إليك سبيلا وذلل لنا قطوف ثمرة
إجابتك تذليلا فقد ضاقت السبل إلا إليك وانقطع الحبل
إلا لديك • فقد نوّستنا بالذلة وأحاطت بنا الخطيئة فانهرت
وانتهى بقطع رجائنا بابك الجليلة وأدمج عفونا وخفا وذعر زللنا
بكف بأيدينا الحيلة وانظر إلى تعبك الذاخر أحسن نظر وأمضنا
في الأخرة والأولى من حميم ما بخافت ونحذر • ولا تجعلنا عظة لمن
اتعظ ولا فتنة لمن نظر ولا نكالا لمن اعتبر • اللهم ارحمنا إذا أوقفتنا
المسكنة وجحفت علينا الكلمة وانبرطنا بالعرج ونطول علينا
بهول المخرج إذا عرق الجبين وكثر الأنين وبرح الطبيب • وبكى
الحبيب واشتد الآناس واشتد الإبلاس وسكنت الأنفاس ونبهت
من الأجل وطويت صحيفة العمل وصلت الحيل وانقطع الأمل و
تقطعت الأحباب والأوطان وفارقنا الخلان والجيران وحملتنا
وحفتنا سعفاة الظلم وشمتت كرية محفوفة الجنة بمحل طلب
فضل أشملك ضيق الضريح تطبق الصفيح مهول النظر هيل المدر • اللهم
آنسنا إليها وبك إذا انضربت الأنواع واختلفت الدهور وأرى
النشور • وارحمنا في ضرائح القبور وأروح الشباح وأوكار الطيور وعلى غير
مهاد ولا وساد ولا تفقد من زاد ولا أعيننا لمعاد وإذا الجبال حفاة

خزانة مغفرة الرؤوف بساحة الوجود وبقعة السعود بخاتمة الأنصار ذا ابة
الشفاء ومحوة الصدور • أنت المرتجى من لطائف الثرى وأنت المستجار من
نار نزاعة للشوى • تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى من عددوا وأخر • و
أنت الملاذ وأنت المعاذ إذا برزت متحوذ القضاء وبرز درس مذكور
الأثر • اللهم إن كربي لا يحسمها إلا ألطافك وحنانك وفقري لا يغنيه
إلا عطفك وإحسانك ودعوتي لا يكشفها إلا أمانك وذلتي لا
يعززها إلا سلطانك وذنبي لا يسعها إلا غفرانك وخلتي لا يسدها
إلا طولك وكربي لا يفرجه سوى رأفتك وضري لا يكشفه غير رحمتك
وحوبتي لا يبرئها إلا صفحك وصدأ قلبي لا يجلوه إلا عفوك وأسألك
بالمحمدية الرفيعة والعلوية البيضاء أن تصلي عليهم صلاة تنجي
الأرض والسماء وتجعلني ممن أجاب دعوتهم فآمن وداخل فيك
واقتفى فاهتدى وأرى وأرى فيكل الضلالة المضوز والروع وأزهق
وتقبل نذور الغائب المنتظر • وكتب مؤلفه الفقير إلى الله في كل
طرفة عين ورجعة بصر • محمد المدعو علم الهدى ابن محسن بن مرتضى جعله
الله ممن سمع فخشع وأبصر فاخشى ودخل فعقل وحاذر فبادر وخبر
فاختبر ونظر فأبصر واتعظ بالعبر • ليوم القعدة من حجة ثلث وتسع
والفين الأعوام المتمادية من هجرة سيد البشر صلى الله عليه وآله الماضين
من سطا بين وأصغى سمع الخبر • بقرية قمصر من قرى قاسان حرسها الله
عن طوارق الحدثان وجعلها الوثنين خير قرية وأحسن مقر إلى قرب ظهور
وأجل مقيد الطمع إلى دار المستقر ومنزل المغفرة • في مقعد صدق عند
مليك مقتدر • على انتهاء ما أردتم من القضاء والقدر • حامدا لله على
أياديه المتواترة المتكاثرة التي لا يطيق شكر أداها من عباده من كان أحمد
وأشكر • ولا يبلغ أحد من شكر غاية الإحسان عليه من إحسانه ما التزمه شكرا
أحمد مصليا على أنبيائه وأصفيائه سيما محمد وعترته الطيبة الطاهرة
الغرر • داعيا للجميع من سلم لهم وانتمى بهم وانتمى • مستغفرا من الذنوب
التي اخترتها فيما سلف وغبر • وأتقنا من الرغبة إليه والرهبة منه بما
يجده غبر وأتقنا بكفايته سببا إلى عنايته في كل صغير وكبير سطر •
ملتقطا مما سلف في خبر القوم بيكون المختصر بعد فهم أ

اللهم صل على محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين الذي كان نبيا وآدم بين
الماء والطين قبل أن تختمر • وعلى علي أمير المؤمنين وسيد الوصيين صاحب
سره المكنون المفتتح المختتم المحقق بمنقبة المنزلة وكرامة الإخاء وحامل
اللواء وسقاية الكوثر • وعلى ابنته العذراء فاطمة الزهراء سيدة نساء
البشر • وعلى سبطيه لنظمي الخافقين أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين
اللذين كانا السيدين المبرزين لهما السمع والبصر • وعلى فخر العابدين أبي
محمد علي بن الحسين زين العابدين الذي نطق بما تنبه المحن • وعلى جامع
مناقب الأوائل والأواخر أبي جعفر محمد بن علي الباقر مفخر أهل البدو
والحضر • وعلى العظيم بحجته البالغة الدائر كل ما دار أبي عبد الله جعفر بن
محمد الصادق مخزن أسرار الآيات والسور • وعلى مجدد ذرا المكارم موسى بن
جعفر الكاظم منشر أنوار الكتاب والعتر وعلى زعمان كرامة النقي
علي بن موسى الرضا الذي أقر طاعته زمانه بحجته الأبلج وغرته الأزهر
وعلى غايات أبناء الأزواج وأبناء الأمجاد محمد بن علي النقي الجواد
صاحب القدر الأسنى وراكب المجد الأفخر • وعلى سابغ النعم على كل
حاضر وبادي علي بن محمد النقي الهادي الذي لا يحيط بمنابته غوص
الفكر • وعلى أبي محمد الحسن بن علي الزكي ملاذ العدو والولي يوم
العرض الأكبر • وعلى المهدي الهادي بقية السنن المنصور المظفر
الذي يظهر بعد طول الغيبة وينادي الهاتف الخفية • ويمحو المنكرة
خفاء الأثر • ويجمع على التقوى كلمة الأسود والأحمر فيرد ما شرد و
يضم ما انتشر ويدعو الناس إلى ابن قد دثر • اللهم ارحم أنسنا كما تناو
ذلتنا بعز لقائه المنتظر • واشف غيظ قلوبنا بتحلو الأيحري في الكائن
يوم يخرج ويظهر • اللهم إني أشهدك أن هؤلاء أئمتنا وسادتنا وشفعاؤنا
ومواضع نجاتنا من مواقع الخطر ومصارع الغرر • وأشهدك وكفى بك شهيدا
أني عارف بحقهم مرتقب لظهور أمرهم الذي به يعود الحق إلى السلطان
ويظفر • وبه يرجع الباطل عن أوطانه ويندثر • وأشهد لك أن من فاز
بهم ونجا إليهم فقد فاز ونجا وظفر وأن من عاداهم وتكبر
عليهم فقد ضل وغوى والحد وكفر • اللهم فصل على محمد ووصيه
الاثني عشر ما قام من على البر وما أصغى سمع إلى الخبر • والعن أعداءهم

العين الذين ازالوا الحرج عن نكاية الحسين واشتدت شكيمتهم على نعمائه الذين
فلما عطلتهم في ازمن كمفاز السيف • حتى لا يبقى منهم ديار ولا مدد الا انصرفوا
على اعقابه بما انا الطغيان وانقذوا واطلعهم شر الفترة فصب الجور الرذيل على
كل من برّ وفجر • ونحفض المعروف وجاحد الصولة المنكر • اللهم والعن كل
من رضي بفعالهم المنكر • ولجّ على مثالهم المستفرد لعنا متعاقبا بجميع من
تابعهم فيمن تابع وتصمهم ممن نصر • اللهم صل على محمد وآل محمد
صلوة لا ينتهي اليها تواتر الاوهام ولا يتعلق عليها تعلقل الفكر
وتقفنا الاتباع دينهم وملتهم واعتنا على اقتفاء منهاجهم وسنتهم التالكة
من سلكها الى الغبطة قبل والنظر مستقر •

قد ابتدأ الشيخ ابو عبد الله شكر الله ... واحسن ... بن ... 

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا من فطر الارض والسماء • وجعل الظلمة والضياء • ويا من ليس
لاوليته ابتداء • ولا لآخريته انقضاء • ويا من تفرد بملكوت ملكه
بوجوب الازلية والبقاء • ويا من توحد في جبروت سلطانه بامتناع
التغير والفناء • ويا من تقدس بجلال صمديته عن تركب الاعضاء و
تالف الاجزاء • ويا من تنزه بسبحات سبوحيته عن مشاكلة الانداد
ومماثلة الاكفاء • ويا من لا امر بقدرته من مضادات الاشياء
وفرقها اجناسا مختلفات في حدود البدو والانتهاء • ويا من جعل
وقت لمملكته السوداء على صخرة القضاء في غياهب الظلماء • ويا
من لا يمنعه المنع ولا يكديه الاعطاء • ويا من اوسع للاستنزال من سابغ
جوده مناهل الرجاء • صل على محمد حبيبك المختار في الاحتباء والاصطفاء
ورسولك المختار من سكون الصفاء وذؤابة العلياء • خاتم الانبياء
وامام الاصفياء • المنعوت بالشريعة الغراء • والحنيفية السهلة السمحاء
وعلى اخيه وصنوه على امير المؤمنين سيد الاوصياء وسند الاولياء الاتقياء
واساس الابرار والاشهاد والاطهار والاخيار والنجباء والانجباء • وسادة
في اقامة العوج وانارة الفلج وابتهاج المنهج • وانارة الاشلاء واماطة

الاقذاء • المخصوص بمنقبة المنزلة والاخاء • وبعقابة الكوثر وحماية اللواء • ناشر
ديباج الانبياء وكاسر جناح الانقياء • لاعلاء كلمة العليا خائض
اللجج الغامرة العمياء في خرق صفوف الكفرة وفلّ صفوف الفجرة • الذين
حقت عليهم كلمة الشقاء • مفرق جموعهم الى ظهور العراء وبطون الهيجاء
ومحرب دنوعهم الى مجار الاطلال واعماء الابناء • بسطوته القاهرة
التي لم يفلها الجحاجحة الهامات • مرجع ابطالهم من مدارج السرى الى مضارع الفرو
ومخرج اقرانهم من ضغائن الفرار ومتقاسات الغناء الى الغناء الشاذ
واكباد العفاء • وعلى عترته الطاهرة التي اكرمهم انتخبها • وعلى حرمتها
النجباء النقباء ودررها المجداء النجداء • مظاهر بمفاخرها ناصح الطلحاء
ومعالم مكارم اكارم الكرماء • وسادة قادة محاجّ البلاء • الذين هم
للدين المتين انشاء وللقرآن المبين قرناء • عيبة العلم ومعادن الحلم و
ينابيع الوفاء • خزنة الوحي واصول الكرم وعناصر السخاء • مصابيح
الاسلام ومفاتيح الهدى ومصابيح الظلماء • مناسب الاحسان و
موازين العدل ومعاقل الثناء • اركان الفتوة واثافي المروة ودعائم
الحباء • مشارع الحكم وعصم الامم عن التقحم في اودية الشقاء • الذين
تحيروا ايابيع مشارع الاهتداء الى الارتواء من اسرار ربانية بانية تمكث
في اراضي افئدة الاذكياء ولا تمسح قلوبهم الى خطرات الاهوية الاهمية الزرية
العاطلة والجفاء ونوروا انشادات تاثير الارتقاء الى الذروة العلياء • سواطع
انوار الاصطفاء وسواطع لضوء الاحتباء • نفقاوا عن الفتن المجهولة العمياء
وتلعوا عين البدع المدخولة النكراء • الذين لولاهم لما انطبقت الارض والسماء
ولما رجع مجثم الظهور من سارة الاختفاء • ولما تعلقت النسمة القاهرة
بالنشأة • سيما ابن الانبياء ولما كتب ذلك مداد العناية الباهرة على لوح القضاء م
فاطمة النقية التقية المخلصة الصفية الزهراء • بضعة سيد
الانبياء وكريمة امام الاوصياء • المكنونة بمزية في السماء • وابي محمد
الحسن بن علي الزكي المجتبى ثاني الاوصياء ومالك اعطاء الحكمة الذي
لا لاف بن وجناب مكانه انوار الاحتباء • وشد كسر الهزمين
نخوة ابطال الخلفاء • وابي عبد الله الحسين الشهيد بكربلاء • صاحب
المفاخر الساطعة الغراء • وراكب لمرآها الاسنة الالوية • الذين نحب

تحت نيوب النّماء • وتجعلنا في زمرة الامان من كل خوف وانتقاء • على آله و
ابي محمد علي بن الحسين زين العابدين منوّر محراب العبادة ومفتّح ابواب السّماء
بالنّحيب والبكاء • ومُخرج عيون الاعلاء لسفاينه الآخذين بحجزة الولاء
وابي جعفر محمد بن علي باقر علوم الانبياء العارف باسرار الغبراء والخضراء
الكاشف للغطاء عن وجوه الحكم الساطعة الباهرة البهاء • وابي عبد الله
جعفر بن محمد الصادق ملجأ العلماء ومرجع العرفاء • المفحم بقوام حجته
ذوي العقلاء ومنادية الحكماء • وابي ابراهيم موسى بن جعفر الكاظم انموذج
اكابر الحكماء وقدوة اماثل الخلفاء • الذي حيّرت عن تحرير مناقبه احلام
الادباء والباب الالباء • وابي الحسن الرضا علي بن موسى سلطان سرير الاولياء
وبرهان كرامة الاصفياء المستسلم للقضاء في طوري السرّاء والضرّاء • الذي
تحيّرت في [illegible] مدارك العلماء ومشاعر العقلاء • وابي جعفر
الثاني محمد بن علي التقي الجواد معطي العطاء في حالتي الشدّة والرخاء • المفحم كرامةً
معانديه في [illegible] صغره [illegible] المرداء • بمحضر من العلماء و
الفقهاء • وابي الحسن علي بن محمد الهادي النقي مفزع شيعته يوم القضاء
اذا انقطع حبل الرجاء وعظم كرب البلاء • وابي محمد الحسن بن علي
العسكري حبيب الاولياء ويعسوب الاذكياء وكهف الاتقياء • العارف
باسرار الاخفاء والابداء • الواقف لموارد المنع والاعطاء • والمهدي الخاتم
لحملة المقام باخبار معالم الايجاد والانحاء • الصادع [illegible] الانباء
والانباء • وارث الانبياء خاتم الاوصياء بقية النقباء سلالة النجباء [illegible]
الرحمة للعباد صاحب [illegible] النجباء نشر كتاب الابداع والانشاء [illegible]
والانباء [illegible] في الارض والسماء الذي [illegible] الرحمن [illegible]
وسكون الثرى والاجل [illegible] ما فيهما وما بينهما من [illegible] والفناء [illegible]
بقي ما [illegible] من سوابغ الآلاء • الكاشف الاكدار عن قلوب المتلبّسين
في حبّه بالحجّة البيضاء والمحجّة الغرّاء • الذي [illegible]
اشتداد الاختفاء • [illegible] الذين [illegible] العمياء • [illegible]
[illegible] الاعتداء • وتجمع على التقوى
باسرار نوره الذي لا خمود له ولا انطفاء • [illegible]
[illegible] • [illegible] الطرفة [illegible]

المترتبة المرآة • بحمد ما انمحى من ترانيم المشكلة البيضاء • يحط الكدورة
التفات والنقصان والارتياب ومن الضلال والبوق المكروه الفحشاء • بعد
الليل والنهار والصباح والمساء • وعدد الربيع والخريف والصيف والشتاء
اللهم انصر بنصرك العزيز اماماً مريداً واحفظه في كنفك الذي لا يضام ولا يرام
من كان بين يديه ومن خلفه مستوياً على آرائك دوننا • ممحّدوننا بالبرين
والقضاء • اللهم انّ هؤلاء ائمتنا وسادتنا وقادتنا الى مدارج الايمان
وولاتنا ادلّتنا ورشدنا الى محجّة البيضاء وعند ذاكر الفضلاء • من
ذات [illegible] وانتدى بهداياتهم وتمسّك بحجتهم وتنسّك بمودّتهم تبعي
من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله نور الحق له انتظاماً • ومن
عدل عن قصدهم واشتمل بزي غيرهم لم يقبل منه صرفاً ولا عدلاً ولم يقم له
وزناً يوم الجزاء • يوم يبرز مكنون الامور وتظهر [illegible] الصدور وكشف محجوب
الغطاء • هم الذين تقاصرت عن نعت صفتهم السن فحول العلماء • وتقاصرت
عن وصف عظمتهم شأن عقول العرفاء • وكلّت عن بث مكارمهم السن
افاضل الخطباء • ولكنّت عن [illegible] مفاخرهم السنة افاخم البلغاء المقصور
بحمل الذي تجلت [illegible] للكائنات التي [illegible] التعبير عن عجائب [illegible]
بحير [illegible] الاشياء ويدير كائنات الاشياء • المعروفين [illegible] الكرامات وكرائم
المقامات التي جارت [illegible] الاب [illegible] الاشياء وعند بحضرات
الاسرار • اللهم صلّ عليهم صلاة زاكية نامية بلا انتهاء ولا انقضاء
صلاة صافية نامية باقية عن [illegible] وشمول الاحصاء • والعن
اعداءهم الذين [illegible] الحكمة الذي [illegible] لايثار النعمة واكمال
الدين بمخالفة البنين والابناء • الكائنين في حواجز الكبيرة والعلاء • و
انالوا الحق من [illegible] الحسين و[illegible] المسلمين بغوائل الحسد و
البغضاء • الكائنين من [illegible] في اودية الخسر والجلاء • اللهم العن
الذين اشتدوا بالافك في ظلمات الاثم [illegible] الاهوية وسلاسل الآراء
وابعدوا عبادك عن اوطان الدعة واكنان النعمة الى [illegible] • عبدوا
اصنام الفتنة في اللازل • وقطعوا ارحام الفطنة والذكاء وحاولوا اكرام النعماء
الاسناء • وتجاهلوا [illegible] الطرداء • [illegible] حتى [illegible] من الآباء [illegible]
ومن القبائل [illegible] الاغنياء • ولم يرجعوا عن نواب الدواهي الدهياء • حتى

عمدوا الى مغبة الهوة الغبراء بغية الحرفة الحمقاء • عن الجبار العذير
والمنزلة والاخاء ولم تنتحبوا بنوادر قشيرات الاشلاء الساطعة ابهاؤها
التي تلالأت من وجنات خدود الاتقياء • ولم تشعشعت في صفحات
خدود الاصفياء • ردموا على رفات الناس الوسواس الخناس رخام
الاستبان بجحيم النعم وتعاين الالاء • وقدموا على موجبات
الادكار ومعقبات الانكار ملامة اوتيقا الاشرار في الاغواء
حلوا اغلال محنتهم وقودا النيران • ونيرانهم حتى اشتعلت على انباع
نعالهم واشباع هماتهم ضرام الالام المضض والعناء وانتشرت على جماجم
الحجيم وسناهير الاسناه • لم يدعوا النصح مضغ سواري الذين غابة الا
انوها ولم يجدوا الزعزع الآناء في العقب منطقة الا اصدوها حتى ضربت
الغربة سرادقها على الحلفاء والشهداء • وخضب الاستقامة
جناحها بحجاج الالتواء وملاح الانحناء • ونقضوا محكمات الاناسة
خضعوا لموجبات لهفات كانتها دونها بالاماثل سنة وتعلوا في الجنايات
حتى انصرمت دعوة اطماع الطلحاء والجبابرة اقوات جياع الصلحاء واسلاب
او غيبة طلبات الاغنياء من حقوق الارامل والفقراء • اللهم البسهم
سرابيل القطران ومقطعات النيران والجمهم من الزقوم واسقهم من
الحميم حيث لا تنفعهم شفاعة صديق ولا تنفعهم اغاثة حميم والجئهم من
الالتجاء الى حجر الرحماء وشفاعة الشفعاء • اللهم العن الذين دعوا
بما دعوا وسمعوا بما سمعوا ولم يتبعوا بما سمعوا ودعوا بما دعوا
فاتبعوا في مسالك الجاهلية الجهلاء والذين اغتروا بزينات الدنيا في
لجج الهلكات عند ركوب سفينة النجاة وهجموا عما هجموا وخضعوا الى ما خضعوا
وتعلقوا الى ما تعلقوا فاتبعوا ولم يرجعوا عما قليل يجدون ما ادركوا في
قرارة النار والشقاء • اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعمى
بالمعصرة والضيق بالسعة والحجاج بالاعتداد والسفاهة بالحجى والبلادة
بالذكاء والشقوة بالرخاء والنقمة بالنعماء واولئك الذين باعوا الاخرة
بالدنيا والاشرف الاعلى بالارذل الادنى وتربص الرجى بعذاب الحرب في
الراحة بالعناء والرباح بالخسران والشكر بالكفران والسراء بالضراء والعافية
بالبلاء والهدى بالعشاء • اللهم فالعنهم لعنا وبيلا ابلغهم به ابلاغا بليغا لا جميع

شرح [illegible]

انباع اعلام العقوة واذناب انصاب الاغواء • والعن كل من سلك في سالك مسالكهم
ودفعت مهالكهم بانها في قلوب الاضلال انها في نهاية الابداء • و
كل من رضي باحكامهم الشنعاء وانعالهم الفظعاء عن اطرها بغية العمياء
ولا تابع باذيال الضعفاء الى ما جرى من صفوفها بين الشفعاء والظرفاء
اللهم العنهم لعنا لا ينبت المستعقب ولا ينقل المستقبل فنكل بهم اشد
التنكيل وعذبهم اشد العذاب واسلكهم في نقمة دائمة العقبا
خالدة الانتحاء • وعجل لهم عذاب الحريق وتصلية الجحيم • وقطع
لهم ثيابا من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود
الاملاء • اللهم اقطع عنهم روحة المثوى وراحة النعمى وسق عليهم
المتوحش لا يخليهم من القسطان والقساة • واطرحهم بطوارق الانتقام والادواء
واصبب لهم بوبال ابلاء الامراض والانواء • اللهم فرق جمعهم ومزق انصارهم
وشتت امرهم كالهباء اشتاتهم واقمع دولتهم واقطع ادبارهم وخذهم
منكبة نكالا يوم تنقطع دونها مقابل الهام وتطحن العظام وتفتق
المراسيف والاحشاء • اللهم ادم ذلتهم بالخسوف والح عليهم بالقذف
واصبهم بالجوع المفتر والسقم الاليم • واشح جهنهم بالادواء وتبابهم
بالوباء • اللهم كما جعلت القصد انا منقرضا ان نعلو انا واهل بيت
النبوة والاصطفاء بحق تعرف السبل وتنفذ الاهواء بالحائدين
عن طريق الاهتداء • فصل وسلم عليهم صلوة تكون كفاء لنا دية حقهم
على جميع من ذرأت وبرأت من الثرى والورى • واذقه فضلهم على
من سواهم من النبيين والصديقين والصالحين والشهداء • واجعلنا
بالتوسل بهم اليك يوم العرض عليك مكرمين وجهاء • وتلك لا تجاري في
الاستجابة مطهرين بنقاء • واغفر لنا ذنوبنا التي تهتك العصم وتكشف
الغطاء • والتي تورث الندم وتقطع الرجاء • والتي تغير النعم وتنزل البلاء
والتي تعقب الندم وتديل الاعداء • ووجه وجوهنا اليك فانه لولانا
من كل ذي كرة وكيد الى تقديرك وكرامة من محبتك واعلان حمدك وابداع
شكرك على حسن البلاء وسبوغ النعماء • واجعلنا البقاء فضلك
في تطوير الاطوار وتغير الاوطار مستعرضين ولرضاك في جميع الحركات
والسكنات متبعين ولديك حنفاء • واجرنا ايهم من سامعة الدوائر • و

فهرس [illegible] المجلد [illegible] من كتاب [illegible] بحار الانوار


الكتاب الاول [illegible] — وهو ١٨ ورق

الكتاب الثاني [illegible] — وهو ١٢ ورق

الكتاب الثالث [illegible] — وهو ٩ اوراق

الكتاب الرابع [illegible] — وهو ١٨ ورق

الكتاب الخامس [illegible] — وهو ١٢ ورق

الكتاب السادس [illegible] — وهو ١٢ ورق

الكتاب السابع [illegible] — وهو ١٤ ورق

الكتاب الثامن [illegible] — وهو ٢٣ ورق

الكتاب التاسع [illegible] — وهو ١٦ ورق

الكتاب العاشر [illegible] — وهو ١٦ ورق


قد وقع الفراغ [illegible] يوم [illegible] من شهر [illegible] سنة [illegible]

[illegible]

حرره [illegible]

---

ومعظام الصفات * ومن بها جلة المواليد ومبرز عجز
ابنائنا * ثم حولنا بالنشرة والرحابة
أبنائه * اللهم عجل فرج قائمهم واشف بظهوره
غيظ قلوب الأولياء * واجعلنا تحت لوائه
[illegible] بحجزة الاصفياء * واسلك بنا سبل
المتمسكين بحبل [illegible] في دار
الابتلاء * واحشرنا في زمرة المدعوين بامامهم
يوم الجزاء * وانفعنا بكمال الاستشفاء [illegible]
الكرامة عليهم والزلفة لديهم عند اللقاء *

## كتاب شرح عجائب القلب وهو الكتاب الاول من ربع المهلكات للحجة في الاحيا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر، وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر، المطلع على خفيات السرائر، العالم بمكنونات الضمائر، المستغني في تدبير ملكه عن المشاور والموازر، مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب، والصلوة على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين

اما بعد فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفي الاخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب اليه وهو الكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع له وخدم وآلات يستخدمها ويستعملها استعمال المالك للعبيد واستخدام الراعي للرعية والصانع للالة فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع لله بالحقيقة وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله وانما الساري على الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء ينضح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان لا يوفقه لمشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ قد فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد ان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب واخلاقه وكيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه

ثم

ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الافهام وبالله التوفيق

### بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي

اعلم ان هذه اربعة اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعرفة هذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشاها الجهل بمعنى هذه الاسامي واشتراكها بين مسميات مختلفات ونحن نشرح من معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا

اللفظ الاول القلب وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته فلا يتعلق به الاغراض الدينية وانما يتعلق به غرض الاطباء وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا اسم القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته فان تعلقها به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للالة بالالة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها

اللفظ الثاني الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان انوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منها على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا الدار فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحيوة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا اسم الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون مرض الابدان فاما غرض اطباء الدين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذا الروح اصلا والمعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معاني القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني تعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته

اللفظ الثالث النفس وهو ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سيأتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك والمعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان في الحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فالنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها

ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره
في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات و
دواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلم وما ابرئ نفسي ان النفس
لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذن النفس بالمعنى الاول مذمومة
غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبسائر المعلومات اللفظ
الرابع العقل وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان احدهما انه
قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب الثاني انه قد يطلق و
يراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قائم
بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به
محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه واله وسلم اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور
ان يكون اول مخلوق بل لابد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل
وقال له ادبر فادبر الحديث فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني
وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعقل العلوم فهذه اربعة معان يطلق عليها الالفاظ
ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة و
الالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم
يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدري
الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء ولاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القرآن و
السنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في
الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له و
لكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل
التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى انه عرش الله
سبحانه وكرسيه فان ذلك محال بل اراد انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي
بالنسبة الى الله تعالى فلا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه

بيان جنود القلب قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة
لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن نشير الان الى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان
جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان وهذا هو معنى الجند
فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان
جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا
ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم
تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة
لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عليهم

عالمة

عالمة بطاعتها وامتثالها لربها والاجفان تطيع القلب بالانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لهما من نفسهما و
من طاعتهما للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله
تعالى وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه
البدن وانما زاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن العبد ان يصل
الى الله تعالى ما لم يسكن البدن ولا يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لابد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى
والدنيا مزرعة الاخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت الدنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الانسان الى ان يتزود
من هذا العالم والبدن مركبه الذي يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يجلب
اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وبان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه او يمكنه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب
الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجاذبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما
احتاج اليه وخلقت الاعضاء التي هي الات الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب
الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة عن
البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء اذا لم يعرف الغذاء لا ينفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى جندين
باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم واللمس وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها
ووجه الحكمة فيها يطول ذكره ولا يحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود
القلب يحصرها ثلثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع المضار المنافي
كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني
بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء
كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك
ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم
التي اعدت الات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تدرك الشيء بالعين وكذا سائر
القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الان فيما ايد به من جنود
لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني
السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن المنازل الباطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان
بعد رؤية الشيء يغمض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو
الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات
في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا ما خلق الله قوة الحفظ
والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود باطنة فهذه هي
اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول ومقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء
والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم ان شاء الله

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي
يسلكه ويحسن مرافقته في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه

في ذلك هلاكه وانقطاعه عن السفر الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند اخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه
وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط
على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في
استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك
بثلثة امثلة **المثال الاول** ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه اعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته ومملكته فان
البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له
كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة
والعبد الجالب للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته
منازعة الوزير الناصح في كل تدبير يدبره حتى لا يخلو من منازعته ومعارضته في ارائه ساعة واحدة فكما ان الوالي في
مملكته مهما استشار في تدبيراته بوزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا باشارته على ان الصواب في نقيض
رأيه وادب صاحب شرطته واسلمه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره
حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومأمورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسبب ذلك فكذلك النفس
متى استعانت بالعقل وادبت الحمية والغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحديهما على الاخرى تارة بان تقلل
مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح
مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت اخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه
هواه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع هويه وكان امره فرطا وقال تعالى واتبع هويه فمثله كمثل الكلب وقال فيمن نهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس
ان شاء الله **المثال الثاني** ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس
الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه
في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه وهزمه وقهره
على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان
ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند لقاء الله فيقال له يوم القيمة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن
ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر **المثال الثالث** مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى
كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس
جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا
عن ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثال لجهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة
عليه خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه

## بيان خاصية قلب الانسان

اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله به على ساير الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة
والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها وتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فلنذكر
ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستاهل القرب من الله سبحانه وهو راجع الى علم وارادة اما العلم

فهو

فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقايق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات
بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة
وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زايد على ما ادركه الحس واذا فهمت
هذا في هذا العلم الظاهر الضروري فهو في ساير النظريات اظهر واما الارادة فهو انه اذا ادرك العقل عاقبة الامر وطريق الصلاح
فيه انبعث من ذاته الى وجه المصلحة والى تعاطي اسبابها وارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة
فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدهما ويطلبهما ويبذل المال عليهما والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة في
المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها فليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف لعواقب الامور ولم يخلق
هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التحقيق فاذا اختص قلب الانسان
بعلوم وارادات ينفك عنها ساير الحيوانات بل ينفك عنه الصبي في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ
واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حال الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه
درجتان احديهما ان يشتمل قلبه على جملة من العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجايزات الظاهرة
فيكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم
كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم
يبلغها بعد الثانية ان يحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر ويكون كالمخزون عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله
حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن
في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق
تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون ذلك
سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام يتباين منازل العلماء والحكماء والاولياء ودرجات الترقي
فيه غير محصورة اذ معلومات الله تعالى لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة النبي صلى الله عليه وآله الذي تنكشف له
كل الحقايق او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله قربا
بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السايرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك
المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا
يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة والنبي صلى الله عليه وآله ونصدق بوجوده ولكن
لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية
ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح على اولياء الله وانبيائه من مزايا لطفه و
رحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه غير مضنون
بها على احد ولكن يظهر للقلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان لربكم في ايام
دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلوب وتزكيتها عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق
المذمومة كما سياتي بيانه والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ينزل الله تعالى في كل ليلة الى
السماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله صلى الله عليه وآله حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق
الابرار الى لقائي واني الى لقائهم اشد شوقا وبقوله عز وجل من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وكل ذلك اشارة

الا ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من المنعم جلّ وتعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت لخبث وكدورة
من جهة القلوب فان القلوب كالاوانى فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فكذلك القلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة
بجلال الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات
ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة وان اشرف انواع العلم هو العلم بالله وصفاته وافعاله فيه كمال
الانسان وفى كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الكمال والجلال فالبدن مركب للنفس والنفس محل العلم والعلم هو مقصود الانسان و
خاصيته التى لاجلها خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار فى قوة الحمل ويختص الفرس عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون
الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس فى امور
ويفارقهما فى امور هى خاصيته وتلك الخاصية هى من صفات الملائكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين الملائكة والبهائم فان
الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة
على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد
تشبه بالملائكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال الله تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همه الى اتباع
اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضريا ككلب او
سنور او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء ولا اداة من الحواس
الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله كما سياتى بيان طرف منه فى كتاب الشكر انشاء الله فمن استعمله فيه فقد فاز
ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة فى ذلك ان يجعل لقاء الله مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا
طريقه والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو اعنى المدرك من الانسان فى القلب الذى هو وسط مملكته كالملك و
يجرى القوة الخيالية المودعة فى مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ يجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجرى القوة الحافظة
التى مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجرى اللسان مجرى ترجمانه ويجرى الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس
مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الا
رايح وكذلك سايرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التى هى كصاحب البريد
ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهى الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه فى تدبير مملكته
واتمام سفره الذى هو بصدده وقمع عدوه الذى هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا
نعمة الله واذا عطل هذه الجملة او استعملها لكن فى مراعاة اعدائه وهى الشهوة والغضب وساير الحظوظ العاجلة او فى عمارة طريقه
دون منزله اذ الدنيا طريقه التى عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعم الله مضيعا لجنود الله ناصرا
لاعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد فى المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الثانى الذى
ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت على عائشة فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان
ورجلاه بريدان والقلب ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول
وقال على عليه السلام فى تمثيل القلوب ان لله تعالى فى ارضه آنية وهى القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها
ثم فسرها فقال اصلبها فى الدين واصفاها فى اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكوة فيها مصباح قيل مثل نور المؤمن وقلبه وقوله او كظلمات فى بحر لجى مثل قلب المنافق وقيل
فى قوله تعالى فى لوح محفوظ هو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه امثلة القلب بيان

مجامع اوصاف القلب وامثلته اعلم ان الانسان قد اصطحب فى تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمع عليه اربعة انواع
من الاوصاف وهى صفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال
السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال
البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه فى نفسه امر ربانى كما قال تعالى قل الروح من امر ربى فانه يدعى لنفسه
الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال
عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهى الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقايق
الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق
من اوصاف الربوبية وفى الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها فى الغضب والشهوة
حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز فى استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة
والخداع ويظهر الشر فى معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعنى
الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع فى القلب فكان المجموع فى اهاب الانسان خنزير وكلب و
شيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب
هو الغضب فان السبع الضارى والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية
الضراوة والعدوان والعقر وفى باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره
الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغرى
احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذى هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف
عن تلبيسه ببصيرته الثاقبة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة
الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل
الامر وظهر العدل فى مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال
فى استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضى الكلب فيكون دائما فى عبادة كلب وخنزير وهذا حال اكثر الناس مهما
كان اكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء
عنه وكوشف بحقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما فى النوم او فى اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدى خنزير ساجدا
له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شئ من شهواته انبعث على الفور فى خدمته واحضار
شهواته او رأى نفسه ماثلا بين يدى كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا الفكر فى حيل الوصول
الى طاعته وهو بذلك ساع فى مسرة شيطانه فانه هو الذى يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا
الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة
فلا يرى ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار فى عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب
مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء
الثلاثة فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا فيه ورينا مهلكا للقلب
مميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث
والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة كلب الغضب فينتشر منها الى القلب صفة التهور والنذالة والبذخ

والتملق والاستهتار والفخر والكبر والعجب والاستهزاء والهزء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما
طاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخنا
وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقرت في القلب من صفات الربانية العلم والحكمة و
اليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة و
استحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلالته ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة
ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن
الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة
والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب
في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها
فانها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين
والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله صلى الله
عليه وآله وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى
الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه
مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع والرين قال الله تعالى كلا بل ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الله تعالى ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم
السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى حيث قال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا
واطيعوا ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين
بالآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه امر الآخرة دخل من اذن وخرج من الاخرى
ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد
القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة اقول روينا عن ابي جعفر عليه السلام قال ما من عبد الا وفي قلبه نكتة بيضاء
فاذا اذنب ذنبا خرج في النكتة نكتة سوداء فان تاب ذهب ذلك السواد وان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي
البياض فاذا غطى البياض لم يرجع صاحبه الى خير ابدا وهو قول الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وعنه
عليه السلام ان القلوب ثلاثة قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير وهو قلب الكافر وقلب فيه نكتة سوداء والخير والشر فيه يختلجان
فايهما كانت منه غلب عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفى نوره الى يوم القيمة واقول قال الى يوم القيمة لان القلب
بهذا المعنى لا يخرب بخراب البدن قال ابو حامد وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر وقلب
الكافر اسود منكوس فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب ومعصيته مسودات له فمن اقبل على المعاصي
اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحى اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم يمسح فانها
لا تخلو عن كدورة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء
القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب
الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة اعلم ان محل العلم هو القلب اعني
اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة

بالاضافة

بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها فكذلك لكل معلوم حقيقة
ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما ان المرآة غير وصورة الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة
غير فهي ثلاثة امور فكذلك ههنا ثلاثة امور القلب وحقائق الاشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه
فالعالم عبارة عن القلب الذي يحل فيه مثال والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في القلب
كحصول المثال في المرآة فكما ان المرآة لا ينكشف فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان
يدور ويشكل ويصقل والثاني لخبثها وصداها وكدورتها وان كانت تامة الشكل والثالث لكونها معدولا بها عن جهة
الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها
الصورة المطلوبة بعينها حتى يتعذر بسببه ان يحاذى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان
ينجلي فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها بهذه الاسباب الخمسة اولها نقصان
في ذات القلب كقلب الصبي فانه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه القلب
من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه واليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وآله وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا اي حصل في قلبه كدورة لا يزول اثرها ابدا
اذ غايته ان يتبع الذنب بحسنة يمحوه فلو جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئة لازداد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة
فات نفع الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد نورا وهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له فليس المرآة
التي تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي لم تتدنس اصلا وتمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق فالاقبال
على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلي القلب ويصفيه ولذلك قال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم والثالث ان يكون معدولا
به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب
الحق ولا يحاذي بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة
ولا يصرف فكره في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات
الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا من
انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع من الكشف الحقيقي
الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد للفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه
باعتقاد سبق اليه منذ الصبي على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق
ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب عظيم به حجب اكثر المتكلمين في
المتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت
في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق الخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على
المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها
ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فيتجلى
حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم
فلا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال

ما يحصل من النتاج من ازدواج الفحل والانثى وكذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما
طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم
ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان ان يرى قفاه في المرآة فانه اذا رفع المرآة
بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا وجعلها وراءه كان قد عدل
بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة اخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث
يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المرآتين حتى ينطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم ينطبع صورة هذه المرآة في
المرآة الاخرى التي في مقابلة العين ثم يدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات
وتحريفات اعجب مما ذكرناه في المرآة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي الاسباب
المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر رباني شريف فارق
جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض و
الجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار
مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل
ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم
كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لولا ان الشياطين يحومون
على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء اشارة الى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه
الاشارة بما روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اين الله في الارض او في السماء قال في قلوب عباده المؤمنين
وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر انه قيل للنبي صلى الله عليه وآله
وسلم من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي
ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك قال علي عليه السلام رأى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى
صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض واما جملتها فاكثر سعة من السموات
والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه
على الجملة واما عالم الملكوت وهي الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له نعم
الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله تعالى لا نهاية له وجملة عالم الملك و
الملكوت اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وافعاله
وملكه وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق
ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله سبحانه وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات و
اعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاها ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعني اشراق
نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه ثم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلاث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض الثانية
ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة ايمان العوام السابقة الثالثة ايمان العارفين وهو
المشاهد بنور اليقين ونفهمك تفاوت هذه المراتب بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات الاولى

ان يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته بالخيانة في القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع
وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا التمييز سمعوا من آبائهم وامهاتهم
وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسول وصدقه وما جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه
واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوا لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة
واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ
ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد فقلوب النصارى واليهود ايضا مطمئنة بما يسمعونه
من آبائهم وامهاتهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانهم القي اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم
عليه ولكن لانهم القي اليهم كلمة الحق الدرجة الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته في الدار ولكن من وراء جدار فتستدل
بذلك على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك
اذا قيل لك ان زيدا في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت
في حال مشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ ايضا يمكن ان يتطرق
اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف ايضا بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس
يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا الدرجة الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك
وتشاهده فهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون
عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون عنهم بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطأ نعم وهم ايضا
يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات فمثالها ان يبصر زيدا في الدار عن قرب في صحن الدار في
وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه في بيت من بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يتيقن
معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور
الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد
بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حال القلب بالاضافة الى العلوم **بيان** حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم
العقلية والدينية والدنيوية والاخروية اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي
تحل فيه تنقسم الى عقلية والى شرعية والعقلية تنقسم الى دنيوية واخروية اما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزة
العقل ولا يؤخذ بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدرى من اين حصلت ولا كيف حصلت كعلم الانسان بان
الشخص الواحد لا يكون في مكانين في حالة واحدة والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا
فان هذه العلوم يجد الانسان نفسه منذ الصبي مفطورا عليها ولا يدري متى حصلت له ومن اين حصلت اعني انه لا
يدري له سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله تعالى هو الذي خلقها والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا
القسمين قد يسمى عقلا قال علي عليه السلام رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع
كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ما خلق الله خلقا هو اكرم عليه
من العقل والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام اذا تقرب الناس الى الله تعالى بانواع
البر فتقرب اليه انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل
علي عليه السلام هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من الله تعالى والقلب

جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد في العمى وتوجد في البصير وان
كان قد غمض العينين او جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار مجرى قوة ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشياء وتاخر العلوم
عن العقل في مدة الصبى الى اوان التمييز والبلوغ يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات
والقلم الذي سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح
قلبه ما تهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال
الله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله سبحانه لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس
قلمه من قصب ولا خشب كما انه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه
الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي كالفارس والبدن
كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الاخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر
الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما راى سمى ادراك الباطن رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلم حتى يذكر في معرض
الامتنان ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن
كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي اما العلوم الدينية فهي الماخوذة بطريق
التقليد من الانبياء صلوات الله عليهم وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة
القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير
بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليها ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فالداعي الى محض التقليد
مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القران والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين
وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذاء
مهما فاته الدواء فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات والاعمال
التي ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى
بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية
وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله من ذلك بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض
العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة
من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذي دخل
دارا فيعثر فيها باواني الدار فقال لهم ما بال هذه الاواني تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقيل له تلك
الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك والعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها
على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العقلية فاما العلوم العقلية فتنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية
كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال
والعلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما
حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الاخر على الاكثر ولذلك ضرب علي عليه السلم للدنيا والاخرة ثلاثة امثلة فقال

هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احديهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في علم
امور الدنيا في علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور الاخرة والاكياس في دقائق علوم الاخرة
جهالا في الاكثر بعلوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في
الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم اكثر اهل الجنة البله اي البله في امور الدنيا وقال بعض السلف
ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل
الكياسة في سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب
فكذلك يجري امر الدنيا وامر الاخرة ولذلك قال الله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا
بها وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم
يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن
رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء عليهم السلم المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة
الالهية التي تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها واما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بامر الدنيا انصرفت عن الاخرة
وقصرت عن الاستكمال فيه

**بيان** الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق المجاهدين في استكشاف الحق
وطريق النظار في الاكتساب

اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في
حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي
يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع
في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل ومن اين حصل والى ما يطلع معه
على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع
والثاني يسمى وحيا ويختص به الانبياء عليهم السلم والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب
بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء
كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح
المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به الى يوم القيمة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي
انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد واخرى يزول بهبوب الريح تحركه
وكذلك قد تهب رياح الالطاف وتنكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ
ويكون ذلك تارة عند المنام فينكشف به ما سيكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت وبه ينكشف الغطاء وقد ينكشف في
اليقظة ايضا حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم
تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم
ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في
شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة
بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فاذا عرفت
هذا فاعلم ان ميل اهل المجاهدة الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل
ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة

وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله تعالى هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره
بانوار العلم فاذا تولى الله تعالى امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن
وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية وليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة
واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة فالانبياء
والاولياء انكشف لهم الامور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من
علائقها وتفريغ القلب عن شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك
اولا ان يقطع علائق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه عنها ويقطع همته عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم و
الولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض
والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتبة حديث ولا غيره
بل يجتهد ان لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع
حضور القلب حتى ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى ان يمحى اثره
عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة
الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار
في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة
فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله له من الرحمة كما فتحها على الانبياء والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت
ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فتلمع لوامع الحق في
قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت
فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اولياء الله تعالى فيه
لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد
وانتظار فقط واما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى المقصد على الندور
فانه اكثر حال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا
ان محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حال فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقلب المؤمن اشد تقلبا من القدر في غليانها وقال صلى الله عليه وآله قلب
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل
ويمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة يطمئن النفس
اليها مدة طويلة الى ان يزول والعمر ينقضي دون النجاح فيها فكم من مجاهد سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد
عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال والاشتغال بطريق التعلم اوثق
واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم
يتعلم ذلك وكان صار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرار وتعليق فيقول انا ايضا ربما انتهى بالرياضة اليه ومن ظن
ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن
لكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار لما
لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس اعلم ان عجائب القلب خارجة
عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال
محسوس ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفاء بمثالين احدهما انه لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق الماء اليه
من فوقه بانهار تفتح اليه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء
من اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس
الخمسة مثل الانهار ويمكن ان تساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن
ان تسد هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر
ينابيع العلم من داخله فان قلت كيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجائب اسرار القلب ولا
يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقائق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة
المقربين فكما ان المهندس يصور صورة ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر
السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى آخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم
الذي خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من نظر الى السماء والارض ثم غض بصره
يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كانه ينظر اليهما ولو انعدمت السماء والارض ثم بقي هو لوجد صورة السماء والارض
في نفسه كانه يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتأدى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال
فالحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا عن خيال الانسان
وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي
ويتبعه وجوده الخيالي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الموجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها اشد
روحانية من بعض وهذا لطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع فيها صورة العالم والسموات
والارض على اتساع اكنافها ثم يسري من وجودها في الحس وجود في الخيال ثم منه وجود في القلب فانك لا تدرك ابدا الا
ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر بما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب
والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب اكثر الخلق جاهلة بانفسها وبعجائبها فلنرجع الى المقصود
فنقول القلب يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين
يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الصافي الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها
فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل
الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة
اللوح المحفوظ كما ان الماء اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك من التفجر من الارض وكما ان من نظر الى الماء الذي يحكي
صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذن للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم
الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي عالم الملكوت
نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخل
الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم
على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبق المفردون قيل ومن هم يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم حكاية عن الله تعالى أقبل عليهم بوجهي أترى من واجهته بوجهي يعلم أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف من النور في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فإذن الفرق بين علوم الأنبياء والأولياء عليهم السلام وبين علوم الحكماء والعلماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت وعلم الحكماء يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن أن يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين.

المثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين أعني عمل العلماء وعمل الأولياء فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب والأولياء يعملون في جلاء القلب وتطهيره وتزكيته وتصفيته وتصقيله فقط وقد حكي أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم أيضا قد فرغوا فعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل كيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذ صار جانبهم كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الإشراق كفعل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل أهل الروم فكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر وإليه أشار الحسن رحمه الله بقوله التراب لا يأكل محل الإيمان ويكون وسيلة مقربة إلى الله تعالى وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى إلا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزائن المترعة غني وتتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والإيمان كما تتفاوت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعارف أنوار ولا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وقد روي في الخبر أن بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على إبهام قدميه فيضيء مرة وينطفئ أخرى فإذا أضاء قدم قدميه فمشى وإذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من كالسحاب ومنهم من كانقضاض الكوكب ومنهم من كشد الفرس والذي أعطي نورا على إبهام قدمه يحبو حبوا على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان فإيمان العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمعة وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك يتفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من في قلبه مثقال من الإيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وإن هذه المقادير من الإيمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقال فإنه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر بإخراجه أولا وأن من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله

صلى الله عليه وآله وسلم ليس شيء خير من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن إشارة إلى تفضيل قلب العارف المؤمن فإنه خير من ألف من العوام وقد قال الله تعالى وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقد قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس قوله تعالى والذين أوتوا العلم درجات قال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وقال صلى الله عليه وآله وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب وقال صلى الله عليه وآله وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي وفي رواية كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد تعرف تفاوت درجات أهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن إذ المحروم من رحمة الله تعالى عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم إلى الغني الذي يملك الأرض من المشرق إلى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخس حظه منه قال الله تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا.

بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات أما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قيل يجعل له مخرجا من الإشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان يكثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه من سؤال النور فقال اللهم أعطني نورا وزدني نورا واجعل لي في قلبي نورا وفي قبري نورا حتى قال في شعري وفي بشري ولحمي ودمي وعظامي وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله عز وجل أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فقيل ما هذا الشرح فقال صلى الله عليه وآله وسلم هو التوسعة إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه وآله وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال علي عليه السلام ما عندنا شيء أسره النبي إلينا إلا أن يؤتي الله عز وجل عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء إنه الفهم في كتاب الله وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف باسم الفهم وكان أبو الدرداء يقول المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وإليه يشير قوله تعالى إن في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم إن من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وقرأ ابن عباس وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى

مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم قال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم
وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظ
صار جاهلا انما العالم الذي يأخذ علمه من ربه اي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني والى مثله الاشارة بقوله
تعالى وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه لكن بعضه بواسطة تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم
اللدني هو الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد الشرع والعقل ولو جمع كل ما ورد فيه من
الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر وقد ظهر ذلك على الصحابة والتابعين
ومن بعدهم **أقول** وقد ظهر على الائمة المعصومين من اهل البيت عليهم السلام من ذلك شيء كثير كما هو مذكور في كتاب الحجة من كتاب
الكافي للكليني رحمه الله وفي كتاب بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار وفي كتاب الخرائج والجرائح للراوندي وكتاب كشف الغمة للاربلي
وغيرها من الكتب المصنفة في ذلك من تفرسهم عليهم السلام واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم ومشاهدتهم الخضر عليه السلام
والحديث معه وصحبتهم للملائكة ومحادثتهم معهم وتسخيرهم الجن وبيعتهم اياهم واظهار العجائب للناس فنونا من الكرامات
مما فيه كل بالخلاف الامام من نقض العادات ومن الاخبار الشهيرة في هذا المقام ليس العلم بكثرة التعلم انما هو نور يقذفه الله
في قلب من يريد الله ان يهديه العلم نور وضياء يقذفه الله في قلوب اوليائه وانطق به على لسانهم العلم علم الله لا يعطيه الا
لاوليائه الحكمة ضالة المؤمن من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه
ما من عبد الا ولقلبه عينان وهما غيب يدرك بهما الغيب فاذا اراد الله بعبد خيرا فتح عيني قلبه فيرى ما هو غائب عن بصره
**قال** ابو حامد وحكايات لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا
يقدر احد على جحده امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب فاذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا
في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص في الفكر لا يسمع و
لا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل
عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل
باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا
بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء عليهم السلام وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى الخارج
وهو باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع فاذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم
في التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز ان تكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجائب
تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما السبب في انكشاف الامور في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك
تمثل الملائكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء عليهم السلام فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة
فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على طلب المجاهدة وطلب الكشف منها

**بيان** تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها

اعلم ان القلب مثاله مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثاله
ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب او هو مثال مرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها
صورة بعد صورة ولا تخلو عنها او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار
المتجددة في القلب في كل حال اما من الظواهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق
المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب

وبقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء
الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتأثر دائما من هذه
الاسباب واخص الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكاته
علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها
والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والارادة والعزم انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الافعال
الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم ويحرك العزم النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة
للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني ما ينفع في الآخرة فهما خاطران
مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم
انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا
ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنار حيطان البيت من النار واظلم سقفه واسود
بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي
الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى
توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك
عبارة عن خلق خلقه الله شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه الله وسخره لذلك
والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر والوسوسة
في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل
شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الله الواحد
الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في القلب لمتان لمة
من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب
بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر الآية وقال بعض السلف انما هما همان
يجولان في القلب هم من الله وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله امضاه وما كان للعدو جاهده ولتجاذب
القلب بين هاتين اللمتين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فالله سبحانه و
تعالى منزه عن ان يكون له اصبع مركبة من لحم ودم وعظم ينقسم بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على
التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصها بل لفعلها في التقليب والترديد وكما انك تتعاطى الافعال باصابعك
فالله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك
في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين صلاحا متساويا ليس
يترجح احدهما على الآخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع
مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى
الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم
ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى
لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما منكم من احد الا وله شيطان

ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله عز وجل اعانني عليه فاسلم فلا يامر الا بخير وانما كان هذا الشيطان لا يتصرف الا
بواسطة الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعوه الى الشر فا
لشيطان المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما
انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم فالتطارد بين جندي الملائكة والشياطين
في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا واكثر القلوب قد فتحتها
جنود الشيطان وملكوها فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الاخرة ومبدأ استيلائها اتباع الهوى
ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح اثر
الملائكة قال جابر بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال مثل ذلك مثل البيت
الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال
الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك تسلط عليه الشيطان
قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله وقال عثمن بن ابي العاص قلت
يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلوتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه
واتفل عن يسارك ثلثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله
منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شيء سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان
فيه من قبل ولكن كل شيء سوى ذكر الله وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون ايضا مجالا للشيطان فذكر الله سبحانه هو الذي يؤمن
جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالى والاستعاذة به
والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر
عليه الا المتقون الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف عليهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى من شر الوسواس الخناس
قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله سبحانه خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة
الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتطاردهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله
وفي الحديث ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره
اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح **فصل** وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الادمي
ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه واله وسلم ان الشيطان
ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات
للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن شما
ئلهم وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم في طرق فقعد له بطريق الاسلام فقال له اتسلم وتترك
دينك ودين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتدع ارضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد
له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد
قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فقد ذكر رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد

وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور
ان ينفك عنه ادمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال صلى الله عليه واله وسلم ما من احد الا وله شيطان وقد اتضح بهذا النوع
من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان انه
جسم لطيف او ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الان غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال
الباحث عن هذا كمثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج الى دفع ضررها واشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك
عين الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على انه عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور
في المستقبل عدو فقد عرفت العدو فينبغي ان تشتغل بمجاهدته وقد عرف الله تعالى عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به
ويحترز عنه فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال تعالى الم اعهد
اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال
عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك
كاف للعاملين فاما معرفة صفة ذاته وحقيقته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفة
ولا يحتاج في علم المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه
وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدرى انه من لمة الملك او لمة
الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون
فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر
الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب
بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه
وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة الخلق الى الصراط المستقيم فلا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطائف
الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه بعد ذلك الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول له ان
لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال يقرر ذلك وهو في اثناء ذلك يؤكد شوائب
الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى
الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان
وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان
الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال
كلمة حق ولكن لا اقولها بقولك لان له تحت الخير ايضا تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها هلك
العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض
في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب ذم الغرور من اخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان
صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الان تلبيسه في البلاد والعباد في المذاهب والاعتقادات
حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكائده فحق على العبد ان يقف عند كل هم
يخطر له ليعلم انه من لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا
بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم

فاذا هم مبصرون وكما ان الكشف لعلم الاشكال فانما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر
فيه غلطه ويتعجل هلاكه وهو لا يشعر وفيه مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال
ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين
على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق
الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها من خارج الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات
وعلايق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس من الباطن
ويبقى مع ذلك مداخل باطنة في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله سبحانه ثم انه
لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا اخر لها الا الموت اذ لا
احد من الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى الانسان بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد مع المدافعة ما يجري الدم
في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشياطين مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها
كما سياتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل لبعض السلف يا ابا
ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فاذا لا خلاص للمومن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته كما قال رسول
صلى الله عليه واله وسلم ان المومن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود شيطان المومن مهزول
وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الان مثل العصفور فقلت ولم ذاك قال تذيبني
بكتاب الله واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشيطان وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية
التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور
العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب
الواحد بهذه الكثيرة فالعبد مثاله فيه مثال المسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا
يعلم الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة فالعين البصيرة ههنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير
المستفاد من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مما يهدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة غامضة
قال ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه واله يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله
فقال وهذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الاية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا
تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه واله وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق
الغامض من طرقه وهو الذي يخدع العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا للطريق
الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الادمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه كان راهب في بني اسرائيل
فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتي بها الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى
قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس اليه
وقال الان تفتضح ياتيك اهلها فاقتلها فان اتاك اهلها فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم
والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه عنها فقال ماتت فالقى اليهم الشيطان انها مدفونة في مكان كذا
فنبشوا فوجدوها مقتولة فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني
واخلصك منهم فقال بماذا قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين

هو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الان الى حيلته و
اضطراره الراهب الى هذه الكباير وكل ذلك لطاعته له في قبوله الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير و
حسن فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض
فلا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوايل الامور واليه الاشارة بقوله من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه بيان تفصيل
مداخل الشيطان الى القلب اعلم ان القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه
ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابواب الحصن
العدو من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب
الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل
الشيطان ابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان
فمن ابوابه العظيمة الحرص والحسد فمهما كان العبد حريصا على شيء اعماه حرصه واصمه اذ قال صلى الله عليه واله وسلم
حبك للشيء يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان
فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا او فاحشا فقد روي ان نوحا لما ركب السفينة حمل فيها من
كل زوجين اثنين كما امره الله فراى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون
قلوبهم معي وابدانهم معك قال نوح اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن
بثلث ولا احدثك باثنتين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا حاجة بك الى الثلث مره فليحدثك بالاثنتين فقال ما الاثنتان
فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما اهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما واما
الحرص فانه ابيح لادم الجنة كلها الا الشجرة فاصبت حاجتي منه بالحرص ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل
واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان موسى
لقيه ابليس فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت واريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي
يتوب علي قال موسى نعم فدعا موسى ربه عز وجل فقيل يا موسى قد قضيت حاجتك فمره ان يسجد لقبر ادم فلقي موسى عليه السلام
ابليس فقال امرت ان تسجد لقبر ادم ليتاب عليك فاستكبر وغضب فقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال
ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان روحي
في قلبك وعيني في عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني اتي ابن ادم حين يلقى الزحف فاذكره
ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة ليست لك بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد
اشار بهذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من سجوده لادم ميتا هو الحسد
وهو من اعظم مداخله وقال بعض الانبياء عليهم السلام لابليس باي شيء تغلب ابن ادم قال اخذه عند الغضب وعند
الهوى وظهر ابليس لراهب فقال له اي اخلاق بني ادم اعون لك قال الحدة فان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب
الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جيت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى
اكون في راسه ومن ابوابه العظيمة حب التزين من الملابس والاثاث والدار فان الشيطان اذا راى ذلك غالبا على قلب
الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال الشيطان يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى
التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره واذا اوقعه في ذلك فقد استغنى عن معاودته فان بعض ذلك يجره

الى البعض ولا يزال يؤديه من شيء الى شيء الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ومن ذلك يخشى
سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات و
الشهوات اسلحة الشيطان روي ان ابليس ظهر ليحيى عليه السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يحيى عليه السلام يا ابليس
ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصيب بها ابن ادم قال فهل لي فيها شيء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة
وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال يحيى لله علي ان لا املأ بطني من طعام ابدا قال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا
ومن ابوابه العظيمة الطمع في الناس فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع
الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل في
الوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد قال
صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة وقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا اعلمكه قال لا حاجة لي به قال انظر فان
كان خيرا اقبلت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل احدا غير الله شيئا سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت
ومن ابوابه العظيمة العجلة وترك التثبت في الامور قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العجلة من الشيطان والتأني من
الله عز وجل وقال تعالى خلق الانسان من عجل وقال وكان الانسان عجولا وقال لنبيه صلى الله عليه وآله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى
اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تأمل ومهلة والعجلة تمنع من
ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان شره من حيث لا يدري روي انه لما ولد عيسى اتت الشياطين ابليس فقالت اصبحت
الاصنام قد نكست رؤسها قال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جال خافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى قد
ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا انا حاضرها الا
هذا فايسوا ان يعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني ادم من قبل العجلة والخفة ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر
اصناف الاموال من العروض والاثاث والدواب والعقار وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من
معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه مائة حاجة شهوة تحتاج كل شهوة منها الى مائة
دينار فلا يكفيه مائة واحدة بل يحتاج الى تسعمائة اخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن وجد مائة وظن انه صار غنيا
به وقد كان تسعمائة يحتاج الى ان يشتري بها دارا ويعمرها ويشتري جارية ويشتري اثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل
شيء من ذلك يستدعي شيئا اخر يليق به وذلك لا اخر له فيقع في هاوية اخرها عمق جهنم ولا اخر لها سواه قال ثابت لما بعث
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤا وقالوا ما ندري قال
انا اتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث محمد ثم جعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فينصرفون
خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك قال ابليس رويدا بهم
عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهنالك تصيبون حاجتكم منهم وروي ان عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال
يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت راسه ورمى به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد
به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان
بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا تتحرك
رغبته للنوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله
تعالى ومن ابوابه العظيمة البخل وخوف الفقر قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن ادم فلن يغلبني

على ثلاث ان آمره باخذ المال من غير حقه وانفاقه من غير حقه ومنعه من حقه وقيل ليس للشيطان سلاح على الانسان مثل
خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص على
ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش الشياطين روى ابو امامة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان ابليس
لما انزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال الاسواق
ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال
المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصائد قال النساء
ومن ابوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك
الفساق والعباد جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم صفة مجبولة في طبع الانسان من الصفات السبعية
فاذا تخيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلب حلاوته على قلبه فاشتغل بكل همته وهو بذلك
فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان ترى الواحد منهم يتعصب لعلي عليه السلام وكان من زهد
علي عليه السلام ما انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ وترى الفاسق لابسا
لثياب الحرير ويتجمل باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي عليه السلام ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيامة
ليت شعري من اخذ ولدا عزيزا للانسان وهو قرة عينه وحياة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض
وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاه كيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع احب الى علي عليه السلام من الاهل
والولد بل من نفسه عليه السلام والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات
ويتوددون الى ابليس عدو الله وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند علي عليه السلام وعند اولياء الله
تعالى بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما يحبه اهل بيت محمد صلى الله عليه وآله لاستحيوا من ان يجروا على اللسان ذكرهم
مع قبح افعالهم ثم ان الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لعلي عليه السلام فالنار لا تحوم حوله وكل من ادعى مذهب امام وهو يسير
بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل
العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مسلكي ومذهبي التي سلكته وذهبت الى الله
ثم ادعيت مذهبي كاذبا اقول ومما يؤيد ذلك من طريق الخاصة ما رواه في الكافي باسناده عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام
قال قال لي يا جابر ايكتفي من ينتحل التشيع ان يقول بحبنا اهل البيت فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه وما كانوا
يعرفون يا جابر الا بالتواضع والتخشع والامانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعهد للجيران
من الفقراء واهل المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الالسن عن الناس الا من خير
وكانوا امناء عشائرهم في الاشياء قال جابر يا ابن رسول الله ما نعرف احدا اليوم بهذه الصفة فقال يا جابر لا تذهبن
بك المذاهب حسب الرجل ان يقول احب عليا واتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالا فلو قال اني احب رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فرسول الله خير من علي ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه اياه شيئا فاتقوا الله واعملوا
لما عند الله ليس بين الله وبين احد قرابة احب العباد الى الله تعالى واكرمهم عليه اتقاهم واعملهم بطاعته يا جابر
والله ما يتقرب الى الله تعالى الا بالطاعة وما معنا براءة من النار ولا على الله لاحد من حجة من كان لله مطيعا فهو
لنا ولي ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو وما تنال ولايتنا الا بالعمل والورع وقد ذكرنا هذا الحديث في ربع العلم و ربع
العبادات وفي كتاب اخلاق الامامة وآداب الشيعة من ربع العادات ايضا وانما اعدنا ذكره ههنا لشدة مناسبته للمقام

ومن الحاج اكثر الناس اليه وبالاسناد عن حنان بن سدير قال قال ابو الصلاح الكناني لابي عبد الله عليه السلام ما نلقى من الناس فيك فقال ابو عبد الله عليه السلام وما الذي تلقى من الناس فيّ فقال لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول جعفري خبيث فقال يعيركم الناس بي فقال ابو الصلاح نعم قال فقال ما اقل والله من يتبع جعفرا منكم انما اصحابي من اشتد ورعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه فهؤلاء اصحابي وبالاسناد عن ابي الحسن الاول عليه السلام قال كثيرا ما كنت اسمع ابي يقول ليس من شيعتنا من لا تحدث المخدرات بورعه في خدورهن وليس من اوليائنا من هو في قرية فيها عشرة الاف رجل فيهم من خلق الله اورع منه قال ابو حامد وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم وقد سلمت المنابر لاقوام قل من التقوى نصيبهم وضعف في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يمكنهم الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نصبوا لهم نيابة عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم قال بعض السلف بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال ابن مسعود قعد قوم يذكرون الله فاتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم ومن ابوابه العظيمة حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله وصفاته وفي امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في اصل الدين او يخيل اليهم في الله تعالى خيالا يتعالى الله عنه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه واحرصهم على السؤال من العلماء روي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال ان الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله تعالى فاذا وجد احدكم ذلك فليقل امنت بالله تعالى وبرسوله فان ذلك يذهب عنه فالنبي صلى الله عليه واله وسلم لم يامر في علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام ان يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم ويتركوا العلم الى العلماء فالعامي لو يزني او يسرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم فانه من تكلم من غير اتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقايد والمذاهب لا تحصر وانما قصدنا بما اوردناه المثال ومن ابوابه سوء الظن بالمسلمين ولذلك قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ومن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهمة فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اتقوا مواضع التهم حتى احترز هو صلى الله عليه واله وسلم احترز منه روي عن علي بن الحسين عليهما السلام ان صفية بنت حيي اخبرته ان النبي صلى الله عليه واله وسلم كان معتكفا فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال انها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا قال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز

والتهم

من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم • ومنه قال الشاعر وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا • فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فانهم لا يظنون بالناس الا الشر فمهما رايت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم القلب في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردنا استقصاءها لم نقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة مذمومة الا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله **فصل** فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاعلم ان علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سياتي شرحه ان شاء الله نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا يتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث النفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا خصص ذلك بالمتقين ومثل الشيطان مثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم او خبز فانه ينزجر عنك بان تقول له اخسا فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك شيء من ذلك وهو جائع فانه يهجم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب اما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانما يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان وذلك قوله تعالى فاستعذ بالله وسائر الاخبار والايات الواردة في الذكر فمهما طمعت ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما يندفع عنهم كان مثلك كمن يطمع ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان عنه كما يندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك صلواتك فراقب قلبك اذا كنت في صلواتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وجواب المعاندين وحساب العاملين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تتذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا الا في صلواتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت فالصلاة محك القلوب فيها تظهر محاسنها ومساويها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان اردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي الله بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت

فلا يستجاب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن ادهم ما لنا ندعو فلا يستجاب
لنا وقد قال الله تعالى ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله فلم تقوموا بحقه
وقرأتم القرآن فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له
وقال الله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار وارهقتم ابدانكم فيها
وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وقدمتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم
فكيف يستجيب لكم **فصل** فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفة فاعلم انه لا حاجة بك الى
معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كما يقال كل البقل من حيث يؤتى به ولا تسأل عن المبقلة
ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو اليه
فاما طريق الاستبصار وذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب
كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد وجعل كل واحد منهم على شيء
من امره فذكر اسماءهم ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود و
دعوى الجاهلية واما الاعور فانه صاحب الزنا يأمر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فانه يدخل مع الرجل
الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظلمين وشيطان الصلاة
يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد وردت في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة
كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل ينفرد به وقد قال ابو امامة
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر
سبعة املاك يذبون عنه كما تذبون عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل
وجبل كلهم باسط يديه فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال ايوب بن يزيد بلغنا
انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤون معهم وقال جابر بن عبد الله ان آدم عليه السلام لما اهبط قال يا رب هذا
العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك
يا رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال يا رب زدني قال الله عز وجل باب
التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال ابليس يا رب هذا العبد الذي كرمته علي لا تعينني عليه لا اقوى عليه
قال الله لا يولد له ولد الا ويولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال
رب زدني قال تعالى اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان
الا غرورا وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلق الله الجن ثلاثة اصناف صنف حيات
وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله الانس ثلاثة اصناف صنف
كالبهائم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها الاية وصنف اجسادهم اجساد بني آدم وارواحهم
ارواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وقال وهب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا
عليهما السلام فقال له انصحك قال لا اريد ذلك ولكن اخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة اصناف اما صنف
منهم اشد الاصناف علينا نقبل على احدهم حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء
ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء واما الصنف الاخر



فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الاخر فهم معصومون منا
لا نقدر منهم على شيء **فصل** فان قلت كيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون بعض واذا رأى صورته فهي صورته الحقيقية او
هو مثال يتمثل به وان كان صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين
حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا تدرك حقيقة صورتهما
بالمشاهدة الا بانوار النبوة كما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل عليه السلام في صورته مرتين وذلك انه سأله صلى الله
عليه وآله وسلم ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بحراء فطلع له جبرئيل عليه السلام فسد الافق من المشرق
الى المغرب ورآه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الآدمي غالبا وكان يراه
في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل
له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه باذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين
وانما المكاشف في اليقظة هو الذي قد انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم
فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما روي ان رجلا سأل الله تعالى ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم
جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه واذنه
له خرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد
بعينه في اليقظة فقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا
وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان يظهر فيه حقيقته من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت
وعند ذلك يشرق اثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل بالاخر وقد بينا ان القلب
له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي
يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كله متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر
الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح
لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا تكون الا
محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة
فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني و
محاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الصدر
وهكذا جميع ابواب الرؤيا والتعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب لا يليق ذكرها بعلم المعاملة فانما المقصود
ان تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق
الحقيقة والاكثر هو التمثل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة
وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حواليه كالنائم **بيان** ما يؤاخذ العبد به من وساوس القلوب وهمها وخواطرها
وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه آيات واخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع
بينها الا على سماسرة العلماء بالشرع فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال عفي عن امتي ما حدثت
به نفوسها وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال يقول الله تعالى للحفظة اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان
عمل بها فاكتبوها سيئة وان هم بحسنة لم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري

في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم
بحسنة فعملها كتبت له عشر الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة وفي لفظ آخر
واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي
باسناده عن احدهما عليهما السلم قال ان الله تعالى جعل لآدم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة
وعملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ومن عمل بها كتبت عليه سيئة قال ابو حامد فاما ما يدل على
المؤاخذة فقوله سبحانه وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقوله تعالى
ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع
والبصر فلا يعفى عنه وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في
ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق عندنا في هذه المسألة انه لا يوقف عليه ما لم يقع الاحاطة بتفصيل اعمال
القلوب من مبدأ ظهورها الى ان يظهر العمل الى الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة
وانها وراءه في الطريق لو التفت اليها لرآها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع
وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع والاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي
ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات
وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل
الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدأ
ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة فاذا
انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل بها ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق
فيتعذر عليه العمل فههنا اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم
الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما ايضا لا يدخلان تحت
الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه واله وسلم عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر
التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما العزم والهم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن
مظعون حيث قال له يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي
قال مهلا خصاء امتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان
اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته في كل يوم لاكلته ولو سألت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها
عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور فيها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذ لم يكن معها عزم وهم بالفعل واما
الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا مردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه
فالاختيارية منه يؤاخذ به والاضطرارية لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر
فان تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل
على تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل
لله سبحانه اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح جده في الامتناع وهمه به على همه
بالفعل وان تعوق الفعل لعائق او تركه لعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل اختياري والدليل على هذا

التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك
يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها عليه بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها
من اجلي حيث قال لم يعملها اراد به تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب او غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد
قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ليقتل مسلما
او يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي
صلى الله عليه واله وسلم قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما
بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن
ان الله لا يؤاخذ بالنية بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مأخوذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة
فلذلك كتبت له حسنة فاما فوت المراد بعائق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يؤاخذ
به لانه لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا
ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لعلكم تقولون
كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله عز وجل الفرج بعد سنة بقوله عز وجل لا يكلف الله نفسا
الا وسعها اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الاحتجاج عن امير المؤمنين عليه السلم ان هذه الآية عرضت على الانبياء والامم
السابقة فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله صلى الله عليه واله وعرضها على امته فقبلوها فلما رأى الله عز
وجل منهم على انهم لا يطيقونها قال اما اذ قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم فابوا ان
يقبلوها وقبلها رسول الله صلى الله عليه واله وعرضها على امته فقبلوها فلما رأى الله عز وجل منهم القبول على انهم
وقبلها امته فحق علي ان ارفعها عن امته وقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال ابو حامد فيظهر به ان كل ما لا يدخل
تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري
على القلب يسمى حديث النفس ومن لم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلوب
والكبر والرياء والعجب والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان
عنه مسؤلا اي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فان اتبعها نظرة ثانية
كان مؤاخذا بها لا محالة لانه مختار وكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب قال الله عز وجل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم والتقوى في القلب وقال صلى الله عليه واله وسلم الاثم حواز القلوب وقال صلى الله عليه
وسلم البر ما اطمأن اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا فيه كان مثابا
على فعله بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر انه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله فان تركه ثم تذكر كان معاقبا
ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يعص بوطيها وان كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية عصى بوطيها وان
كانت امرأته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر
ام لا اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق فقالت
فرقة ان الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال فاذا ذكر الله خنس الشيطان والخنوس هو

الملكوت ومكاشفات وقالت فرقة لا ينعدم اصلها ولكن يجري في القلب ولا يكون لها اثر لان القلب اذا صار مستوعبا
للذكر صار محجوبا عن التاثر بالوسوسة كالمشغول بهمة فانه قد يتكلم فلا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة
لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن يسقط غلبتها للقلب كانه يوسوس من بعيد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم
عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر بها في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهي كالكرة
التي عليها نقط متفرقة فانك اذا ادرتها بسرعة رايت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنس
قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب
الدوام تساوقا لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينيه شيئين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه
يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة
باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد منهم الى صنف واحد من الوسواس فاخبر عنه والوسواس ثلثة اصناف الاول ان
يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر
عن الشهوات طول العمر الم عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات
شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان
وهرب اذ لا يستطيع ان يقول له النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه
بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في علمه وعمله ويقول له اي عبد يعرف الله كما
تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد حينئذ ان معرفته وقلبه وقدرته واعضاءه التي بها عمله وعلمه
كل ذلك من خلق الله فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا
نوع من الوسوسة ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الايمان والمعرفة الصنف الثاني ان يكون وسواسه بتحريك
الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعرف العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان
عن تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فيكون الوسوسة
موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة الصنف الثالث ان يكون وسواسه بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في غير
الصلوة في غير الصلوة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة
ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين من القلب وبعيد
جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ركعتين لم يحدث
فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في
قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى المستوعب القلب بعدو قد تاذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في
مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غيره وكذا المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر
بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه احد لكان كانه لا يراه فاذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص
على جاه او مال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الآخر واذا
تاملت جملة هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص
من الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد او محال ولا ينقطع وسوسته عن الدنيا

الا بان ترى اللذة فانه لم يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه الشيطان في صلوته عن الفكر في ديناره وانه كيف
يحفظه وفيما ذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به احد وكيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشب مخالبه في
الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه وهو محال فالدنيا باب عظيم
لوسواس الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب قال حكيم من الحكماء الشيطان ياتي ابن ادم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه
من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم عليه ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه
وصلوته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه
فبه يهلكه وعنده تشتد الحاجة فانها اخر درجة ويعلم انه لو جاوزها افلت منها الى الجنة **بيان** سرعة تقلب القلب
وانقسام القلوب في التغير والثبات اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الاثار والاحوال
من الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء يتاثر به اصابه من جانب اخر ما
يضاده فتتغير صفته فان نزل به الشيطان ودعاه الى الهوى التفت القلب اليه نزل به الملك وصرفه عنه وان
جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان اخر الى غيره وان جذبه ملك الى الخير جذبه ملك اخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين
ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم
وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف
به ويقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول صلى الله عليه وآله وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا
اوتخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ اخر ان شاء
ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له صلى الله عليه وآله وسلم ثلثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور
يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم مثل القلب كمثل
ريشة في ارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات من عجائب صنع الله وعجيب صنع الله في تقلبها من حيث لا يهتدي
اليه لا يعرفها الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما
ثلثة قلب عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق فتنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل
الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه
فيحكم بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه
مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى
ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام لا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه
الاشارة بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من
مشكوة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ولا يخفى
على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف عليه الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا فلا يلتفت
اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الشكر والصبر والخوف
والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة والمراقبة وغير ذلك وهو القلب الذي
اقبل الله تعالى عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقوله عز وجل يا ايتها
النفس المطمئنة القلب الثاني القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه ابواب

الشياطين المسدودة عنها ابواب الملائكة ومبادي الشر فيها ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل
ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى
مساعدة الهوى فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وينبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل
عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي
بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الاخرة اذ يتصاعد من الهوى دخان
مظلم الى القلب يملا جوانبه حتى تنطفي انواره فيصير العقل كالعين التي ملا الدخان اجفانها فلا تقدر على ان تنظر
وهكذا تفعل غلبة الشهوة في القلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه
عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى وظهرت المعصية الى عالم
الشهادة من خزاين الغيب بقضاء من الله وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه الى
اخر الاية وبقوله عز وجل لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وبقوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله الى بعض الشهوات
كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه او
كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه
عند الغضب مهما استحقر او ذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه
تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفي
منه انوار البصيرة فينطفي منه نور الحياء والمروءة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان القلب الثالث قلب يبدو
فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر
فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل
ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان
حملة على العقل ويقوي داعية الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك
يخالف هواه او يترك غرضه افتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا
يضحك عليك اهل الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم
الفلاني ليس يحترز عن مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة
على الشيطان فيقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد
ام تستثقل الم الصبر عن شهوة ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم
للشيطان مع ان عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك ارايت لو كنت في يوم صائف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت
بارد اكنت تساعد الناس ام تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك
فلا يزال القلب يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت الصفات التي
في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشياطين
معرضا عن حزب الله تعالى واوليائه ومساعدا لحزب الشيطان واوليائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده
عن الله تعالى وان كان الغالب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة
وتهوينه امر الاجلة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين اصبعين

[illegible]

من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الحزبين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب فاما الثابت على الدوام
مع حزب الملائكة او حزب الشياطين فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزاين الغيب الى عالم الشهادة بواسطة
خزانة القلب فانه من خزاين الملكوت وهي ايضا اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له
اسبابها ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعصية وسلطت عليه اقران السوء والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع
الحكم يغر الحمقى كقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم فان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم
ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله وبهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع
قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا
الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق
لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وعرف الخلق علامات اهل النار واهل الجنة فقال تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار
لفي جحيم فالله تعالى الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولنقتصر الان على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب
فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها
لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشور عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية
له ومقنع ان شاء الله تعالى ○ هذا اخر كتاب شرح عجايب القلب من الحجة

البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله كتاب رياضة

النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب

والحمد لله اولا واخرا

## كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص العباد تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والصلاة على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح انوار النبوة من بين اساريره وتستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل ولم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره اما بعد فان الخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الابواب المفتوحة من القلب الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الابد واين منه المرض الذي لا يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها فوت حياة باقية اولى هذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنق في معرفة عللها واسبابها ثم الى تشمير في علاجها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله عز وجل وقد خاب من دساها ونحن نشير في هذا الكتاب الى جمل من امراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك ياتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الان النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها تعرف امراض القلوب ثم بيان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشوء ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا يجمع مقاصد هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

بيان

### بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه صلى الله عليه وآله وسلم مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله عز وجل خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وآله وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وآله وسلم اثقل ما يوضع في الميزان تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشؤم فقال سوء الخلق وقال رجل يا رسول الله اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الاعمال افضل قال حسن الخلق وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله تعالى الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المؤمنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وآله وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهم قد حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهم اني اسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كرم المرء دينه ومروته عقله وحسبه خلقه وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وآله يقولون ما خير ما اعطي العبد قال حسن الخلق وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا يعتد بشيء من عمله تقوى تحجزه عن محارم الله او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت وقال انس بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال صلى الله عليه وآله وسلم اليمن حسن الخلق وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وآله وسلم لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قالت ام حبيبة يا رسول الله ارأيت المرأة منا يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب

حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه
وكرم ضريبته وفي رواية اخرى درجة الظمآن في الهواجر وقال انس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليبلغ
بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وقال صلى الله عليه وآله سوء الخلق ذنب لا
يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم اقول
وقد ذكرنا الاخبار في فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق من طريق الخاصة في اول كتاب آداب الصحبة والمعاشرة
من ربع العادات فلا نطول الكلام باعادتها ومن الآثار قال لقمان الحكيم لابيه يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال
الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت اربعا
قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا
كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه هذه الخمس فهو نقي تقي ولله ولي ومن الشيطان بريء وقيل من ساء خلقه عذب
نفسه وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة
المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق
وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيته رحمة له
فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء
وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة
لا تضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله تعالى في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقيكم قيل
فما الحسب قال افضلكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس الايمان حسن الخلق وقال ابن عطاء ما ارتفع
من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم واقرب الخلق الى الله تعالى
السالكون آثاره

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن وانه ما هو وما
تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في
ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول
بعضهم حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله
وقال بعضهم هو ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله فهذا وامثاله كثير وهو
ثمرات حسن الخلق لا نفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات ايضا وكشف الغطاء عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة
فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة
الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدركة
بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك
بالبصر ولذلك عظم الله امره بالاضافة الى نفسه فقال تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فنبه ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله تعالى والمراد بالنفس والروح في هذا المقام واحد فالخلق
عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر
منها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعال قبيحة سميت الهيئة
التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر عنه بذل المال من الندور لحاجة عارضة

لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان تصدر عنه الافعال بسهولة من غير
روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا اربعة امور
احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل الى احد الجانبين
وتيسر عليها احد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد
المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او رياء وليس هو عبارة عن القدرة لان نسبة القدرة الى
الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطاء والامساك وذلك
لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد
بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منه الامساك والبذل فالخلق اذن عبارة
عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم
والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن
الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة
وقوة العدل بين هذه القوى الثلث واما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق
والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا حصلت هذه القوة حصل
منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما
قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في
ان يكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة العقل والدين واما قوة العدل فهي في ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل
والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب
هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثال الغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب
الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا
وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون
بعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون البعض وحسن القوة الغضبية
واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال
الى طرف الزيادة سمي تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان سمي ذلك جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف
الزيادة سمي شرها وان مالت الى النقصان سمي خمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان
مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند
الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن
امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب
من الخطأ في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى
الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل
في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر
الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن

التفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها تصدر البلاهة والغباوة والحمق والجنون واعني بالغباوة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غبيا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح لكن سلوكه للطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار ويكون اصل ايثاره واختياره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتؤدة واما الميل الى افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع والامانة والطلاقة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط او التفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الصفات والفضائل الاربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربعة الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وكل من جمع الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن جميع هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب من الشيطان البعيد اللعين فينبغي ان يبعد كما ان الاول قرب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه فلم يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال وقد اشار القرآن الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ فالايمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله الصحابة فقال أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه

## بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة

اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق فلم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث سريرته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها وان الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يقدر ان يجعل نفسه قصيرا والقصير لا يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك الخلق الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن

اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من شره الاكل الى التأدب والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للآدمي واختياره في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة قبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلا ان انضاف اليها التربية ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وانقيادهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب الاولى هو الانسان الغافل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم يستتم شهوته ايضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان الثانية ان يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهوته واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه وظيفتان الاولى قلع ما رسخ في نفسه من كثرة التعود للفساد والاخرى ان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه في الجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم الثالثة ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى عليها فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال والرابعة ان يكون مع نشوه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذئب فالاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو ان الآدمي ما دام حيا فلا ينقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد

اذ ينقل

قلع الغضب والشهوة بالكلية والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك قال سيدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اللهم إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقا فكان
الغضب لا يخرجه عن الحق قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة إلى الاعتدال
بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير
الخلق فإنه ربما تستولي الشهوة على الإنسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط إلى الفواحش وبالرياضة
تعود إلى حد الاعتدال فدل على أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل
على أن المطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير
والتقتير وقد أثنى الله تعالى عليه فقال والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون
الشره والجمود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى في الغضب أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الأمور أوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب
عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى إلا من أتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا
وشرط القلب أن يكون سليما منهما أي لا يكون ملتفتا إلى المال ولا يكون حريصا على إمساكه ولا حريصا على إنفاقه
فإن الحريص على الإنفاق مصروف القلب إلى الإنفاق كما أن الحريص على الإمساك مصروف القلب إليه وكان الكمال
أن يصفو من الوصفين جميعا فإذا لم يمكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين
وهو الوسط فإن الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما كأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير
والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والخمود وكذلك سائر الأخلاق فكلا طرفي قصد الأمور ذميم
فهذا هو المطلوب وهو ممكن حقا نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأسا ويذم إمساك المال
رأسا ولا يرخص له في شيء منه لأنه لو رخص له في أدنى شيء منه اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن
أنه القدر المرخص فيه فإذا قصد قلع الأصل وبالغ فيه ولم يتيسر له إلا كسر سورته بحيث يعود إلى الاعتدال فالصواب
أن يطلب قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود ولا يكشف هذا السر للمريد فإنه موضع غرور الحمقى إذ يظن بنفسه أن
غضبه بحق وأن إمساكه بحق **بيان** السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة
الغضب والشهوة وكونهما مطيعين للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين أحدهما بجود إلهي وكمال فطري بحيث
يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل
والشرع فيصير عالما بغير تعلم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى ويحيى عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء عليهم السلام ولا يبعد أن
في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه
بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة
وأعني بها حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن
يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به
نفسه جوادا وكذلك من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين
مدة مديدة وهو فيها مجاهد لنفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك له خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الأخلاق المحمودة شرعا

تحصل

تحصل بهذا الطريق وغايتها أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله
عن كراهية والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود جميع العادات
الحسنة وما لم تترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق معها إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال
القبيحة ويتألم بها كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات
مع كراهية واستثقال فهو لنقصانه ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها
لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وآله وسلم اعبد الله
في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة
واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة
أرسخ وأكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك كره
الأنبياء والأولياء عليهم السلام الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل
والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإنما يتأكد تأثيرها بكثرة
المواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقلع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من
لقاء الله تعالى ومن لقاء الله فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها
إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله سبحانه وذلك بأن يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به مستلذا
له ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فإن العادة تقتضي في النفس عجائب أغرب من ذلك فإنا نرى
الملوك والمتنعمين في أحزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس
بغير قمار مع أن القمار ربما سلبه ماله وخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول إلفه وصرف نفسه
إليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بألمها لفرحه بالطيور وحركاتها
وطيرانها وتحليقها في جو السماء وعودها بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط
وعلى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد
منهم إربا إربا على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصر على الإنكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية
فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال المخنث في تشبهه بالإناث في
نتف الشعر ووشم الوجه ونرى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه حتى يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين
والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام
مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى القبائح
فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي
الميل إلى أكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فأما ميلها إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو
كالميل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه
وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام
والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال إلى حب شيء سوى حب الله فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا أحب ذلك الشيء لكونه
معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل على المرض فإذن قد عرفت بهذا قطعا أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن

الكتابة بالرياضة وهو تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء ليصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس
والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع
منه اثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة صفة له نفسية حتى يصير كاتبا
بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهو يحاكي
الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في
نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه
حسنا ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انخفض من النفس الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن
طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى ينعطف
منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى
افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك بالعادة طبعا فلا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من نيل هذه
الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها
بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها
ثم تتداعى قليلا قليلا حتى يأنس القلب بالكسل ويهجر التحصيل راسا فيفوته فضيلة الفقه فكذلك صغار المعاصي يجر
بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تاثيره في تفقيه النفس
بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تاثيرها
في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة
من الآحاد فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فلها لا محالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية
وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي فيسوف نفسه يوما فيوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه
فكذلك من يستهين بصغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي الى ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة
الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير ويصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه
من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا ولذلك
قال علي عليه السلام ان الايمان ليبدو في القلب لمعة بيضاء فكلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان
ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود
القلب كله فاذن قد عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة
ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت
في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء
السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات
ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون **بيان** تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق قد عرفت من قبل ان الاعتدال
في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن
الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل

والاخلاق

والاخلاق الجميلة لها وجلبها اليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما ان الغالب على اصل
المزاج الاعتدال وانما تعتري المعدة العلة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا
على الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه اي بالتعود والتعلم تكتسب الرذائل وكما ان البدن في الابتداء
لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل
بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون
الحافظ للصحة وان كان مريضا فشانه جلب الصحة اليه فكذا النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق
فينبغي ان تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال و
الصفاء فينبغي ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها
ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج
مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد
من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة
والصبر لمداواة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى
يحصل منه عذاب يدوم بعد الموت ابد الاباد وكما ان كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص
ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع
منه فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التي تعالج بها الاخلاق لا بد لها من معيار وكما ان معيار
الدواء ماخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة فان كانت من حرارة فيعرف
درجتها اهي ضعيفة ام قوية فاذا عرف ذلك التفت الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه
وسائر احواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا
يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج
جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم
بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي سنه وحاله ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني عليه **اقول** ثم شرع ابو
حامد في ذكر جزئيات طريق تعليم الشيخ للمريد لما كان بناء اكثرها على ايجاب متابعة من يجوز عليه الخطأ وعلى بدع
اخرى يخالف طريقة اهل البيت عليهم السلام كما ياتي بيانه طويناها على ان ما لا بد منه من ذلك كان فيما ذكرناه في
كلامنا سابقا ولاحقا **بيان** علامات مرض القلب وعلامات عوده الى الصحة اعلم ان كل عضو من اعضاء البدن
خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر منه مع نوع من الاضطراب
فمرض اليد ان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار فكذلك مرض القلب هو ان يتعذر عليه فعله الخاص
الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وايثار ذلك على كل شهوة سواه
والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء اليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو فائدة
وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للآدمي ما يتميز به عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع
والابصار وغيرها بل بمعرفة الاشياء على ما هي عليه واصل الاشياء وموجدها ومخترعها هو الله تعالى الذي جعلها اشياء فلو عرف
كل شيء ولم يعرف الله تعالى فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى احبه وعلامة المحبة ان لا يؤثر عليه الدنيا

ولا غيرهما من المحبوبات كما قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم الى قوله أحب إليكم من الله ورسوله الآية فمن كان عنده شيء
أحب إليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز
والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة فهذه علامات المرض إلا ما شاء الله
إلا أن من الأمراض ما لا يعرفه صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وإن علمه صعب عليه الصبر
على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح من البدن وإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد
طبيباً حاذقاً يعالجه فإن الأطباء هم العلماء والمرض قد استولى عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه
فلهذا صار الداء عضالاً والمرض مزمناً واندرس هذا العلم وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق
على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءات فهذه علامة أصل المرض وأما علامة عود
الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها فإن كان يعالج داء البخل وهو المهلك المبعد عن الله فإنما علاجه
ببذل المال وإنفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء فيكون كمن يعالج البرودة بالحرارة
حتى تغلب الحرارة وهو أيضاً داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير
والتقتير حتى يكون على الوسط وذلك في غاية البعد عن الطرفين فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه
الخلق المذموم فإن كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون إمساك
المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فإن
صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على
الإمساك بالحق ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الأفعال وتعسرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال
فلا تميل الى بذله ولا الى إمساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب منه إمساكه إلا لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا
يترجح عندك البذل على الإمساك ولا الإمساك على البذل فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله بقلب سليم عن هذا المقام
خاصة ويجب أن يكون سليماً عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة
العلائق منها غير ملتفتة إليها ولا متشوقة الى أسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية
داخلة في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ولما كان الوسط الحقيقي
بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا
جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم أعني الوسط حتى لا يميل الى أحد
الجانبين فيكون قلبه متعلقاً بالجانب الذي مال إليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان
مثل البرق الخاطف قال تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا أي الذين
كانوا الى الصراط الوسط أكثر منهم الى البعد عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله سبحانه في كل يوم سبع عشرة مرة
بقوله اهدنا الصراط المستقيم إذ وجب قراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة فرأى بعضهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لقوله
تعالى فاستقم كما أمرت فالاستقامة على سواء الطريق في غاية الغموض ولكن ينبغي أن يجتهد الإنسان في القرب من الاستقامة
إن لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا
عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب

بيان

**بيان** الطرق التي يعرف بها الإنسان عيوب نفسه اعلم أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته
نافذة لم تخف عليه عيوبه وإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه
ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يقف على عيب نفسه فله أربع طرق **الأول** أن يجلس بين يدي بصير بعيوب النفس
مطلع على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده **الثاني**
أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً فينصبه رقيباً على نفسه ليراقب أحواله وأفعاله فما يكرهه من أخلاقه وأفعاله
وعيوبه الظاهرة والباطنة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الأكابر من أئمة الدين كان بعضهم يقول رحم الله امرأ أهدى
الي عيوبي وكل من كان أوفر عقلاً وأعلى منصباً كان أقل إعجاباً وأعظم اتهاماً لنفسه إلا أن هذا أيضاً قد عز فقل في
الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو أصدقاؤك عن حسود أو
صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيباً أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل
الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال ماذا أصنع بأقوام يخفون عني ذنوبي فقد كانت شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا على
عيوبهم بنصيحة غيرهم وقد آل الأمر في أمثالنا الى أن أبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحاً
عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقرباً لتقلدنا منه منة
وفرحنا به واشتغلنا بإبعاد العقرب وقتلها وإنما نكايتها على البدن ويدوم ألمها يوماً فما دونه ونكاية الأخلاق
الرديئة على صميم القلب أخشى أن يدوم بعد الموت أبداً أو آلافاً من السنين ثم إنا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بإزالتها
بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول له وأنت أيضاً تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه
أن يكون هذا من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا
ويبصرنا بعيوب أنفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله **الطريق الثالث**
أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فإن عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكر
عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو
وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم
**الطريق الرابع** أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموماً فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وما يراه محموداً فليطالب
نفسه إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى
فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرين الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليتفقد نفسه ويطهرها
من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديباً فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى عليه السلام
من أدبك فقال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حيل من فقد شيخاً عارفاً ذكياً بصيراً بعيوب النفس مشفقاً
ناصحاً في الدين فارغاً من تهذيب نفسه مشتغلاً بتهذيب عباد الله نصحاً لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه
فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده **بيان** شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع
على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها اتباع الشهوات اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار
انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فإن عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك
التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فإن للإيمان درجات كما أن للعلم درجات والعلم يحصل
بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بأن مخالفة الشهوات

هو الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على عيبه وسره فهو من الذين امنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اغوار الشهوات واسرارها
فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذى يقتضى الايمان بهذا الامر فى القران والسنة واقاويل العلماء
اكثر من ان تحصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده
ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدته وروى ان الله
عز وجل اوحى الى داود عليه السلم يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها
عنى محجوبة وقال عيسى عليه السلم طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال صلى الله عليه وآله وسلم لقوم
قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا يا رسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد
النفس وقال صلى الله عليه وآله وسلم المجاهد من جاهد نفسه فى الله عز وجل وقال صلى الله عليه وآله وسلم كف اذاك
عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله اذا تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى و
يستر برحمته وقال يحيى بن معاذ جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض
من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو
الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الافات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شىء اشد
من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والاثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام
جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدى الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم
والانتقام فتأمن من بوائقها فى سائر الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل افاتها فتصير عند ذلك نظيفة
لطيفة ونورانية خفيفة فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات كالفرس الفاره فى الميدان وكالملك
فى البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته
ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها
ومنعت قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى
الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد من احب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل وروى ان امرأة
العزيز قالت ليوسف عليه السلم بعد ما ملك الخزائن ان الحرص والشهوة تصير الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى تصير
العبيد ملوكا فقال يوسف عليه السلم انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال على عليه السلم من اشتاق الى الجنة
سلا عن الشهوات فى الدنيا فاذن قد اتفق العلماء والحكماء على ان الطريق الى سعادة الاخرة لا يتم الا بنهى النفس عن الهوى
ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب اما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف بما قدمناه وهو ان
الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشىء مما لا يوجد معها فى القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح و
الكسوة على كل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشىء منها انس به والفه فاذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا
بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له فى الاخرة بحال ولا خلاص منه الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله
تعالى وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع به عوائق الفكر والذكر فقط فمن لا يقدر على حقيقة ذلك
فليتقرب منه فالناس فيه اربعة رجل مستغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا فى ضرورات المعيشة فهو من الصديقين
ولا ينتهى الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثانى رجل استغرقت الدنيا قلبه

فلم يبق

فلم يبق لله عز وجل ذكر فى قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل
بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لابد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة
ذكر الله على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه فى النار لكن يخرج
منها لا محالة لقوة ذكر الله فى قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه ومن ثم يقول القائل ان
التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله تعالى فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا راس كل خطيئة
والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا ايضا وسبب ذلك ثلثة كما نم الدنيا فاذن لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق
ما لم تمنع النفس من التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت فى المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة
والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن المهمات حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة
وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمى البصر الى كل شىء جميل لم يتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذى
يشتهى به الحلال هو بعينه يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها عن الحرام فان لم تعود الاقتصار
على قدر الضرورة فى الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى افات المباحات ووراءها افة اعظم من هذه وهى ان النفس تفرح
بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى تصير ثملة بها كالسكران الذى لا يفيق من سكره وذلك لان
الفرح بالدنيا سم قاتل يسرى فى العروق فيخرج من القلب الحزن والخوف وذكر الموت واهوال القيمة وهذا هو موت
القلب قال الله تعالى وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا فى الاخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو الى قوله متاع الغرور وقد ذم الحزم من ارباب القلوب ان جربوا قلوبهم فى حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها
قاسية بطرة بعيدة من التأثر بذكر الله تعالى واليوم الاخر وجربوها فى حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية
قابلة لاثار الذكر فعلموا ان النجاة فى الحزن الدائم والتباعد عن اسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها
الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب فى عرصات القيمة فقد عذب
فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم فى الدنيا والاخرة بالخلاص من اسر الشهوات ورقها والانس
بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازى اذا قصد تاديبه ونقله عن توثبه وتوحشه الى الانقياد
والتاديب فانه يحبس اولا فى بيت مظلم ويخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران فى جو الهواء وينسى ما كان قد
الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه ويالفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه
فكذلك النفس لا تالف ربها ولا تانس بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر عن
المالوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا فى الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عوضا من الانس بالدنيا
وسائر الشهوات وذلك يثقل عليه فى البداية ثم يتنعم به فى النهاية كالصبى يفطم عن الثدى وهو شديد عليه اذ كان
لا يصبر عنه ساعة فلذلك يكثر بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذى يقدم اليه بدلا عن اللبن
لكنه اذا منع اللبن راسا يوما فيوما وعظم تعبه فى الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير طبعا له فلو رد الى
الثدى لم يرجع اليه فيهجر الثدى ويعاف اللبن ويالف الطعام وكذلك الدابة فى الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب
فيحمل عليها قهرا وتمنع عن السرح الذى الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم تانس به بحيث تترك فى موضعها فتقف فيه
من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور والدواب وتاديبها بان تمنع عن البطر والاشر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل
ما يزايله بالموت فيقال لها احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علم انه من احب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل

قلبه بعدها الا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه فيكون ذلك انيسه فليصبر اياما قلائل فالعمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتنعم به سنة فكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان يختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل احد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا تزول الا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت والسلام

**بيان** علامات حسن الخلق اعلم ان كل انسان فهو جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامات حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون وقال التائبون العابدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات المؤمنين هو حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل لمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله عز وجل فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكرهه وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال هو ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمؤمن آمن من كل احد الا الله والمنافق خائف من كل احد الا الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وقال



ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفاء ومن شكى من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضحك ثم امر له بعطاء ولما اكثرت قريش ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ويحكى ان عليا عليه السلام دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام فقال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله

**اقول** ثم ذكر ابو حامد حكايات عن الصوفية زعم انها تدل على حسن اخلاقهم بتذليل انفسهم للناس وقد عرفت من طريق اهل البيت عليهم السلام ان المؤمن لم يؤذن له في ان يذل نفسه فلا حاجة بنا الى نقلها وقد ذكرنا في كتاب اخلاق الامامة وآداب الشيعة من ربع العادات من اخلاق اهل البيت عليهم السلام ومحاسن الاخلاق وصفات المؤمنين ما فيه بلاغ لقوم عابدين وكذا في كتاب آداب الصحبة والمعاشرة من ذلك الربع واقوال اهل البيت واحوالهم عليهم السلام هي الحجة والقدوة في كل باب فالله الموفق

**بيان** الطريق في رياضة الصبيان في اول النشوء ووجه تأديبهم وتحسين اخلاقهم اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبان يصونه عن نار الآخرة اولى وصيانته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحياء فاذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحيي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا يأخذ الطعام الا بيمينه وان يقول عليه بسم الله عند اخذه وان يأكل مما يليه وان لا يبادر الى الطعام قبل غيره وان لا يحدق النظر الى الطعام ولا الى من يأكل وان لا يسرع في الاكل وان يجيد المضغ وان لا يوالي بين اللقم ولا يلطخ ثوبه ولا يده ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الاكل وان يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شأن النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل في ابتداء نشوه خرج في الاكثر رديء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا

فاعشول ويضحك ويكاد ويجانة وانما يحفظ من جميع ذلك بحسن التأديب ثم ينبغي ان يشتغل في المكتب بتعلم القرآن واحاديث
الاخبار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ
من مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما
ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان
خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور ان
يتجاسر احد على مثله لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة
فعند ذلك فان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان يطلع عليك في مثل هذا احد فتفتضح
بين الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام
من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح
وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطية حتى تتصلب اعضاؤه ولا يسمن
بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا
يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب
عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع ان يفتخر على اقرانه بشي
مما يملكه والده او بشي من مطاعمه وملابسه او لوحه ودواته ويعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف معهم
في الكلام ويمنع من ان ياخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في العطاء
لا في الاخذ وان الاخذ لؤم وخسة وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الاخذ والطمع مهانة ومذلة وان ذلك من دأب
الكلب فانه يبصبص في انتظار لقمة والجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما اكثر
من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب ولا يتمطى
بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك دليل على
الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي ان يمنع كثرة الكلام ويبين ان ذلك يدل على الوقاحة وان ذلك فعل اولاد اللئام
ويمنع اليمين راسا صادقا او كاذبا حتى لا يعتاده في الصغر ويمنع من ان يبتدئ بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال
وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو
الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شي من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء
واصل تأديب الصبيان الحفظ من القرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل
يصبر ويذكر له ان ذلك من دأب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد
الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى
التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاه وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه
ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم
ومهما بلغ سن التمييز ينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض الايام من شهر رمضان ويجنب
لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام والكذب والخيانة والفحش وكل
ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة

ادوية

ادوية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان بها على عبادة الله وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع
نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الآخرة دار مقر لا دار ممر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا
للآخرة حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فاذا كان النشوء صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا
ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشوء بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره
الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي
ينبغي ان تراعى فان الصبي خلق بجوهره قابلا للخير والشر وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه بيان شروط الارادة ومقدمات
المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة اعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة
مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كان عنده خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة
وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله فهو لعدم ايمانه بالله واليوم
الآخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق
بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد
لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع
من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة المذكرين والعلماء الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة
الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين
من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين
عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله عن السالكين فيه ومهما
كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان
تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعثت له ارادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها
في بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف
لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق فاما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فيرجع مجامعها الى رفع السد
والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من
بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية والسد بين المريد والحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرتفع حجاب
المال بان يفرقه ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب
عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال
تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد
رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك
انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان
غلب عليه التعصب لعقيدة ولم يبق في قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين
اصلا اقول هذا انما يصح على مذاهب العامة حيث يتعصبون للاشعري والمعتزلة ونحوهما من اهل الآراء وفي الفروع لابي
حنيفة والشافعي وشبههما من اصحاب الاهواء واما على مذهبنا الحق من وجوب التمسك بحبل اهل البيت عليهم السلام

الذين هم من مشايخنا وخصوصنا قال الاقتداء بهم شرط الاهتداء لاحكام الدين والتمسك بهم يزيد السالك في سلوكه يقينا الى يقين
قال واما المعصية التي هي حجاب فلا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى
ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة
كان كمن يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره وهو لا يعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها اولا ثم
الترقي منها الى اسرار معانيه فكذا لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا في امتثال الاوامر والانزجار عن النواهي ثم الترقي
الى اغوارها واسرارها فاذا قدم الشروط الاربعة كان حينئذ كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة
فيحتاج الى امام يقتدي به وكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاد يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين
غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة فمن سلك سبل البوادي المهلكة
من غير خفير ودليل فقد خاطر بنفسه وربما اهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف
على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى
على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض امره اليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقي في متابعته شيئا
ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطأ شيخه لو اخطأ اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب اقول انما جاز على الشيخ الخطأ
ربما يكون افساده اكثر من اصلاحه بل الحق انه لا يجوز الاعتقاد في الاعتقاد والعمل الا لمعصوم من الخطأ والا
غير معصوم من العصمة بعمل وكل الائمة عليهم السلام ثم من ادونا له والاخذ منه من شيعتهم الاخذين عنهم ومن
حكاهم قال الصادق عليه السلام اياكم ان تنصبوا رجلا دون الحجة فتصدقوه في كل ما قال وقد علم نصيبهم في الاداب الدينية
وكيفية السلوك في كل امر بما يغني عن كثير مما سرده ابو حامد وسنذكره قال فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه
ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا احتراز
من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه
نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته وفي رقته مفتاح المكاشفة كما ان قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب
ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم
لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس
ففائدة الجوع في تنوير القلب امر ظاهر يشهد له التجربة وسياتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين واما السهر
فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره وينضاف ذلك الى الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة
فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فيتم بذلك رغبته عن الدنيا واقباله على
الآخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون
حينئذ سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم
الخواص اجمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت فانه يسهله العزلة ولكن المعتزل
لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب وتدبير امره فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب
وشره القلب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستريح اليه فالصمت يلقح العقل
ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في
حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين

الحاصل

الحاصل منها ليتفجر اصل الحوض فيتفجر منه الماء اللطيف الطاهر وكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة
اليه فيتجدد في كل حالة اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة في مكان
مظلم فليلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية
اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له يا ايها المدثر يا ايها المزمل فهذه
الاربع جنة وحصن تدفع بها القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق
وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك
العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي تلك الصفات اسرار العلائق
التي قطعها في اول الارادة وآثارها اعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي
فلا بد وان يخلي الباطن عن آثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف
الاحوال فرب شخص قد كفي اكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوات
ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره واذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة
تشغله فبعد ذلك يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون
ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا
الى علائقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر بقلبك من الجمعة الى الجمعة التي تاتيني شيء غير الله فحرام عليك ان تاتيني وهذا
التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد
فاذا كان كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق الدين القوت
الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا لا اله الا الله او الله الله او
سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كانها جارية على اللسان
من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب
حروف اللفظ وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ القلب عن كل ما سواه لان القلب اذا اشتغل
بشيء خلا عن غيره اي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا عن غيره لا محالة وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب
والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه
عن الذكر في تلك اللحظة وكان ايضا نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة
جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك
خواطر يفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر او بدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا
لاماطته عن القلب لم يضره ذلك والخواطر منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه
ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من
الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجده في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات
الى علاقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احد ثم ان شيخه ينبغي ان ينظر في
حاله ويتامل في ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر

ودائمه بملازمته حتى ينقدح في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يتوقف عليه مشاهدة مثل الاحمق
الصحيح بما يحمله قلبه من حظ وفكر دليل قريب من فهمه وينبغي ان يتانى الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع
اخطارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه واشتغل بالبطالة
وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن مثل هذه
الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر
في العدول عن ذلك كثير ولذلك يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من الاعتقاد الظاهر لم
يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم
فان العاجز عن المشاهدة في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيمة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان
كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال
وما يبدو من اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل
ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الانقطاع
عن الخلق والخلوة قال بعض السياحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق فقال ان تكون في
الدنيا كانك عابر طريق وقال مرة اخرى قلت له دلني على عمل اجد فيه قلبي مع الله في كل وقت فقال لي لا
تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي منهم قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي منه قال فلا تعاملهم
فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم ولا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله
قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله على الدوام هذا ما لا
يكون ابدا **اقول** فقد طال ابو حامد في كلام الصوفي وفيه الفضلات وادعى جواز ما هو من قبيل المحال على انه ابتداع بدعة
شرعية واحداث بدعة شنيعة مع اشتماله باعترافه على المهالك والمفاسد التي لا تنجبر من المخالف واحد ولهذا كان صلى
الى الخلق افضل مما ارسل به نبينا صلى الله عليه وآله بل جاء به دونه لان شريعته خير الشرائع كما انه خير الانبياء وقد صدق الله تعالى
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فلا محالة فيما جاء به كفاية للاهتداء والتقرب
فما جاء به شيء يجب ان تكلفوه بل انما ورد النصوص على خلاف ما وضعوه اما رفضهم المال والجاه بالمرة فقد ورد الحث
التام الاكيد على طلب الحلال واحرازه فقد ورث الشيعة من المال وان من ترك كلا على الناس فهو ملعون ومن اذل نفسه فهو
ملعون مطعون واما المذموم حب المال والجاه لا احرازهما بقدر الضرورة من دون حب واما رياضات النفس فقد ورد
ان افضل القربات الحب في الله والبغض في الله وان الدين هو الحب والبغض وما في معناه واما الوحدة فريب ونحلة وقد
ورد ان الشيطان ابعد ما يكون من الانسان واشد ما يهمه به اذا كان وحده واما الاقتصار في الاوراد على كلمة واحدة
فقد ورد في فضل تلاوة القرآن والادعية ما ورد الاجماعات وفي الحديث المتفق عليه بين الخاصة والعامة لا رهبانية في
الاسلام وان من رهبانية امتي الصيام وفي حديث اخر ان رهبانية امتي الجلوس في المساجد الى غير ذلك مما يأبى عن طريقة
هؤلاء فهؤلاء المبتدعون جمعوا بين الجهل وسوء الادب مع الله ورسوله اما الجهل فلكونهم ما عرفوا وجوه الحكمة فيما
كلف الله به عباده من الاوامر والنواهي على حسب ما يليق بهم وبما هو وفق لاستعدادهم ومراتبهم واما سوء الادب فلانهم
ذا سؤلهم عما وضعوه من قبل انفسهم مما زعموه طريقا الى معرفة الله وهم الذين نقلوا عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من احدث

في ديننا فهو رد وفي حديث اخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال
ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وفي اخر ان لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله لم تنله شفاعته ومن الذين
مثال الجامع للدين باتباع ما يخالف السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلبه وليس بالنسبة
الى من خالف امره في خدمة معينة وذلك قد يغفر فاما قلب الدولة فلا ثم ما يقولونه لا يتم الا برفع الخواطر وهذا
لم يحصل لنوع البشر ولا سيما العوام منهم قيل لمولانا الصادق عليه السلام ان في اهل بيتك قلة يقولون نستطيع ان نخلو
كذا وكذا ونستطيع ان لا نعمل فقال عليه السلام قل له هل تستطيع ان لا تتذكر ما تكره وان لا تغتم بما يحزنك قال لا فقد
قوله وان قال نعم فلا تكلمه ابدا فقد ادعى الربوبية ولا يتم ايضا الا بمتابعة شيخ لا يحتمل الفرق مما يأتي به ويدعي كالشيخ
والشيخ جائز الخطأ باعترافهم فانهم لا يشترطون العصمة فيه وعلى هذا يجوز ان يكلف المريد بما فيه هلاكه في دينه
كما اعترفوا به ايضا ونحن قد رأينا ذلك فمنهم من خالط رياضته ومنهم من فسد دينه ولهذا قال مولانا الصادق عليه السلام
اياك ان تنصب رجلا دون الحجة فتصدقه في كل ما قال وهذا احد معاني قوله سبحانه والذين اجتنبوا الطاغوت
ان يعبدوها فان متابعة مثل هذا الشيخ المبتدع الذي لا يقول عن الله وجاز عليه الخطأ عبادة الطاغوت على انا
لو اكرمنا بحجتهم الذين سلكوا هذه الطريقة الشنعاء وحملوا الناس عليها كانوا في حيرة وعمى عن معرفة الامام
مع ان بناء معرفة الدين علما وعملا على معرفة الامام المنصوب من الله سبحانه بالوحي وقد قال النبي صلى الله عليه وآله
في الحديث المتفق عليه بين الخاصة والعامة من مات ولم يعرف امام زمانه فقد مات ميتة جاهلية وقد سئل من
اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وعن الباقر عليه السلام كل من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه
ولا امام له من الله فسعيه غير مقبول وهو ضال متحير والله شانئ لاعماله ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها وقطيعها
فهجمت ذاهبة وجائية يومها فلما جنها الليل بصرت بقطيع مع غير راعيها فحنت اليها واغترت بها فباتت معها في ربضتها فلما
ان ساق الراعي قطيعه انكرت راعيها وقطيعها فهجمت متحيرة تطلب راعيها وقطيعها فبصرت بغنم مع راعيها فحنت اليها
واغترت بها فصاح بها الراعي الحقي براعيك وقطيعك فانك تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك فهجمت ذعرة متحيرة نادة
لا راعي لها يرشدها الى مرعاها او يردها فبينا هي كذلك اذا اغتنم الذئب ضيعتها فاكلها وكذلك والله من اصبح من
الامة لا امام له من الله ظاهر عادل اصبح ضالا تائها فضلوا واضلوا فاعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد وعن الصادق عليه السلام والله لو ان ابليس سجد لله بعد المعصية
والتكبر عمر الدنيا ما نفعه ذلك ولا قبله الله ما لم يسجد لادم كما امره الله ان يسجد له وكذلك هذه الامة العاصية
بعد نبيها صلى الله عليه وآله وبعد تركهم الامام الذي نصبه نبيهم صلى الله عليه وآله فلن يقبل الله لهم عملا ولم يرفع
لهم حسنة حتى يأتوا الله من حيث امرهم ويتولوا الامام الذي امروا بولايته ويدخلوا الباب الذي فتحه الله ورسوله
لهم فان قلت فما الطريق الى معرفة اسرار الدين وتحصيل اليقين قلت اعلم ان الله سبحانه جعل الناس ازواجا وجعل لكل منا شرعة
ومنهاجا ولكن لما تيسر للناس ان يسلكوا مسالك الحكماء الالهيين او ينهجوا منهج الربانيين من العلماء فان جناب الحق جل ان
يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد فالمؤمن المؤيد من الكبريت الاحمر فلا بد لمن اراد الشروع في
تحصيل العلم المكنون عند اهله المصون عن غير اهله ان يكون شابا صحيح المزاج ذكيا امينا حفيظا صدوقا مهذب الاخلاق
منزها عن الرياء والنفاق مبغضا لفضول الدنيا معرضا عن المكر والغدر والخيانة ونحوها معظما للعلم والعلماء مقبلا
على الوظائف الشرعية فرائضها ونوافلها بعد ان تعلم احكامها ودقائق حلالها وحرامها وكان قد اخذها عن اهلها

في رعيتها

مما كسبوا

قال الصادق عليه السلام ان من علامة الكذاب ان يخبرك بخبر السماء والارض فاذا سألته عن شيء من مسائل الحلال والحرام لم يكن عنده شيء فمن تجرد
لذلك واشتغل بتحصيل هذا العلم من طريقه وعمل بحقه بتقديم الاتيان بالفرائض ثم النوافل ثم مراعاة الآداب والسنن
ثم الصبر على البلايا والمحن وملازمة الذكر وملازمة الفكر حسب الميسور والتقلل عن الشهوات النفسانية والخواطر الشيطانية
بالمقدور وتحمل الهموم هما واحدا مع اخلاص النية وصفاء الطوية والعمل بما يعلم شيئا فشيئا ومراقبة النفس
آنا فآنا حتى يصير العلم عيانا له بعد يقين ويترقى من علم اليقين الى عين اليقين ومن عين اليقين الى حق اليقين في كلمة
الزهد في الدنيا ومتابعة الشرع من طريق ائمة الهدى وملازمة التقوى قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال امير المؤمنين
عليه السلام ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى
في قلبه الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى
وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك
من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس قال ابو حامد فاذن منتهى الرياضة ان يجد المريد
قلبه مع الله ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله انكشف له جلال الحضرة الربوبية
وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط به الوصف واذا انكشف للمريد شيء من ذلك
فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فيجد النفس فيه لذة لا لذة وراءها فتدعوه تلك اللذة
الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن
والاخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع فالشيطان ربما يخيل اليه ان هذا منك احياء القلوب الموتى
الغافلين عن الله وانما انت واسطة بين الله وبين الخلق تدعو عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح
كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون احسن كلاما منه واجزل لفظا واقدر على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه
عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله الى صراطه المستقيم فيعظم
به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن وازرني على اصلاح عباده كالذي وجب عليه ان يحمل ميتا ليقبره اذ وجده
ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاءه من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون
والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح بهم وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد على حذر
منه فانه اعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتحت له اوائل الطريق فان ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان
ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين سبحانه ان الشر قديم في الطباع غالب على الانسان وان ذلك مذكور
في الكتب السالفة فقال سبحانه ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وترتيبه
في التدريج الى لقاء الله سبحانه اما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي بيانه فان اغلب الصفات على الانسان بطنه
وفرجه ولسانه اعني به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن
والفرج وانس بها احب الدنيا ولا يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه العجب والكبر والرياسة
واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد
تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب كتاب كسر شهوة البطن والفرج وكتاب آفات اللسان وكتاب

الغضب

كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب ذم حب المال وذم البخل وكتاب ذم الرياء وحب
الجاه وكتاب ذم الكبر والعجب وكتاب بيان مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من هذا
الربع ربع المهلكات ان شاء الله فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات
وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانما يأتي
في هذه الكتب ان شاء الله والحمد لله رب العالمين. هذا آخر كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب
من المحجة البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله كتاب كسر الشهوتين
شهوة البطن والفرج والحمد لله
اولا وآخرا

بلغ

## كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه
المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده
بل يفي بامانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو
الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه وهو الذي يحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام
والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به شهوة
النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج
بواعثه ودواعيه وكل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه
ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته
وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه اما بعد فاعظم المهلكات لابن ادم شهوة البطن فبها
اخرج ادم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى اكلا منها فبدت لهما
سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات
ثم يتبع شهوة الطعم والنكاح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع
استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من بينهما آفة الريا وغائلة التفاخر
والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر
والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منه من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري
الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة
على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها
تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها
ونحن نوضح ذلك بعون الله ونبينه في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل
من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم بيان القول
في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد من ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة العين والفرج **بيان**
فضيلة الجوع وذم الشبع قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك

المجاهد

المجاهد في سبيل الله وانه ليس عمل احب الى الله تعالى من جوع وعطش وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لا يدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر عورته
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه
وآله وسلم البسوا الصوف واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال صلى الله عليه وآله وسلم
الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضلكم منزلة عند الله
اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم اكول شروب وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كان يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول
انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما لاجلي اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة تركها لاجلي الا ابدلته
بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت
اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه
فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد ان اقرب الناس الى الله
تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا
لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله وافترش الناس
الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها هم تبكي الارض اذا فقدتهم
ويسخط الله تعالى على كل بلد ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق و
لبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا وذهبت عقولهم وما خولطوا
ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر الله الذي اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم
الشرف في الدنيا ولهم الشرف في الآخرة يا اسامة اذا رأيتهم في بلد فاعلم انهم امان لذلك البلد لا يعذب الله تعالى قوما
هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك
جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي
عليك الجبار وفي الحديث عن عيسى عليه السلام اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم فلعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروي ذلك عن نبينا
صلى الله عليه وآله وسلم وفي التورية مكتوب ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل
وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود ان الله يبغض القارئ السمين وفي حديث مرسل ان الشيطان
ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال
المؤمن ياكل في معاء واحد والمنافق ياكل في سبعة امعاء اي ياكل سبعة اضعاف ما ياكله المؤمن او تكون شهوته
سبعة امثال شهوته ويكون المعاء كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذ المعاء وليس
المعنى زيادة عدد معاء المنافق على معاء المؤمن وعنه صلى الله عليه وآله وسلم اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم فقيل
وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظماء وروي ان ابا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال له اقصر من جشائك فان اطول الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عائشة تقول ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لم يمتلئ شبعا قط وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي
لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل

من الرسل فلا تصبروا على ما هو اشد من هذا فقضوا على حالهم فتقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت
في معيشتي ان يقصر بي دونهم فان اصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني
واخلائي قالت فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى وعن انس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال اما انه
اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام وقال صلى الله عليه وآله وسلم اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة
ان ابغض الناس الى الله تعالى المتخمون الملأى وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة اقول روي
في الكافي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال كثرة الاكل مكروه وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ليس للمؤمن على الدين قلبه بطن رغيب ينظر شديد وعنه عليه السلام قال ان البطن ليطغى من اكله واقرب ما يكون العبد
الى الله تعالى اذا خف بطنه وابغض ما يكون العبد الى الله تعالى اذا امتلأ بطنه وعن ابي جعفر عليه السلام قال ابو ذر ان اطولكم
جشاء في الدنيا اطولكم جوعا في الآخرة او قال يوم القيمة وعن الصادق عليه السلام قال الاكل على الشبع يورث البرص وعنه عليه السلام قال
كل داء من التخمة ما خلا الحمى فانها ترد ورودا وعنه عليه السلام قال ليس لابن آدم بد من اكلة يقيم بها صلبه فاذا اكل احدكم
طعاما فليجعل ثلث بطنه للطعام وثلث بطنه للشراب وثلثه للنفس ولا تسمنوا سمن الخنازير للذبح وعنه عليه السلام
قال اذا شبع البطن طغى وعنه عليه السلام ما من شيء ابغض الى الله من بطن مملوء وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام قال
قلة الاكل محمودة على كل حال وعند كل قوم لان فيه المصلحة للباطن والظاهر والمحمود من المأكول اربعة ضرورة وعدة
وفتوح وقوت فالضرورة للاصفياء والعدة لقوام الاتقياء والفتوح للمتوكلين والقوت للمؤمنين وليس شيء اضر لقلب
المؤمن من كثرة الاكل وهي مورثة شيئين قسوة القلب وهيجان الشهوة والجوع ادام للمؤمن وغذاء للروح وطعام للقلب
وصحة للبدن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه وقال داود عليه السلام ترك
لقمة مع الضرورة اليها احب الي من قيام عشرين ليلة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن ياكل بمعاء واحد والمنافق
ياكل بسبعة امعاء وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويل للناس من القبقبين فقيل وما هما يا رسول الله قال الحلق
والفرج وقال عيسى بن مريم عليهما السلام ما امرض القلب باشد من القسوة وما اعتلت نفس باصعب من بغض الجوع وهما
زماما الطرد والخذلان قال ابو حامد وفي الآثار قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة
وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال الفضيل الهي اجعتني واجعت
عيالي وتتركني في ظلم الليالي بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ
جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة
اتق الله واذا شبعت فاذكر الجائع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع
عند الله في خزائنه لا يعطيه الا لمن احبه وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنة
درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافى يوم القيمة عمل بر اكبر من ترك فضل الطعام والاقتداء بالنبي صلى الله
عليه وآله وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس شيئا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الآخرة من
الاكل الكثير وقال وضعت العلم والحكمة في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ما عبد الله بشيء افضل من مخالفة
الهوى في ترك الحلال وقال في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة
حتى يكون الترك احب اليه من الاكل ويكون اذا جاع ليلة سال الله ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال ايضا

ما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال راس كل بر نزل من السماء الى الارض الجوع وراس كل فجور بينهما
الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبل الله تعالى على العباد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله
وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالصبر والجوع والجهد وقال ما اطلع الله على قلب
فرأى فيه الا الله حتى يرجع فسلم من المعصية وان ذكر الله فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم باي قيد اقيد نفسي قال قيدها بالجوع
والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابناء الآخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها
وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى ان الله عز وجل
ما صافى عبدا الا بالجوع ولا والاهم الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع وقال ابو طالب
المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار وانما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلئ فكذلك
الجوف اذا خلى كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال بكر بن عبد الله ثلاثة يحبهم الله رجل قليل الاكل قليل النوم
قليل الراحة وروي ان عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحا لم ياكل فخطر بباله الخبز فانقطع
عن المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فقعد يبكي على فقد المناجاة فاذا شيخ قد اظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي
الله ادع الله لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كنت تعلم ان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا
تغفر لي بل كان اذا حضر شيء اكله من غير فكر وخاطر وروي ان موسى عليه السلام لما قربه الله نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما
ثلاثين ثم عشرة على ما ورد به القرآن فانه امسك بعد ثلاثين يوما فاتم بعشرة ايام لاجل ذلك بيان فوائد الجوع وآفات الشبع
لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين هو وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي
ان يعظم الفضل في كل ما يتاذى به الانسان من ضرب نفسه وقطع لحمه وتناوله الاشياء الكريهة وما يجري مجراه فاعلم
ان هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به فظن ان منفعته لمرارة الدواء وكراهته فاخذ يتناول كل ما هو مكروه من المذاق
وهو غلط منه بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف
على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة
المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع به وان لم يعرف وجه المنفعة وعلتها ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت
ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوائد الاولى
صفاء القلب وايقاد القريحة وانفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي على
معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه
وصار بطيء الفهم والادراك وقال ابو سليمان عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وآله
وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب
والحكمة كالمطر وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله يوما الا رايت
في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار
بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحري ان تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة
ولهذا قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد الجوع
سحاب فاذا جاع العبد امطر القلب الحكمة وقال صلى الله عليه وآله وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقرب من الله

وجبا للمساكين والذي نفسي بيده لا تشبعوا فيطفئ نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام باتت الحور العين
حوله حتى يصبح الفايدة الثانية رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان
مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال
فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمان احلى ما تكون الي العبادة اذا التصق ظهري
ببطني وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين الله مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمان اذا جاع القلب وعطش
صفا ورق واذا شبع عمي وغلظ فاذن تأثر القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة فهذه فايدة ثانية الفايدة الثالثة
الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذل بشيء
كما تذل بالجوع فعند ذلك تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منيتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت
عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره وانما سعادته في ان يكون
دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا
للاضطرار بالذوق ولاجل ذلك لما عرضت على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الدنيا وخزائنها قال لا بل اجوع يوما واشبع
يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار
باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح له بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان
كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما تبعيد من الاخر الفايدة الرابعة ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان
ينسى الجايعين وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر بلاء الاخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في
عرصات القيامة ومن جوعه جوع اهل النار حين يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل فلا ينبغي
ان يغيب عن العبد عذاب الاخرة والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الاخرة
ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في مقاساة بلاء او مشاهدة بلاء واولى ما يقاسيه من البلاء
بلاء الجوع فان فيه فوايد جمة سوى تذكر عذاب الاخرة وهذا احد الاسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء
والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يديك خزاين الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجايع
الجايعين والمحتاجين احدى فوايد الجوع فان ذلك يدعوه الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله والشبعان في غفلة
عن الم الجايع الفايدة الخامسة وهي من كبار الفوايد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ
المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة
كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة كلها في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا
شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهدم فقال لانه
سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولان احمله على الشدائد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون
ما شبعت قط الا عصيت او هممت بمعصية وقالت عائشة اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فايدة واحدة بل هي خزاين الفوايد ولذلك
قيل الجوع خزانة من خزاين الله تعالى واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا يتحرك عليه شهوة فضول
الكلام فيتخلص به من افات اللسان كالغيبة والفحش والنميمة والكذب وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى
فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم واما شهوة الفرج فلا يخفى

غايلته

غائلتها والجوع يكفي شرها فاذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينيه فالعين تزني كما ان الفرج
يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته
وربما عرض ذلك له في اثناء الصلوة وانما ذكرنا افة الفرج واللسان مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة
الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فيصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط معه شيئا من الشهوات ويأكل في نصف
بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء الفايدة السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولاجل ذلك
كان يقول بعض المشايخ لاصحابه على راس السفرة معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع راي سبعين
صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب
والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم
فواتها ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى
الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته صلوة الليل ثم يحتاج الى مؤنة الحمام
وربما يقع عينه على عورة في الحمام فان فيه ايضا اخطارا قد ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمان
الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الافات والشبع مجلبة له والجوع
مقطعة له الفايدة السابعة تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل
وربما احتاج الى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر ترداده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات
المصروفة الى هذا لو صرفها الى الذكر والمناجاة وساير العبادات لكثر ربحه قال السري رأيت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه
فقلت ما دعاك الى هذا فقال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف
اشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي ان يستوفي منه خزانة باقية في الاخرة لا اخر لها
وذلك بان يصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر على كثير الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى
الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملة الفوايد الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة
وصرف اوقات شغل الاكل الى العبادة فيه ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة
الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الداراني الى ست افات من الشبع
فقال من شبع دخل عليه ست افات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق
كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان ساير المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل
الفايدة الثامنة يستفيد من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة
والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الفكر والذكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء
والطبيب وكل ذلك يحوج الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان منها بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع
ما يمنع منه كل ذلك حكي ان الرشيد جمع اربعة اطباء هنديا وروميا وعراقيا وسواديا فقال ليصف كل واحد منكم
الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء معه عندي هو الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض
وقال العراقي هو الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا
داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك قال الدواء الذي لا داء معه عندي ان لا تأكل الطعام حتى تشتهيه
وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من الاطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه

وثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله
عليه وآله وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب من هذا الحديث من
ذلك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة محتاجا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل وما الادب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع
وقال بعض الافاضل من الاطباء في ذم الاستكثار من الاكل ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان وان اضر ما ادخل معدته
المالح ولان يقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل
صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما **الفائدة التاسعة** خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل
كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج
الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل وربما يحتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو
غاية الذل والمؤمن خفيف المؤنة قال بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك اروح لقلبي وقال آخر اذا
اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الزيادة فهو خير غريم لي وكان ابراهيم بن ادهم
رحمه الله يسأل اصحابه عن سعر المأكولات فيقال انها غالية فيقول ارخصوها بالترك قال سهل الاكول مذموم في ثلاث احوال ان كان من اهل العبادة
فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس
حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الاحوال
كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ادمنوا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع
في كل يوم برغيف قنع في سائر الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله وتجارة الآخرة فيكون
من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وانما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة
**الفائدة العاشرة** ان يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيمة في ظل صدقته كما
جاء في الخبر فما يأكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى
او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله الى رجل سمين البطن
فاومأ باصبعه الى بطنه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال
والله لقد ادركنا رجالا كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله فيقول والله لا اجعل
كله في بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع تتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها
فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب
الرغبة وكل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الاخبار
ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين في الايمان **بيان** طريق الرياضة
في كسر شهوة البطن اعلم ان على المريد في بطنه ومأكوله اربع وظائف **الاولى** ان لا يأكل الا حلالا فان العبادة مع اكل الحرام
كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام ويبقى ثلث وظائف خاصة بالاكل
وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين جنس المأكول في تناول الشهوات
وتركها **اما الوظيفة الاولى** في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير وانتقل دفعة الى الاكل القليل
لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا من الطعام المعتاد فان كان يأكل رغيفين مثلا
واراد ان يرد نفسه الى واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او جزءا من ثلثين

فيرجع

فيرجع الى رغيف في شهر ولا يجحف به ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة
وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين
وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلث بالحيوة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهي
الحيوة والعقل اكل وافطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال ينبغي الا يبالي
ولو ضعف حتى يصلي قاعدا ورأى ان صلوته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلوته قائما مع قوة الاكل **اقول** هذا كله
مبني على اثر خلاف ما يظهر من آثار اهل البيت عليهم السلام فالصواب ان يحافظ السالك على قوته مهما امكنه كما يحافظ
على حيوته وعقله قال الله عز وجل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة ويأتي تمام الكلام فيه **قال** الدرجة الثانية
ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون
هذا مقدار ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة
في الجمع للقلة وهو لما دون العشرة الدرجة الثالثة ان يرد نفسه الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على
ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث
للذكر بدل قوله عليه السلام ثلث للنفس الدرجة الرابعة ان يزيد على مقدار المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا
مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي
يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان يأكل اذا صدق جوعه ويقبض يده عن الطعام
وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر مع نفسه رغيفا او رغيفين فانه لا يتبين له حد الجوع الصادق
ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها ان لا تطلب النفس الادام بل تأكل الخبز
وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلبت خبزا بعينه او طلبت ادما فليس ذلك بجوع وقيل ان يبصق فلا يقع الذباب عليه اي لا يبقى فيه
دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي
لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن
لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا
منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه انه قدر ثلث البطن وفي
التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته صلى الله عليه وآله وسلم يقول اقربكم
مني مجلسا يوم القيمة واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم نخل
لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح
في آخر ولم تكونوا كذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين
في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وقال الحسن البصري المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة
من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر اخاه
بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لان
اكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط **الوظيفة الثانية** في وقت الاكل ومقدار تأخيره وفيه ايضا اربع درجات العليا

ان يطوي ثلثة ايام فما فوقها وفي المريدين من ردّ الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلثين يوما
او اربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة وقال بعض العلماء من طوى
اربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد حكي ان بعض هذه الطائفة
مر براهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك كلاما كثيرا الى ان قال له الراهب ان
المسيح كان يطوي اربعين يوما وانه معجزة لا تكون الا لنبي او لصديق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه
وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وازيدك
ايضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة
عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه
وحاجته الدرجة الثانية ان يطوي يومين الى ثلثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة
الدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك فهو اسراف
ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة روى ابو سعيد الخدري انه كان صلى الله عليه
وآله وسلم اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون في كل يوم اكلة وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة
اياك والاسراف فان اكلتين في يوم من السرف وكان اكلتان في يوم سرفا واكلة واحدة في يومين اقتار واكلة واحدة في
كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب له ان ياكلها في السحر قبل
طلوع الصبح فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب
لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته وفي حديث ما اثر كان صلى الله
عليه وآله وسلم يواصل الى السحر أقول وذلك بشرط ان لا يجعل ذلك اليوم وصالا بل افطر بعد المغرب فان الوصال
مرخص بصوم سوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو حرام على امته كما رويناه من اهل البيت عليهم السلام قال وان كان
تلتفت قلب الصائم الى الطعام بعد المغرب ويشغله عن حضور القلب في التهجد ايضا فالاولى ان يقسم طعامه نصفين
فان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر ليسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه ولا
يشتد بالنهار جوعه لاجل تسحره فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر
يوما فلا باس لو ان ياكل يوم فطره قبل الظهر ويوم صومه في السحر فهذه هي الطرق في مواقيت الاكل وتقاربه
أقول روى في الكافي باسناده عن ... شهاب بن عبد ربه قال شكوت الى ابي عبد الله عليه السلام ما القى من الاوجاع
والتخم فقال لي تغد وتعش ولا تاكل بينهما شيئا فان فيه فساد البدن اما سمعت الله تعالى يقول ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا وعنه عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام غذاء الانبياء عليهم السلام بعد العتمة فلا تدعوا العشاء فان
ترك العشاء خراب البدن وعنه عليه السلام قال ترك العشاء مهرمة وينبغي للرجل اذا اسن ان لا يبيت الا وجوفه من الطعام ممتلئ وعن
الرضا عليه السلام انه في الحديث قال ان العشاء فاذا ترك الرجل العشاء لم يزل يكسر عليه ذلك الى ان يصبح
يقول ما اعلمه الله كما احتج ... اطعمنا الله كما اطعمنا ... فلا يدع احدكم العشاء ولو بلقمة من خبز او شربة من ماء ... عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما بال اصحابي لا ياكلون اللحم ولا يشمون الطيب ... اما اني آكل اللحم
واشم الطيب ... فمن رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه وآله من اتى عليه اربعون يوما ولم ياكل
اللحم فليستقرض على الله وليأكله ولقد بالغ ابو حامد في النقض في هذا الباب بما لا حاجة لم نتعرض له وكما قال

بل اكتفينا بما ذكرنا وحذفنا بعض حكايات عن الصوفية مما يمجه الطباع السليمة كنقله عن سهل بن عبد الله انه اكل ورق النبق
ثلث سنين ثم اقتات بثلثة دراهم في ثلث سنين الى غير ذلك قال الوظيفة الرابعة في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام
مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل
واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع عن الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان
كل لذيذ يشتهيه الانسان واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا له بلذات الدنيا حتى يالفها
ويكره الموت ولقاء الله تعالى ويصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجنا له واذا منع نفسه من شهواتها وضيق عليها
وحرمها لذاتها صارت الدنيا عليه سجنا وضيقا واشتهت نفسه الانفلات منها ويكون الموت اطلاقها واليه الاشارة بقول يحيى
بن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام بقدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه
من آفات الشبع فانها تجري في اكل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات
المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرار امتي الذين يأكلون مخ الحنطة وليس هذا
تحريما بل هو مباح على معنى انه من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن داوم عليه فلا يعصي ايضا بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم
فتانس بالدنيا وتنبعث في طلبها فيجرّه ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام تلك الامور وقال
صلى الله عليه وآله وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس
يتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكر انك ساكن القبر فيمنعك ذلك من كثير من الشهوات وقد
اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله ذلك منهم
غاية السعادة حتى روي ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما للآخر من اين قال امرت بسوق حوت
من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الآخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسير اسباب
الشهوات ليس من علامات الخير وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما سدّ كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح
على الدنيا واهلها الدمار اشار به الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا وقد امتنع السلف من
الشهوات وعن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها في بعض الاوقات ولانه كان لا يصفو لهم حلال فلم
يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء
الخبز شهوة وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان
يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي عليه السلام من ترك اللحم اربعين يوما
ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت
نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فيقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل لتنشط في
الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل او يجلس فيذكر الله فانه
اقرب الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم ومهما اشتهى شيئا من
طيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكل الفاكهة بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها ولئلا يجمع للنفس بين عادة
وشهوة ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف
ايضا للطافته وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تأكلوا الشهوات فان اكلتم فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب
بعض انواع الخبز شهوة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال النفس في الشهوات المباحة واتباعها بكل حال فبقدر ما يستوفي

العبد من شهوة بطنه فيخشى أن يقال له أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوة
يتمتع في الآخرة بشهوة قال كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات لأجلها
ولهذا قيل ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها. بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف
أحوال الناس اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأحوال والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوساطها وكلا طرفي قصد الأمور
ذميم وما أوردناه من فضائل الجوع ربما يومي إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما
يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل إلى أن المطلوب
مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان والعالم يدرك أن المقصود هو الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع
فالشرع ينبغي أن يطلب غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فإن من يقدر
على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية فإنه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا
ما يدل على إساءته كما أن الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حال
بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل
أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه أصلا فإن مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة
العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلا معتدلا لا يبقى
للأكل فيه أثر ليكون متشبها بالملائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الإنسان الاقتداء بهم وإذا
لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمي البعد
عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال نملة ألقيت في وسط حلقة محماة على النار مطروحة على
الأرض فإن النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي
هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوة
محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للإنسان في الخروج وهو يريد أن يتشبه
بالملائكة في الخلاص فأشبه أحواله بهم البعد وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الأحوال
المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وآله خير الأمور أوساطها وإليه أشار بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما
لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع تيسر له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال
الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جموحة متشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد
من المبالغة في إيلامها بالجوع كما يبالغ في إيلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل فإذا ارتاضت
واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها ولهذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو بنفسه فيأمره
بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع منها لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما
كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والامتناع عن العبادة كان الأصلح لها الجوع الذي يحس بألمه في أكثر الأحوال
ليكسرها والمقصود أن تكسر حتى تعتدل ثم بعد ذلك يرد في الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإنما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكي
طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحمق أما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط
الجوع إلى الحق وأما المغرور فلظنه بنفسه أنه الصديق المستغني عن تأديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم
وهو الأغلب فإن النفس قلما تتأدب تأدبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر إلى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك

فيسامح نفسه كالمريض ينظر إلى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على أن
تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ليس مقصودا في نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متباعدة عن الحق غير بالغة رتبة
الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن له تقدير وتوقيت في طعامه قالت عائشة كان صلى الله عليه وآله يصوم حتى
نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على أهله فيقول أعندكم من شيء فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا
قال إني إذا صائم وقد كان يقدم إليه شيء فيقول أما إني كنت أردت الصوم ثم يأكل وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله
يوما وقال إني صائم فقالت له عائشة قد أهدي لنا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قربيه وقد كان معروف الكرخي يهدى
إليه طيبات الطعام فيأكل فقيل له إن أخاك بشرا لا يأكل من هذا فقال أخي بشر قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة
ثم قال إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطعمني أكلت وإذا جوعني صبرت ما لي وللاعتراض والتمييز ودفع إبراهيم بن أدهم إلى بعض إخوانه
دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال يا أبا إسحاق بهذا كله فقال ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال
وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا نفرا يسيرا فقيل له أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال
ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في الثياب والأثاث فالبصير بأسرار المعرفة يعلم أن ذلك حق ولكن لا ينبغي الاغترار باختلاف
الأحوال. بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الأكل اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان
هما أعظم من أكل الشهوات إحداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه
يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكله في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلي
بالشهوة وحبها أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدات في الأعمال فإن إخفاء النقص وإظهار ضده من الكمال
هما نقصانان متضاعفان والكذب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين
ولذلك شدد أمر المنافقين فقال إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر
وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لأنه استخف بنظر الله إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والعارفون
يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والإخفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات
لله ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطا لمنزلته من قلوب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها
من الزاهدين ولكن يبتغي بتلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشوا عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد
بإظهار ضده وهذا عمل الصديقين فإنه جمع بين صدقين كما أن الأول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها
كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بتركه فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطى
ودية سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا الآفة لا أرى [illegible] في تلبيس الحال ولا أخرى في مثل هذه الفضائل
[illegible] وينظر إليه الناس جاهلا بما لبس فكل من فاته هذا فلا ينبغي أن يفوته إظهار شهوته ونقصانه والصدق
فيه ولا ينبغي أن يغره الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستر إصلاحا لغيرك فإنه لو قصد إصلاح
غيره لكان إصلاح نفسه أهم له من غيره فهو إنما يقصد الرياء المجرد ويروجه عليه الشيطان في معرض إصلاح غيره
ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل أو لا ينزجر باعتقاده أن تارك
للشهوات. الآفة الثانية أن يقدر على ترك الشهوات ولكن يفرح بأن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف
شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من
نفسه فكسر هذه الشهوة أهم من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى به قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة

وقد كنت تاركا لها فاترك منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت من نفسك الشهوة وتكون قد نقضت على
نفسك ان لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام انا ادعو الى شهوة منظر ثم الى نفسي فان ظهرت شهوتها
لها الحمتها منها وذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزيمة عليها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا
وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية اقول لا يشتبه هذا بكلام مولانا الصادق عليه السلام لعله كلام
الصوفية فلتنبه قال والحكمة من ترك شهوة الطعام ومنع في شهوة الربا كان تكون هريسة عقربه وفرع الجنة لان
الربا اشد كثيرا من شهوة الطعام الفوائد شهوة الفرج اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين احديهما
ان يدرك لذته فيقيس بها لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم الالام
فالترهيب والترغيب يسوقان الخلق الى سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم
الشوق الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر
ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن
شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وآله الا انه قال في تفسيره الذكر
اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وآله يقول اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري و
قلبي ومنيي وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال وروي ان موسى عليه
كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل عليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوان فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه
فقال السلام عليك فقال له موسى من انت قال انا ابليس قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جئتك لاسلم عليك لمنزلتك
من الله ومكانك منه قال فما الذي رأيت عليك قال به اختطف قلوب بني آدم قال فما الذنب الذي اذا اذنبه الانسان استحوذت
عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه واحذرك ثلثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة
لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها
فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتا
علم موسى ما يحذر به بني آدم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء
اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان يقول
للمرأة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة و
نصفه الغضب واعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة لها ايضا افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل
حتى تصرف همة الرجال الى التمتع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش
وقد ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم ليستكثروا من الوقاع كما قد يتناول
بعض الناس ادوية تقوي المعدة لتعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن بلي بسباع ضارية وبهائم عادية فتكون
تفتر في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل باصلاحها وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق
آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد ذكر في غرايب الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال شكوت الى جبرئيل ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالاستمتاع
وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتنعم اقول هذا الحديث من طريق الخاصة هكذا شكوت
الى جبرئيل كثرة الازواج فامرني بالهريسة وعلى هذا سقط السؤال قال والامر الثاني انه قد ينتهي هذه الشهوة ببعض الضلال

والبهائم

والبهائم الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة
الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها بان يستحيى منها حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد
والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق وتكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية
وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وما العشق الا افراط
افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم
عسر دفعه وكذلك عشق المال والجاه والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد
تستولي على طائفة بحيث ينغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق اول انبعاثه مثال من
يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب لتدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك
الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها ويجرها الى ورائها وما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر
فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما في اواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح فاذن افراط
الشهوة ان تغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا
مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع
وبالنكاح قال صلى الله عليه وآله وسلم معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء
بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله اعلم ان المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل
يمنعه من السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى
الله عليه وآله فانه لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى فلا تقاس الملائكة بالحدادين وكيف يقاس غيره برسول
الله وكان من استغراقه بحب الله تعالى كان يجد احتراق قلبه الى حد يخشى في بعض الاحوال ان يسري ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك
كان يضرب بيده على فخذ عايشة احيانا ويقول كلميني يا عايشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه
عنه وقد كان صلى الله عليه وآله طبعه الانس بالله وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق
اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل
هذه فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله فشرط المريد العزوبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة
هذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك
وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ
عينه لم يحفظ فكره وتتفرق همه وربما وقع في بلية لا يطيقها اقول الحاجة الى النكاح في الابتداء اكثر منها في الانتهاء
فينبغي لمن ارادها من المريد ان يتزوج تزوجا لا يشتغل بالاشتغال منها كالمتعة ونحوها وقد مضى تحقيق هذه المباحث مفصلا
في باب اداب النكاح قال وزنا العين من كبار الصغائر وهو يؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن
لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى
بها فتنة وقال داود لابنه عليهما السلام يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى بن زكريا عليهما
ما بدء الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هو قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطي به يعني النظر وقال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته
في قلبه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا

غضوا من

من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان
تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم ويتمنى ويصدق ذلك الفرج
او يكذبه وقالت ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال النبي صلى الله عليه وآله احتجبا فقلنا
اوليس اعمى لا يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت العادة في المآتم
والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه بغير حاجة وانما جوز للنساء
محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينيه ولم يقدر على حفظها من الصبيان فالنكاح احق
به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر بالشهوة الى وجه
الصبي حرام بل كل من يتاثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر فان قلت كل
ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة فاقول لست اعني بالتفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة
كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء ويابسة وماء صاف وماء كدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تناثرت
اوراقها فانه يميل الى احداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار
وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل اليها العين وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح
ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك التفرقة
بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن وبين الاثواب المنقشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا
مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون وقال بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع
ضار يكون عليه من غلام امرد يجلس اليه وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلثة اصناف لوطيون صنف ينظرون
وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذا آفة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب
له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع وقال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدء ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج
الى الله تعالى فرايت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها
في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي وبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في
المنام فقال لي اتحب ان يذهب ما تجده واضرب عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور وضرب بها عنقي
فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك واشتد منه فرايت شخصا في المنام فيما بين جنبي وصدري
يقول ويحك كم تسال الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه تزوج قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح
فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة
والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في آداب النكاح فلا نطول باعادته وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة
متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف
وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم
ينبغي ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب
والخلق والورع وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق تزوج بعض المريدين فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراة و
شكت الى ابيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء سبقني اليه
وتزوج بعض المتصوفة امراة سيئة الخلق وكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر عليها

فيتاذى

فيتاذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو اولى اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق
وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك غلة ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى اهل
البصرة وعلمائهم في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله تعالى
قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وليس يمضي الليالي والايام حتى اتمها مائة الف وانا اصير
لك مثلها ومثلها فاجيبيني الى ما سالت فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها
تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك
فيقتسموا ميراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت واما انا فلو ان الله عز وجل خولني امثال الذي خولك واضعافه
ما سرني ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذا اشارة الى ان كل ما يشغل عن الله فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه
فان وجده في العزوبة خاليا عن الشهوات متحملا يتوفر الرغبة فهو الاقرب وان عجز فالنكاح اولى به ودواء هذه العلة ثلث
الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم ينفع هذه الثلثة فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط
ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من احد الا اتاه من قبل
النساء قال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شيء اخوف عندي من النساء
وعن عبد الله بن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جئته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت
بها قال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله من يزوجني وما املك
الا درهمين او ثلثة قال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزوجني ابنته
بحضرتهم على درهمين او ثلثة قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت افكر ممن آخذ
وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي واسترحت وكنت وحدي صائما فقدمت عشاي لافطر وكان خبزا
وزيتا فاذا بالباب يقرع فقلت من هذا فقال سعيد ففكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير
اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فخرجت اليه فاذا انا به فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فآتيك
قال لانت احق ان تؤتى فقلت فما تامرني قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك
فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحياء فقال بارك الله
لكما برحمته فانصرف فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج
لكيلا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤوني فقالوا ما شانك فقلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم
وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا سعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ امي الخبر فجاءت
وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلثة ايام قال فاقمت ثلثة ايام ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل النساء
واحفظ الناس لكتاب الله واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني
سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد السلام علي ولم يكلمني حتى تفرق اهل
المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت خيرا يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو فقال ان رابك شيء فالعصا
فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها عبد الملك
بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم
بارد وصب عليه جرة ماء بارد والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين

الى طلقة تامرها بالنكاح بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان و
اعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز
او لخوف او لحياء او لمحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان
لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب
الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة عليه وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة
الصديقين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال رسول الله صلى الله عليه
وآله سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله
رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه عن المجامع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى بذلك عليه في كتابه وهو امام
لكل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة روى عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انطلق
ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه
الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم قال رجل منهم اللهم انك تعلم انه كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا
ولا ولدا ولا مالا فناى بي في طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق
قبلهما اهلا او ولدا او مالا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون يستطيعون شيئا لا
الخروج فقال الاخر اللهم انك تعلم انه كانت لي ابنة عم وكانت من احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى الجأتها
سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت اتق الله
يا عبد الله لا يحل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من احب الناس الي وتركت الذهب الذي
اعطيتها اللهم ان كنت تعلم اني فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج
منها وقال الثالث اللهم انك تعلم اني استاجرت اجراء واعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجره
حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله هات اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم
والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم ان كنت
فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه
الشهوة فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدأ الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان
به ولا يعظم الخوف والآفات كلها تنشأ منه والنظرة الاولى اذا لم يقصدها لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال
صلى الله عليه وآله لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يزرع
في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في تردداته عن وقوع النظر على النساء والصبيان ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة
وعنده ينبغي ان يقرر في نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا
له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ وتألم لانه قصد الالتذاذ فقد فعل ما آلمه فلا يخلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وتحسر
ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات وان اخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية
القوة ونهاية التوفيق روي عن ابي بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها في حاجة لهم الى قرية
اخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله قال فانت تخافينه وانا لا اخافه
فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فسأله فقال ما لك قال

فالصبية يتضاغون

العطش

العطش

قال تعال ندعو الله حتى يظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل فادعو قال فانا ادعو وامن انت فدعا الرسول وامن
هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له صاحبه زعمت ان ليس
لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره القصة فقال الرسول ان
التائب عند الله بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم
المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك
فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى
ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها قال فاطرق مليا
وقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك
ولكن معاذ الله ان يتشوف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي معرفتي ان القليل
من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثال القوارير ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها
مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب الى منزله فاراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا
وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمراة واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله
الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد في المعصية ستره فاذا لبس لها
ملابسها غضب الله عز وجل لنفسه غضبة تضيق منه السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق
غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوما تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة
الجبار العظيم فاني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب
هدى يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسألة [illegible]
فاني مشغول عنك بقوله وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا
شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت
له على طريقه فلما رآها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا
الا بين يدي الله عز وجل وبكت بكاء شديدا وقالت اسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من
امرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة احملها واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ
نفسك من نفسك واذكرك قوله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت
بكاء شديدا اشد من بكائها الاول ثم افاقت ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا
فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها فقيل له مم بكاؤك وانت قد ايأستها من نفسك فيقول اني قد ذبحت طمعها
في اول امرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله عز وجل فانا استحيي ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده عز وجل

هذا آخر كتاب كسر الشهوتين من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

ويتلوه ان شاء الله كتاب آفات اللسان والحمد لله اولا

وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى

على محمد وآله

كذا في نسخة

[illegible]

## كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض
على قلبه خزائن العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله و
يكشف عنه ستره الذي ارسله واطلق بالحق مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب
فاخر فضله ودين سهله صلى الله عليه وآله واصحابه ومن قبله ما كبر عبد وهلله اما بعد فان اللسان من نعم الله
العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان
وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا و
اللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم
متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل
الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى
وحد له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في
كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم ولا ينجو
من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله
وآجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء
على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر
من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع
آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من
الاخبار والاثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفات الكلام فيما لا يعني ثم آفة فضول الكلام ثم آفة
الخوض في الباطل ثم آفة المراء والمجادلة ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة
والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن
اما لحيوان او جماد او انسان ثم آفة الغناء والشعر ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد
الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين وغوائله ثم بيان ما يرخص فيه من الكذب ثم بيان الحذر من الكذب بالمعاريض ثم

بيان

بيان آفة الغيبة ثم بيان معنى الغيبة وحدها ثم بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان ثم بيان الاسباب الباعثة على الغيبة
ثم بيان العلاج الذي يمنع اللسان من الغيبة ثم بيان تحريم الغيبة بالقلب ثم بيان الاعذار المرخصة في الغيبة ثم بيان
كفارة الغيبة ثم آفة النميمة وما يجب في ردها ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد
بما يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط باصول الدين
ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة وما يتعلق بذلك وهي تمام الآفات وجملتها
عشرون آفة **بيان** عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك
مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وآله من صمت نجا وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي حكمة وحزم وعن
عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل آمنت
بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاومأ بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما النجاة قال
املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وآله
من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال صلى الله عليه وآله من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد
وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر
آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن اكثر ما يدخل
الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان
يكون المراد بالفم آفات اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله صلى الله عليه
وآله انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال عبد الله الثقفي
قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف
علي فاخذ بلسانه ثم قال هذا وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا
يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وآله من سره ان يسلم فليلزم
الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال اذا اصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء كلها تستكفي
اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وعن ابن مسعود انه كان على الصفا
يلبي وهو يقول يا لسان قل خيرا تغنم واصمت تسلم من قبل ان تندم فقيل له يا ابا عبد الرحمن اهذا شيء تقوله او شيء سمعته قال لا بل
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان اكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله
من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل عذره وروي ان معاذ بن جبل
قال يا رسول الله صلى الله عليه وآله اوصني قال اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت انبأتك بما هو املك
لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الا اخبركم بايسر العبادة
واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليقل خيرا او ليصمت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وآله قال رحم الله عبدا تكلم خيرا فغنم او سكت فسلم
وقيل لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير
وقال سليمان بن داود عليهما السلام ان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب وعن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول
الله صلى الله عليه وآله فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم

تكلم لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وآله ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرء وليعلم ما يقول وقال صلى الله عليه وآله اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله الناس ثلثة غانم وسالم وشاحب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل وقال النبي صلى الله عليه وآله ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار عن الناس ومن وصايا نبينا صلى الله عليه وآله من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به **[illegible]** وفي مصباح الشريعة عن مولانا الصادق عليه السلام ان الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق وجف القلم به وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والآخرة وفيه رضاء الرب وتخفيف الحساب والصون من الخطايا والزلل قد جعله الله سترا على الجاهل وزينا للعالم ومعه عزل الهوى ورياضة النفس وحلاوة العبادة وزوال قسوة القلب والعفاف والمروة والظرف فاغلق باب لسانك عما لك منه بد لاسيما اذا لم تجد اهلا للكلام والمساعد في المذاكرة لله وفي الله وكان الربيع بن خثيم يضع قرطاسا بين يديه فيكتب كل ما يتكلم به ثم يحاسب نفسه في عشيته ما له وما عليه ويقول آه نجا الصامتون وبقينا وكان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يضع حصاة في فمه فاذا اراد ان يتكلم بما علم انه لله وفي الله ولوجه الله اخرجها فان كثيرا من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتنفسون تنفس الغرقى ويتكلمون شبه المرضى وانما سبب هلاك الخلق ونجاتهم الكلام والصمت فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوابه وعلم الصمت وفوائده فان ذلك من اخلاق الانبياء وشعار الاصفياء ومن علم قدر الكلام احسن صحبة الصمت ومن اشرف على ما في لطائف الصمت وائتمن على خزائنه كان كلامه وصمته كله عبادة ولا يطلع على عبادته هذه الا الملك الجبار وفي الكتاب المذكور عنه عليه السلام انه قال الكلام اظهار ما في قلب المرء من الصفاء والكدر والعلم والجهل قال امير المؤمنين عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم به وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة وافضل منزلة واعظم قدرا عند الله من الكلام في رضاء الله ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده الا ترى ان الله لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام وكذلك بين الرسل والامم فثبت بهذا انه افضل الوسائل والطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد واسرع عقوبة عند الله واشدها ملامة واعجلها سآمة عند الخلق منه واللسان ترجمان الضمير وصاحب خبر القلب وبه ينكشف ما في سر الباطن وعليه يحاسب الخلق يوم القيمة والكلام خمر يسكر العقول ما كان منه لغير الله وليس شيء احق بطول السجن من اللسان قال بعض الحكماء احفظ لسانك عن خبيث الكلام وفي غيره لا تسكت ان استطعت فاما السكتة فهي هيئة حسنة رفيعة من الله عز وجل لاهلها وهم امناء اسراره في ارضه **فصل** واما الآثار فقول طاوس لساني سبع ان اطلقته اكلني وقال وهب بن منبه في حكم آل داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد فان من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم وقال يونس بن عبيد ما من احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معوية والاحنف ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر

بن عياش اجتمع اربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الآخر اني اذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت اليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان المنصور بن المعتمر لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة اربعين عاما وقيل ما تكلم ربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا وقلما فكلما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء **فصل** اذا عرفت هذا الفضل الكثير للصمت فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والنميمة والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورة فهذه آفات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل على اللسان ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما يقدر على ان يلزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم كما ستأتي تفصيله وفي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضل هذا مع ما فيه من جمع الهمة ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة اما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر المنفعة واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلثة ارباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى مدركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدي باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون آفة **الآفة الاولى** الكلام فيما لا يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والكذب والمراء والنفاق وغيرها وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله وسبحته وذكرته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم ياثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا اعتبارا ونطقه الا ذكرا كذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وآله فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه فقال ابشر يا كعب فقالت

هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتألية على الله قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه
او منع ما لا يغنيه ومعناه انما تتهنأ الجنة لمن لا يحاسب ومن يتكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهنأ
له الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اول من يدخل
من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عملك في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر وترك
ما لا يعنيني وقال ابو ذر رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان
قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احسن من الدهم
الموقفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في
امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك وان السفيه يؤذيك
واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى
بالاحسان ماخوذ بالاجرام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي
امر انا في طلبه منذ عشر سنين لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر لا تتعرض
لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا امين الا من يخشى الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه
على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى وحد ما لا يعنيك ان تتكلم بما لو سكت عنه لم تاثم ولم تتضرر في حال ولا
مال مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة
والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تاثم ولم تتضرر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم
يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة
لشيء مما خلقه الله فانت مع ذلك كله مضيع زمانك وانى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها ان تسال غيرك عما لا يعنيك
وانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجات صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة
واكثر الاسولة فيها آفات فانك تسال غيرك مثلا عن عبادته فتقول له هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء
وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان عبادة السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان
سكت كان مستحقرا اياك وتاذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء
او للكذب او للاستحقار او للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن كل ما يخفيه ويستحيي
منه وسؤالك عما يحدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم انتم وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من اين وربما يمنعه مانع من ذكره
فان ذكره تاذى به واستحيى وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسال عن مسألة لا حاجة بك اليها والمسؤول ربما
لم تسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر
وانما مثال ما لا يعني ما روي ان لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع ولم يكن راها قبل ذلك فجعل يتعجب مما يرى فاراد
ان يساله عن ذلك فمنعته الحكمة فامسك نفسه ولم يساله فلما فرغ قام داود ولبسها ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت
حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل انه كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك ولم يسأله
فهذا وامثاله من الاسولة اذا لم يكن فيها ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب هو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام
فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليها والمباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية الاوقات

بحكايات

بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤول عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان
لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم واما علاجه من حيث العمل
فالعزلة او ان يضع في فيه حجرا وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان
في هذا على غير المعتزل شديد جدا الآفة الثانية فضول الكلام وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة
فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى
مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل عن الحاجة وهو ايضا مذموم كما سبق وان لم يكن فيه اثم
ولا ضرر وقال عطاء بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب
الله او سنة رسول الله صلى الله عليه وآله او امرا بمعروف او نهيا عن منكر او تنطقا بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك
منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
اما يستحيي احدكم انه لو نشرت عليه صحيفته التي املاها صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن
بعض الصحابة رضي الله عنه قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد على الظمآن فاترك جوابه خيفة ان
يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما اشبهه
ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله تبارك وتعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من
امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقد قال صلى الله عليه وآله طوبى لمن امسك الفضل من لسانه و
انفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف
بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وانت
سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا بقولكم
ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة
المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول الكلام حسب امرئ ما بلغ به حاجته وعن مجاهد قال ان الكلام ليكتب حتى ان
الرجل ليسكت ابنه فيقول له ابتاع لك كذا وكذا فيكتب عليه كذابا اقول قد جاء من طريق الخاصة الرخصة في مثل هذه الكذبة
قال وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فاعمل ما شئت واكثر او اقل وروي ان سليمان
صلوات الله عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه انه مر في السوق فرفع راسه الى السماء
ثم نظر الى الناس وهز راسه فسأله سليمان فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم
ما اسرع ما يملون وقال ابراهيم التيمي المؤمن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر انما لسانه
رسلا رسلا وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاكثر فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم كم دون لسانك
من باب فقال شفتاي واسناني قال افما كان لك في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستهتر في
الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل في لسان وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان
ساكتا فاعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه
فلا يتكلم فان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان وراى ابو الدرداء امراة سليطة اللسان فقال لو كانت
هذه خرساء لكان خيرا لها وقال ابراهيم يهلك الناس في خصلتين فضول المال وفضول الكلام اي ما لا يعنيه فهذه مذمة
كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني الآفة الثالثة الخوض في الباطل وهو الكلام

والمعاصي كحكايات احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني فلا يأمن ان يغلب عليه الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث لا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن ان تحصى لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منها الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها وقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيمة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤوا فان ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في الوصول اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة فان الحديث في ذلك كله خوض في الباطل

**الآفة الرابعة** المراء والمجادلة وذلك منهي عنه فقد قال صلى الله عليه واله وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال صلى الله عليه واله وسلم ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه واله وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم بعد ان هداهم الله الا اوتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء والجدال وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلوة في يوم الدجن والصبر على المصائب واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال لقمن لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رايت الرجل لجوجا مماريا معجبا برايه فقد تمت خسارته وقال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال مماريا وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تفارق اخا لك عن قلى فقال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم الجدال والمراء كثير وقد قال صلى الله عليه واله وسلم تكفير كل لحاء ركعتين وحد المراء هو اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا او كذبا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو او من جهة اللغة او العربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتأخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى فبان تقول ليس كما تقول وقد اخطأت فيه من وجه كذا وكذا واما في قصده فمثل ان تقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت عنه او السؤال في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن واما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه

ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل بل يحب ان يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان واما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الآخر فهو مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب عليهما مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة من الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه والجامه واما علاجه فبان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب ذم الكبر وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه وقيل لداود الطائي لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد علي منها وهو كما قال لان من يسمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه يعسر الصبر عليه جدا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان المجادلة تخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرفت ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسك وتركه قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه قال هشام بن عروة كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها

**الآفة الخامسة** الخصومة وهي ايضا مذمومة وهي وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك ههنا فقلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رأيت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لانصرف فقال لي خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال انك عرفت ان الحق لي قلت لا ولكن اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منك شيئا هو لك فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بالحق بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يتعرف ان الحق في اي جانب هو يتوكل

فخاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط
او على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله
على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي
عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما رميت به في البئر ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم جدا
اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس حراما
ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج
الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق
اللسان في عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات واقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة
خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذلك الجدال والمراء فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة
ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الاثم ولا
تذم خصومته الا انه كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون آثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة
والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من
الطعن والاعتراض الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت
به طيب الكلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمكنكم في الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال تعالى
وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا ان الله تعالى يقول واذا حييتم
بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وفي
الخبر ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال له مر بسلام فقيل يا روح الله تقول هذا لخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال
نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقال عمر البر شيء
هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فانه
يعوضك منه ثواب المحسنين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح وهذا كله في فضل الكلام
الطيب ويضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج
للغضب الموغر للصدر **الآفة السادسة** التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات
وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم انا واتقياء امتي برآء من التكلف وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان ابغضكم الي وابعدكم مني
مجالس الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقالت فاطمة عليها السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرار امتي الذين غذوا
بالنعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم هلك المتنطعون
ثلث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وهذا ايضا من آفات اللسان ويدخل فيه ايضا كل سجع متكلف وكذلك التفاصح
الخارج عن حد العادة وكذلك تكلف السجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وآله بغرة الجنين فقال بعض قوم الجاني
كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اسجعا كسجع الكهان
فانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض

وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة من غير افراط واغراب لان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها
وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو لائق به فاما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع
والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك
مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه **الآفة السابعة** الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو مذموم منهي عنه ومصدره الخبث واللؤم
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم عن ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء
لؤم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه وآله
الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال صلى الله عليه وآله وسلم اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون
بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى
فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا عائشة
لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه وآله وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق ويحتمل ان
يكون المراد بالبيان هو كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان
في امور الدين وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان
فيه شكوك ووساوس فاذا اجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه ان يكون المراد
به المجاهرة بما يستحيي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وآله
ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وابي امامي فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن الناس اسلاما احاسنهم اخلاقا
فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارة الصريحة ويجري اكثر ذلك في الفاظ
الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها
بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس
عن الجماع فاللمس والمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل
اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة بعضها افحش من بعض وربما اختلفت بعادة البلاد واوائلها مكروهة
واواخرها محظورات وبينهما درجات يتردد فيها وليس هذا يختص بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط
اولى من لفظ التغوط والخرء وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة
فانه فحش وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة او من وراء الستر
كذا او قالت ام الاولاد كذا فالتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منها
فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح
بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة
الفساق واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوصني فقال عليك بتقوى
الله وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئا من خلق الله قال
فما سببت شيئا بعده وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي باس ان انتصر منه

فقال الكفر آيتان شيطانان يتعاونان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وآله وسلم المتسابان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم
وقال صلى الله عليه وآله وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وآله وسلم ملعون من سب والديه وفي رواية
من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه فقال يسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه وامه اقول
ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله لعرض الخيل فمر بقبر ابي
احيحة فقال ابو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فوالله ان كان ليصد عن سبيل الله ويكذب رسول الله فقال خالد ابنه ولعن الله
ابا قحافة فوالله ما كان يقري الضيف ولا يقاتل العدو فلعن الله اهونهما على العشيرة فقدا فالقى رسول الله صلى الله عليه وآله
خطام راحلته على غاربها ثم قال اذا انتم تناولتم المشركين فعموا ولا تخصوا ثم وقف فعرضت عليه الخيل ثم ساق الحديث الى ان
ذكر طائفة لعنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وعد منهم من لعن ابو بكر فقال رجل يا رسول الله ابو جهل يلعن ابوه فقال
ثم يلعن ابآء الرجال وامهاتهم فيلعنون ابو بكر اقول ويدخل فيه قوله ومن لعن ابو بكر ابو بكر يلعن قحافة لانه لعن ابا احيحة فلعن ابنه
اباه ومعلوم انه من لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله لا يصلح لخلافته الامر الثامنة اللعن اما لحيوان او جماد او لانسان وكل ذلك
مذموم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه
ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في بعض اسفاره اذا امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وآله وسلم خذوا ما عليها واعروها
فانها ملعونة قال فكاني اري تلك الناقة تمشي في الناس لا يتعرض لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن احد الارض الا قالت لعن
الله اعصانا لله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وقال انس كان رجل مع رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم على بعير فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وآله وسلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون قال ذلك
انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من رحمة الله تعالى وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله عز وجل
وهو الكفر والظلم بان تقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا
عظيما لانه حكم على الله بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله عليه والصفات
المقتضية للعن ثلثة الكفر والبدعة والفسق وللعن في كل واحدة ثلث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله
على الكافرين والمبتدعة والفسقة والثاني اللعن باوصاف اخص منها كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى
القدرية والخوارج وعلى الروافض والظلمة واكل الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن اصناف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامض
فما لم يجيء فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا والثالث
اللعن على الشخص وهذا فيه نظر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت لعنته
شرعا فيجوز لعنه كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما
شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي فهذا فيه خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف
يكون ملعونا اقول قد ثبت عن اهل البيت جواز لعن الناصبين لامير المؤمنين عليه السلام ظلما وعدوانا والمتقدمين على خلفاء
رسول الله تغلبا وعدوانا ومن والاهم على ذلك من اعوانهم واتباعهم باشخاصهم واعيانهم وما ثبت عنهم عليهم السلام فقد ثبت
عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وآله وعنهم وعلى هذا فقد ثبت جواز لعنهم لنا باشخاصهم على ما ذكره ابو حامد قد اكثر
قد تكرر ذكر اللعن في كلام الله سبحانه وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وكلام اهل البيت عليهم السلام على وجه افاد
انه من جملة العبادات المقربة الى الله سبحانه وانه يجوز ان يلعن الشخص المعين اذا عرف بكفر او نفاق او فسق قال الله تعالى

اولئك

اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وهذا في حق الاموات وقال عز وجل اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
وجعله الله وسيلة الى اثبات دعوى النبوة وحجة على الجاحدين في المباهلة لنصارى نجران حيث قال سبحانه ثم نبتهل فنجعل
لعنة الله على الكاذبين وبذلك انقطعوا ومالوا الى الصلح وقبلوا الجزية ولم يجدوا الى ترداد القول سبيلا وكذا اللعان بين
الزوجين مسقط للحد عنهما وموجب لنفي الولد بحيث لا يرث الملاعن بالولد ايضا او يوجب الحد على المرأة اذا نكلت من غير
شهود ولا بينة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعن الله الكاذب ولو كان مازحا وقال في ابي سفيان
حين هجاه بالقصيدة اللهم اني لا احسن الشعر ولا ينبغي لي اللهم العنه بكل حرف الف لعنة الى غير ذلك وقد لعن امير
المؤمنين عليه السلام جماعة وروي انه عليه السلام كان يقنت في الصلوة المفروضة بلعن معاوية وعمرو بن العاص وابي موسى
وابي الاعور السلمي مع انه عليه السلام احلم الناس عن ذنب واعظم قدرا من ان يخرج نفسه التقية فلم يترك هؤلاء الا انه كان
يرى لعنهم من اقرب القربات لما كان يجعله محله في الصلوات المفروضات وقد روى العامة ان عائشة لعنت عثمان ولعنها
وخرجت غضبا عليه الى مكة وقد روى اصحابنا ان امير المؤمنين عليه السلام كان يقنت في بعض نوافله بلعن صنمي قريش
يعني بهما ابا بكر وعمر وقد روى الشيخ الطوسي رحمه الله في التهذيب ان الصادق عليه السلام كان ينصرف من الصلوة بلعن اربعة
رجال منهم ابو بكر وعمر ومن نظر الى ما وقع للحسن عليه السلام مع معوية واصحابه وكيف لعنهم وتكلم بالفحش على ما رواه العامة
وتتبع ما ورد من الاثار عن الائمة الاطهار في الكافي للكليني رحمه الله وغيره من الكتب الحديث في لعنهم من يستحق اللعن
من رؤساء الضلال والتصريح باسمائهم لا علم ان ذلك من شعائر الدين وشعاره بحيث لا يتحاشون عنه ولا يعبرون
مرة روي في الكافي عن ابي الحسن موسى عليه السلام انه قال لعن الله ابا حنيفة كان يقول قال علي وقلت وفي رواية قالت
الصحابة وقلت واما ما ورد من حديث لا تكونوا لعانين فلعله نهي عن ان يكون اللعن خلقا لهم بسبب المبالغة فيه والاكثار منه
بحيث يلعنون كل احد كما يدل عليه قوله لعانين لانه صيغة مبالغة لا نهي عن لعن المستحقين والا لقال لا تكونوا لاعنين فان فيهما
فرقا يعلمه من احاط بدقائق لسان العرب واما ما روي ان امير المؤمنين عليه السلام نهى عن لعن اهل الشام فان صح فلعله
كان يرجو اسلامهم ورجوعهم اليه كما هو شأن الرئيس المشفق على الرعية ولذلك قال ولكن قولوا اللهم اصلح ذات بيننا
وهذا قريب من قوله تعالى في قصة فرعون فقولا له قولا لينا واما ما ذكره ابو حامد في هذا الباب من الكلام في لعن يزيد
لعنه الله فينبغي ان يطوى ولا يروى قال ولا يجوز ان يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وآله
لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه
ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطئا لا كافرا والتعرض للاموات اشد قال صلى
الله عليه وآله وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على
الظالم كقول الانسان لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على
الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم فضلة يوم القيمة الامر التاسعة الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء
وما يحل فلا نعيد اقول حاصل ما ذكره هناك حسبما اوردناه في اخر الكتاب ان السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا
وقد يكون مستحبا وقد يكون مكروها اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع
منهم الا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة واما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكن يتخذه عادة
له في اكثر الاوقات على سبيل اللهو واما المباح فهو لمن لا حظ له منه الا التلذذ بالصوت الحسن واما المستحب فهو لمن غلب

حرّمه الله تعالى ولم يجز له استماع سماع الا الصفات المشكورة هذا كلامه وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالى فاجتنبوا الرجس
من الاوثان واجتنبوا قول الزور قال الغناء وعنه عليه السلام في قوله عز وجل لا يشهدون الزور قال الغناء وعنه عليه السلام قال الغناء
يعشش النفاق وعن الباقر عليه السلام الغناء مما وعد الله عز وجل عليه النار وتلا هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل
عن سبيل الله وعنه عليه السلام اذا ميز الله بين الحق والباطل فاين يكون الغناء وفي التهذيب عن الصادق عليه السلام انه سئل عن بيع
القينات قال شراؤهن وبيعهن حرام وتعليمهن كفر واستماعهن نفاق وعنه عليه السلام المغنية ملعونة ملعون من اكل كسبها وعنه عليه السلام
اجر المغنية التي تزف العرائس ليس به بأس ليست بالتي يدخل عليها الرجال وعن الباقر عليه السلام انه سئل عن كسب المغنيات فقال التي
يدخل عليها الرجال حرام والتي تدعى الى الاعراس ليس به بأس وهو قول الله عز وجل ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل
عن سبيل الله وفي كتاب من لا يحضره الفقيه سأل رجل علي بن الحسين عليه السلام عن شراء جارية لها صوت فقال ما عليك لو اشتريتها ف
ذكرتك الجنة يعني بقراءة القرآن والزهد والفضائل التي ليست بغناء فاما الغناء فمحظور اقول وفي الكافي عن الباقر
عليه السلام قال رجّع بالقرآن صوتك فان الله تعالى يحب الصوت الحسن يرجّع به ترجيعا وعن الصادق عليه السلام قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله اقرؤوا القرآن بألحان العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسوق والكبائر فانه سيجيء من بعدي اقوام
يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم وقد ذكرناه في كتاب
آداب تلاوة القرآن من ربع العبادات اخبار اخر في هذا الباب يستفاد من مجموعها اختصاص حرمة الغناء وما يتعلق
به من الاستماع والاجر والتعليم ونحوها بما كان على النحو المتعارف في زمن بني امية وبني العباس من دخول الرجال عليهن
وتكلمهن بالاباطيل ولعبهن بالملاهي من العيدان والقضيب ونحوها دون ما سوى ذلك فاما ما سوى ذلك كالترجيع بالقرآن وما
يكون منه وسيلة الى ذكر الله والدار الآخرة واما سماع او مكيف كما ذكرها ابو حامد ولا سيما ان يختلف الحكم في
افراده بالاستماع الى تفاوت درجات الناس فانه لا يليق بذوي الدرجات ما يليق بمن دونهم قال ابو حامد اما الشعر فكلام
حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأن يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه
خير له من ان يمتلئ شعرا وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وانشاد الشعر ونظمه
ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وآله وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب
وقد يدخله الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه وآله حسان بهجاء الكفار والتوسع في المدح فانه وان كان كذبا فانه لا يلتحق
في التحريم بالكذب كقول الشاعر: ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله. فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية
السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشد
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشعار لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منها قالت عائشة كان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يخصف نعله وكنت اغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل جبينه يعرق
وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر الي فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك
يتولد نورا ولو رآك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول يا عائشة ابو كبير الهذلي فقلت يقول: ومبرأ
من كل غبر حيضة ... وفساد مرضعة وداء مغيل ... واذا نظرت الى اسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل. قالت فوضع
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان بيده وقام الي فقبل ما بين عيني وقال جزاك الله يا عائشة خيرا ما سررت
كسروري منك ولما قسم الغنائم يوم حنين امر للعباس بن مرداس باربع قلائص من الابل فاندفع العباس يشكو في شعر له وفي آخره: وما كان
بدر ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع ... وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع. فقال عليه السلام اقطعوا

عني لسانه فقال صلى الله عليه وآله وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس
فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله اتقول الشعر فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي اني لاجد للشعر دبيبا على لساني
كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد بدا من قول الشعر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لا تدع
العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين. اقول لم يبين ابو حامد معنى الشعر فانه على اي كلام يطلق كما كان يتبين ظاهره من الاخبار
فاعلم ان الشعر يطلق على معنيين احدهما الكلام الموزون المقفى سواء كان حقا او باطلا وعلى حقيقته يحمل حديث ان من الشعر
لحكمة وحديث لله كنوز تحت عرشه ومفاتيحها في السنة الشعراء وكذا كلما ورد في مدح الشعر ونحو الاخبار عنه كما سيجيء
ومن المراد منه ما كان حقا من الموزون المقفى لئلا يرد فيه تمويه وكذب والمعنى الثاني الكلام المشتمل على التخييلات الكاذبة والتعريفات
المزخرفة التي لا اصل لها ولا حقيقة سواء كان لها وزن وقافية ام لا وعليه يحمل ما ورد في ذمه وهو المراد من قول قريش في
القرآن انه شعر وفي النبي صلى الله عليه وآله انه شاعر فان القرآن ليس بموزون ومن هذا القبيل هجاء ولا المتكلمين في الكلام
ودنياهم المزخرفة المضلة قال الباقر عليه السلام في قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون هل رأيت شاعرا يتبعه احد انما هم
قوم تفقهوا لغير الله فضلوا واضلوا وقال الصادق عليه السلام هم قوم تعلموا وتفقهوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال بعض علمائنا
انها نزلت في الذين غيروا دين الله وخالفوا امر الله عز وجل هل رأيتم شاعرا قط يتبعه احد انما عني بذلك الذين وضعوا
دينا بارائهم فتبعهم الناس على ذلك قال الم تر انهم في كل واد يهيمون يعني يناظرون بالاباطيل ويجادلون بالحجج المضلين وفي كل
مذهب يذهبون وانهم يقولون ما لا يفعلون يعني يعظون الناس ولا يتعظون وينهون عن المنكر ولا ينتهون
ويأمرون بالمعروف ولا يعملون قال وهم الذين غصبوا آل محمد حقهم فاما ما ورد في مدح الشعر بالمعنى الاول ما كان منه حقا
خاصة فمنها ما رواه الصدوق رحمه الله في كتاب عيون اخبار الرضا عليه السلام باسناده عن عبد الله بن الفضل الهاشمي
قال ابو عبد الله عليه السلام من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتا في الجنة وباسناده عنه عليه السلام قال ما قال فينا قائل
شعرا حتى يؤيد بروح القدس وباسناده عن الحسن بن الجهم قال سمعت الرضا عليه السلام يقول ما قال فينا مؤمن شعرا يمدحنا به الا
اوجب الله له مدينة في الجنة اوسع من الدنيا سبع مرات يزوره فيها كل ملك مقرب وكل نبي مرسل وباسناده عن امير المؤمنين عليه السلام انه
سئل من اول من قال الشعر فقال آدم قال وما كان شعره قال لما انزل الى الارض من السماء فرأى تربتها وسعتها وهواها
وقتل قابيل هابيل فقال آدم عليه السلام: تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الارض مغبر قبيح ... تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه
المليح الابيات. وفي التهذيب باسناده عن علي بن حماد عن الرضا عليه السلام قال قلت ان اصحابنا يروون عن آبائك عليهم السلام ان
الشعر ليلة الجمعة ويوم الجمعة وفي شهر رمضان وفي الليل مكروه وقد هممت ان ارثي ابا الحسن عليه السلام وهذا شهر رمضان فقال
رث ابا الحسن عليه السلام في ليلة الجمعة وفي شهر رمضان وفي الليل وفي سائر الايام فان الله يكافئك على ذلك وفي الصحيح
عن ابن يقطين عن الكاظم عليه السلام قال سألته عن انشاد الشعر في الطواف فقال ما كان من الشعر لا بأس به فلا بأس به وفي
الصحيح عن علي بن جعفر عن اخيه الكاظم عليه السلام قال سألته عن الشعر ايصلح ان ينشد في المسجد قال لا بأس به واما ما ورد
في ذم الشعر فيحمل على المعنى الثاني او ما كان منه باطلا فمنها ما رواه جعفر بن ابراهيم في الصحيح عن زين العابدين عليه السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من سمعتموه ينشد الشعر في المسجد فقولوا فض الله فاك انما نصبت المساجد
للقرآن فانه يحمل على الشعر الباطل وكذا ما رواه سماعة في الموثق قال سألته عن نشيد الشعر هل ينقض الوضوء او ظلم
الرجل صاحبه او الكذب فقال نعم الا ان يكون شعرا يصدق فيه او يكون يسيرا من الشعر الابيات الثلاثة والاربعة فاما ان
يكثر من الشعر الباطل فهو ينقض الوضوء ولعل المراد نقض ثواب الوضوء بل استحباب اعادته لا وجوبه ذلك واما ابو حامد

عفان وعن غيره في الصحيح عن الصادق عليه السلم انه قال لا ينشد الشعر بليل ولا ينشد في شهر رمضان بليل ولا نهار فقال له اسمعيل يا ابتاه
وان كان فينا قال وان كان فينا ورواية حماد ايضا في الصحيح عنه عليه السلم قال يكره رواية الشعر للصائم وللمحرم وفي الحرم وفي يوم الجمعة
وان يروى بالليل قال قلت وان كان شعر حق قال وان كان شعر حق فمحمول على الموزون المشتمل على التخيلات المخرجة الكاذبة
وذلك لان كون موضوعه حقا كالحكمة او موعظة او كونه فيهم عليهم السلم لا يخرجه عن المبالغات الشعرية الكاذبة فاذا كان
مشتملا على شيء منها فلا باس بالموزون الآفة العاشرة المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا له واما
المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيبة قلب فلم نهي عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانه
اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم واما الافراط فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت
القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر على ان يمزح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا
فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة
فيضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال بعضهم من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء
عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك
يدل على الغفلة عن الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال
رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قال فما
رؤي ضاحكا حتى مات ونظر بعضهم الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين
وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وقال الحر لنفسه ما اضحكك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس
من اذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكي فهذه آفات الضحك فالمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف
فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا الى النبي صلى الله عليه وآله ليسأله نفر به فجعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وآله يضحكون به ففعل ذلك مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك قال نعم وافواهكم
ملاء من دمه واما اذا ادى المزاح الى اسقاط الوقار فقد قيل من مزح استخف به وقال بعضهم لا تمازح الشريف فيحقد
عليك ولا تمازح الدني فيجترئ عليك وقال عمر اياكم والمزاحة فانها تورث الضغينة وتجر الى القبيح تحدثوا بالقرآن وتحادثوا
فان ثقل عليكم فحديث حسن من احاديث الرجال وقيل لم سمي المزاح مزاحا قالوا لانه ازاح صاحبه عن الحق وقيل
لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه فنقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله
وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا وعلى الندور فلا حرج عليك ولكن
من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وآله
وهو خطأ اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا فقد
روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا وقال عطاء ان رجلا سال ابن عباس
فقال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزح قال نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله

كسى ذات

كسى ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي الله وجري منه ذيلا كذيل العروس وروي ان النبي صلى الله عليه وآله
كان من اضحك الناس وروي انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وآله فقال صلى الله عليه وآله وسلم
لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وروى زيد بن اسلم
ان امرأة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال ومن هو اهو الذي
بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من احد
الا وبعينه بياض واراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءت امرأة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال بل نحملك على ابن البعير
قالت ما اصنع به انه لا يحملني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل من بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح به وروي عن ابي سلمة ان رسول الله
صلى الله عليه وآله كان يدلع لسانه للحسين بن علي عليهما السلم فيرى الصبي حمرة لسانه فيهش له وقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكون
لي الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فاكثر هذه المطايبات
منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال
صلى الله عليه وآله وسلم لصهيب وبه رمد ويأكل التمر اتأكل التمر وانت رمد فقال انما آكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة
فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول
الله صلى الله عليه وآله لحاجته ثم رجع فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت
بعد ذلك اتفرر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة حتى طلع علي يوما وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال
لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام فكنت اتفرر منه
حتى لحقني وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قلت والذي بعثك
بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصاري
رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه وآله فيضربه بنعله ويأمر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك
قال له رجل من الاصحاب لعنك الله فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة
رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب
منه ثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله
او لم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن والله عندي ثمنه واحببت ان تأكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ويأمر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك
المميت للقلب الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا
خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة
في الفعل والقول وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به
لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة حكيت انسانا فقال لي صلى الله عليه وآله وسلم ما احب اني حكيت انسانا ولي
كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم
بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهو اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة
انه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك احدكم مما يفعل وفي رواية

عليه وآله وسلم إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا أتى أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر
فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا أتى أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فلا يأتيه وقال
معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وآله من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل ذلك يرجع إلى استحقار
الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى أن يكونوا خيرا منهم أي لا تستحقره استصغارا
فلعله خير منك وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به كانت السخرية في حقه من جملة المزاح وقد
سبق ما يذم منه وما يمدح وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك
على كلامه إذا تخبط ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته أو على صورته وخلقته إذا كان
قصيرا أو ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها والمذموم أشدها **الآفة الثانية عشر** إفشاء
السر وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حدث
الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة وقال الحسن إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة
فلا نعيده **الآفة الثالثة عشر** الوعد الكاذب فإن اللسان سباق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك
من أمارات النفاق وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وآله وسلم الوأي مثل العدة دين وقال
صلى الله عليه وآله وسلم العدة عطية وقال صلى الله عليه وآله وسلم الوأي مثل الدين وأفضل والوأي الوعد وقد أثنى الله
تعالى على نبيه إسماعيل صلوات الله عليه فقال إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فقيل إنه واعد إنسانا في موضع فلم يرجع
إليه ذلك الرجل فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره **أقول** ومن طريق الخاصة عن الصادق عليه السلام إنما سمي إسماعيل صادق الوعد لأنه
وعد رجلا في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة فسماه الله صادق الوعد ثم إن الرجل أتاه بعد ذلك فقال إسماعيل ما زلت منتظرا
لك **قال** أبو حامد وعن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فواعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت يومي
والغد فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك وقيل لإبراهيم الرجل يواعد
الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره ما بينه وبين أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
إذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا إلا ويقول إن شاء الله وهو الأولى ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد
فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر فإن كان عند الوعد عازما على أن لا يفي فهذا هو النفاق وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن
خان وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن
كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وهذا ينزل على
من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وإن جرى
عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي أن يجعل نفسه
معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتي بثلاثة من
السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فأتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تطلب منه خادما وتقول ألا
ترى أثر الرحى بيدي فذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم فآثره به على فاطمة لما سبق
من موعده له مع أنها كانت تدير الرحى بيديها الضعيفتين ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا يقسم غنائم
هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت فاحتكم ما شئت فقال أحتكم

ثمانين

ثمانين ضائنة وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على
عظام يوسف كانت أحزم وأجزل حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمي أن تردني شابة وأدخل معك الجنة قيل فكان الناس
يستضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا فيقولون أقنع من صاحب الثمانين والراعي فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ليس الخلف
أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا إثم عليه **أقول** قد سبق
جواز خلف الوعد للنساء والصبيان إذا وعدوا في تطييب نفوسهم **الآفة الرابعة عشر** الكذب في القول واليمين وهو من قبائح
الذنوب وفواحش العيوب قال صلى الله عليه وآله وسلم كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب وقال
ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لا أنقصك من كذا وكذا ويقول الآخر
والله لا أزيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال أوجب أحدهما الإثم والكفارة وقال النبي صلى الله عليه وآله
وسلم الكذب ينقص الرزق وقال صلى الله عليه وآله التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع فقال
ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر
إليهم ولا يزكيهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل إزاره وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما حلف حالف
بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة وقال أبو ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ثلاثة يحبهم الله رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جار سوء
يؤذيه فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ورجل كان مع قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا
الأرض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ أصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الحلاف والفقير المختال
والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وآله وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه
وآله وسلم رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد
يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فإذا مده رجع الآخر كما كان فقلت
للذي أقامني ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره إلى يوم القيامة وعن عبد الله بن جراد أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله
وسلم فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا رسول الله هل يكذب المؤمن فقال لا
ثم أتبعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هذه الكلمة إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون وقال أبو سعيد
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال
صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل
مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد
الله تعال أعطك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما أردت أن تعطيه قالت تمرا فقال أما إنك لو لم تفعل لكتبت عليك كذبة
وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو أفاء الله علي نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا
جبانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم وكان متكئا ألا أخبركم بأكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال
ألا وقول الزور وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل
من نتن ما جاء به وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقبلوا لي بست أتقبل لكم بالجنة فقالوا وما هي يا رسول الله قال
إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا ائتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم

قال صلى الله عليه وآله وسلم إن للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فأما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كحله فالنوم
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين وقال صلى الله عليه وآله من حلف على
مأثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رد
شهادة رجل في كذبة كذبها وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب وقالت عائشة
ما كانت من خلق أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله عز وجل منها توبة وقال موسى صلوات الله عليه
يا رب أي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمان لابنه يا بني إياك والكذب فإنه شهي كلحم
العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال صلى الله عليه وآله وسلم في مدح الصدق أربع إذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك
من الدنيا صدق حديث وحفظ أمانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة ووفاء العهد وبذل الطعام وخفض الجناح وقال علي عليه السلام أعظم
الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا
وتعرض خطبته على عمله فإن كان صادقا صدق وإن كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال ابن السماك
ما أراني أؤجر على ترك الكذب لأني إنما أدعه أنفة بيان ما رخص فيه من الكذب اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من
الضرر على المخاطب أو على غيره فإن أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره
ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا كما لو كان في الصدق قتل
بغير حق فنقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام
وإن أمكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجبا إن كان المقصود واجبا
كما أن عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود
الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه إلا بالكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز عنه ما يمكن لأنه إذا فتح
على نفسه باب الكذب فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر فيه على حد الواجب فقدا الضرورة فكان الكذب حراما
في الأصل إلا لضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن أم كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرخص
في شيء من الكذب إلا في ثلث الرجل يقول القول يريد الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها
وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا وقالت أسماء بنت يزيد قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين ليصلح بينهما وروي عن أبي كاهل قال
وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن
عليك الثناء ولقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وآله
فقال يا أبا كاهل أصلح بين الناس ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أكذب أهلي قال لا
خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ما لي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة
أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها وقال علي عليه السلام إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلث ورد فيها صريح الاستثناء

في معناها

وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره أما ما له فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذه
السلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله ارتكبها فله أن ينكره ويقول ما زنيت وما شربت قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لأن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فللرجل أن يحفظ دمه
وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وإن كان كاذبا وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين
ويصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه أو كانت امرأة لا تطيعه إلا بوعد لا يقدر عليه فيعدها
في الحال تطييبا لقلبها أو يعتذر إلى إنسان بالكذب وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحد
فيه أن الكذب محظور ولكن لو صدق في هذه المواضع تولد منه محظور فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان
القسط فإذا علم أن المحظور الذي يحصل بالصدق أشد وقعا في الشرع فله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود
الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما فعند ذلك الميل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح بضرورة أو
حاجة مهمة فإذا شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم فيرجع إليه ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الإنسان
من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة
بحق الغير والإضرار به وأكثر كذبات الناس إنما هي لحظوظ أنفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولأمور ليس فواتها محذورا حتى أن
المرأة لتحكي عن زوجها ما تتفاخر به وتكذب لأجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت أسماء سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قالت إن لي ضرة وأنا أتكثر من زوجي بما لا يفعل أضارها بذلك فهل علي فيه شيء فقال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي
زور وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تطعم بما لم يطعم وقال لي وليس له وأعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة
ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذي لم يتثبت فيه إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف
من أن يقول لا أدري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعد أو وعيد وتخويف
كاذب كان ذلك مباحا نعم روينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح أيضا يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه
ثم يعفى عنه لأنه إنما أبيح بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كبير فإنه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن
عنه وإنما يتعلل ظاهرا بالإصلاح فلهذا يكتب وكل من أتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله
أهم في الشرع من الصدق أو لا وذلك غامض جدا فالحزم تركه إلا أن يصير واجبا لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب
معصية كيف كان وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأخبار في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا أن القصد منه صحيح
وهو خطأ محض إذ قال صلى الله عليه وآله من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ولا ضرورة إذ في
الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الأسماع وسقط
وقعها وما هو جديد فوقعه أعظم فهذا هوس إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلا فالكذب على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء بيان الحذر من الكذب بالمعاريض قد نقل عن السلف أن في المعاريض مندوحة
عن الكذب وعن ابن عباس وغيره أما في المعاريض ما يغني الرجل عن الكذب وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب فأما
إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون ومثال المعاريض ما روي أن مطرفا دخل على زياد
فاستبطأه فتعلل بمرض فقال ما رفعت جنبي مذ فارقت الأمير إلا ما رفعني الله وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن
تكذب فقل إن الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفي عند المستمع وعنده للإبهام وكان النخعي لا يقول لابنته

لئن شكرا بل يقول اذا ابتلي ان يرث المال شكرا فانه ربما لا يتفق وكان ابن سيرين اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا لئلا يكون كاذبا وكان الشعبي اذا طلب في البيت وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعي الاصبع فيها وقولي ليس ههنا وهكذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا وهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه امير المؤمنين فكنت اقول جزى الله امير المؤمنين خيرا فقال لي يا بني اتق الكذب واياك والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل لا فائدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض ونحملك على ولد البعير فاما الكذب الصريح كما اعتاده الناس من ملاعبة الحمقاء بتغريرهم بان امراة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدي الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا لمطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يكمل للمرء الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوي بها في النار ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله قلت لك كذا مائة مرة فانه لا يريد بها تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وان لم يبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وآله ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خذي منه قالت فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشيء تشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا قال ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان اهل الورع يحترزون من التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة لابن له فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بني فجلس الربيع فقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى صلوات الله عليه ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من اعظم الفرية ان يدعى الرجل الى غير ابيه او يري عينيه في المنام ما لم تريا او يقول علي ما لم اقل وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كذب في حلمه كلف يوم القيامة ان يعقد بين شعيرتين

فيقول فاين قول الطبيب

## الآفة الخامسة عشرة

الغيبة والنظر فيها طويل فلنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة فقال ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع الله بينه وبين الدم والمال وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا فان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مررت ليلة اسري بي

على قوم يخمشون وجوههم باظافرهم فقلت يا جبرئيل من هؤلاء قال هم الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليم بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستسقي وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابنه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال انس امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فائذن لي لافطر فياذن له ثم الرجل ثم الرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلك ظلتا صائمتين وانهما يستحييان ان ياتياك فائذن لهما لتفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما اعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله لقد ماتتا او كادتا ان تموتا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملات القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما احل الله وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الربا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل واربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسير فاتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال انهما ليعذبان في كبير اما احدهما فكان يغتاب الناس واما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله ودعا بجريدة رطبة او بجريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست على قبر فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم تيبسا ولما رجم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ماعزا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم معهما بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه وسمع علي بن الحسين عليهما السلام رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب النار وعن مجاهد في قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة قال الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل لحوم الناس وكان الصحابة يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال بعضهم يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وقال الحسن يا ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدا بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى بن مريم عليهما السلام والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا الكلب فقال عيسى عليه السلام ما اشد بياض اسنانه كانه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر شيء من خلق الله الا احسنه

اقول قال بعض علمائنا ... لما قال عيسى عليه السلام كون كلام الحواريين غيبة بل الوجه فيه ان ذم الجيفة ونحوه مما لا يلائم الطباع غير مستنكر عرفا حتى يحسن الانكار على قائله وكلام الحواريين ظاهره الانكار كما لا يخفى بل كان عيسى عليه السلام نظر الى ان الامور الملائمة وغيرها مما هو

القبيل كلها من فعل الله تعالى على مقتضى حكمته وتقديره بالشكر على الاول والصبر على الثانية ومنه اظهار العوار من الاكابر
ولا تدل على عدم الصبر والغفلة عن حقيقة الامر فضلا عن عنه الى ما يلائم طباعهم وهو شائع بيان اسباب الكلب في حبك فقال لا
للامر الذي لا يلايم بما قلنا لم عنه وهذا معنى لطيف تنبيه من الكلام ومن طريق الخاصة ما رواه الصدوق بحذف اسناده
صلى الله عليه وآله وسلم قال من مشى في غيبة اخيه وكشف عورته كانت اول خطوة خطاها وضعها في جهنم وكشف الله عورته على
رؤس الخلائق ومن اغتاب مسلما بطل صومه ونقض وضوؤه فان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله وعن النبي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغيبة اسرع في دين الرجل من الاكلة في جوفه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
الجلوس في المسجد انتظار الصلوة عبادة ما لم يحدث فقيل يا رسول الله وما الحدث قال الاغتياب وعن يحيى بن ابراهيم عن جعفر
عليه السلم قال من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته اذناه فهو من الذين قال الله عز وجل ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
في الذين آمنوا لهم عذاب اليم وعن المفضل بن عمر قال قال ابو عبد الله عليه السلم من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته
ليسقط من اعين الناس اخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان وعن الصادق عليه السلم قال الغيبة حرام على
كل مسلم وانها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب **بيان** معنى الغيبة وحدها اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه
سواء ذكرت نقصانا في بدنه او نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته اما البدن
فكذكرك العمش والحول والقصر والقرع والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه واما النسب بان
ان اباه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف او زبال او شيء مما يكرهه كيف كان واما الخلق فبان يقول انه سيء الخلق بخيل
متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه واما في افعاله المتعلقة بالدين كقولك سارق وكذاب
خمار خائن وظالم ومتهاون بالصلوة والزكوة لا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز من النجاسات وليس بارا بوالديه لا يضع الزكوة
مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه من الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا كقولك انه قليل
الادب متهاون بالناس لا يرى لاحد على نفسه حقا ويرى لنفسه حقا على الناس كثير الكلام كثير الاكل نؤوم ينام في غير وقت النوم
في غير موضعه واما في ثوبه فكقولك انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقد قال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله
فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة وكثرة صومها وصلوتها ولكنها تؤذي
جيرانها فقال هي في النار وذكرت امرأة اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذن وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف
الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والدليل عليه اجماع الامة
لان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله في حد الغيبة فكل هذا وان كان صادقا
فيه فانه مغتاب عاص لربه واكل لحم اخيه بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا
الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارأيت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد
بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا ما اعجزه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اغتبتم
صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عائشة انها ذكرت امرأة فقالت انها
قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اغتبتها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة اقسام الغيبة والبهتان والافك وكل
في كتاب الله الغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك
الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابراهيم فقال النخعي ولم يقل الاعور وقالت عائشة لا يغتابن
منكم احد احدا فاني قلت لامرأة مرة وانا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة

من لحم **اقول** هذه الاخبار العامية لا تصلح لاثبات حكم شرعي ولا سيما مع وجود القادح فيهم الى اختلاف مثلها فان كثيرة منهم ثبت نفاقهم
وثانيا انهم يحوج الى سد باب اظهارها بكل وجه ليترتب ما يترتب وسابقا نعم الرغبة عنهم وكان في التعرض لاظهار عيوب الناس خطرا
وتحصيلا فكان في حسم مادته وسد بابه فائدة تقريبية لاهل القبائح بل يكون العاصي على ما هو عليه كما قال بعض علمائنا في كشف الريبة
عن الصادق عليه السلم صفة الغيبة ان يذكر احدا بما ليس هو عند الله عيب ويذم ما يحمده اهل العلم فيه واما الخوض في ذكر غائب
هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وان كره صاحبه اذا سمع به وكنت انت معافى عنه خاليا منه وتكون
مبينا للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ولكن على شرط ان لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله
واما اذا اراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو مأخوذ بفساد مراده وان كان صوابا وعنه عليه السلم الغيبة ان تقول في اخيك
ما ستره الله عليه واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا والبهتان ان تقول فيه ما ليس فيه وعليه امرا
قد ستره الله عليه لم يقم عليه حد وخص بعض علمائنا تحريم الغيبة بمن يعتقد الحق لان ادلة الحكم غير متناولة لاهل الضلال
لان الحكم فيها منوط بالمؤمنين او بالاخ والمراد اخوة الايمان فلا يتناول من لا يعتقد الحق **بيان** ان الغيبة لا تقتصر على اللسان
اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل
كالقول والاشارة والايماء والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك
قول عائشة دخلت علينا امرأة فلما ولت اومأت بيدي انها قصيرة فقال صلى الله عليه وآله وسلم قد اغتبتها ومن ذلك المحاكاة
بان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم وكذلك الغيبة بالكتاب فان
القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه غيبة الا ان يقترنه شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره
كما سيأتي واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي او ميت ومن الغيبة ان تقول بعض من مر بنا
اليوم او بعض من رأيناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز كان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين فقولك
بعض من قدم من السفر او بعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء
المرائين فانهم يفهمون المقصود على صفة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون
بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على
السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم
الغير عيبه فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات
ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره وان يمدح نفسه بالتشبه
بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلث فواحش وهو يظن بجهله انه من
المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادات من غير علم فانه يتبعهم ويحيط
بمكايده عليهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان
الله ما اعجب هذا حتى يصغي اليه المغتاب ويعلم ما يقول فيذكر الله ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وهو يمتن على الله بذكره
جهلا منه وغرورا وكذلك يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا فلان من الاستخفاف فنسأل الله ان يروح
ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء بل لو قصد الدعاء لاخفاه في خلوة عقيب صلوته ولو كان يغتم به
لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل

يظهر الندماء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو بجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا
ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكانه يستخرج
الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الان الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه
فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك القائل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المستمع
احد المغتابين وقد روي عن ابي بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ليأكلا به الخبز فقال رسول الله صلى الله عليه وآله قد ائتدمتما فقالا لا نعلمه فقال بلى بما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر
كيف جمعهما وكان القائل احدهما والاخر المستمع وقال للرجلين الذين قال احدهما الصاحب اقعص الرجل كما يقعص الكلب
من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه وان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام
بكلام آخر فلم يفعله لزمه الاثم وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يكفي ان يشير باليد اسكت او يشير بحاجبه
وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه وآله من اذل عنده
مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق وقال ابو الدرداء قال النبي صلى الله عليه
وآله وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة وقال ايضا من ذب عن عرض اخيه
بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في باب
اداء الحقوق وحقوق المسلمين فلا نطول بالاعادة بيان الاسباب الباعثة على الغيبة اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن
يجمعها احد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلثة تختص باهل الدين والخاصة اما الثمانية فالاول تشفي الغيظ وذلك
اذا جرى سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه تشفى الغيظ بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم تكن ثمة دين وازع
وقد يمتنع عن تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقدا ثابتا ويكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب
من البواعث العظيمة على الغيبة الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر
الاعراض فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة
وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي
معهم الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادر قبل
ان يقبح حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدئ بذكر ما هو فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول
ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت الرابع ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرأ
منه بذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا
له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان
جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل
تعظيمه فيقدح فيه لذلك السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة
عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل
عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب
عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر
غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور

يجري

ويجري ايضا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزئ به واما الاسباب الثلثة التي تختص بالخاصة فهي اغمضها وادقها
لانها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر فالاول ان ينبعث من الدين داعية التعجب
من انكار المنكر والخطأ في الدين فيقول ما اعجب ما رأيت من فلان فانه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه
ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيصير بذكر تعجبه مغتابا من حيث لا يدري وآثما ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته
وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل والثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلي به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما
ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن
ساقه الشيطان الى شر من حيث لا يعلم والترحم والتغتم ممكن دون ذكر اسمه ليبطل بذلك ثواب اغتمامه وترحمه الثالث الغضب
فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر
بالمعروف ولا يظهره على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم
يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا
مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما يأتي وروي عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حيوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلم عليهم
فردوا السلام عليه فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا لله فقال اهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا
لرجل منهم قم فادركه فاخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحكى له ما قال و
سأله ان يدعوه فدعاه فسأله فقال له قد قلت ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تبغضه قال انا جاره
وانا به خبير والله ما رأيته يصلي صلوة قط الا هذه المكتوبة قال فاسأله يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسأت
الوضوء لها والركوع والسجود فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر و
الفاجر قال فاسأله يا رسول الله هل رآني افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا فسأله فقال لا قال والله ما رأيته يعطي سائلا
قط ولا مسكينا ولا رأيته ينفق من ماله شيئا في سبيل الخير الا هذه الزكوة التي يؤديها البر والفاجر قال فاسأله هل رآني نقصت
منها شيئا او ماكست فيها طالبها الذي يسألها فسأله فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك الرابع وفي مصباح الشريعة عن الصادق
عليه السلام ان اصل الغيبة متنوع بعشرة انواع شفاء غيظ ومساعدة قوم وتهمة وتصديق خبر بلا كشفه وسوء ظن
وحسد وسخرية وتعجب وتبرم وتزين قال فان اردت السلامة فاذكر الخالق لا المخلوق فيصير لك مكان الغيبة عبرة ومكان
الاثم ثوابا بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل و
انما علاج كل علة بمضادة سببها فلنبحث عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والاخر على
التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها محبطة لحسناته فانه
تنقل يوم القيمة حسناته الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم يكن له حسنة نقل اليه من سيئاته وهو مع ذلك
لسخط الله ومشبه عنده باكل الميتة بل العبد يدخل النار بان يترجح كفة سيئاته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه
فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار واما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال
والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي ان
رجلا قال لاخر بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي فمهما آمن العبد بما وردت به الاخبار
لم يطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله
صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحيي من ان يترك نفسه ويذم

بل ينبغي ان تعلم ان عجزه عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزك ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه وان لم تجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم تالم غيره بغيبته كتالمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية **واما التفصيل** فهو ان ينظر الى السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب **اما الغضب** فيعالجه بما سياتي في كتاب آفات الغضب وهو ان يقول اني ان امضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها واستجرات على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه واله وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله وقال صلى الله عليه واله وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه واله وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء وفي بعض كتب الله يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق **واما الموافقة** فبان تعلم ان الله يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين وكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب وهي الغيبة **واما تنزيه النفس** بنسبة الخيانة الى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الاخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله لك نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسية وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك كقولك ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك ففي ما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى العنز تردي نفسها من الجبل فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان ناطق وصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك انا افعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا **واما الغيبة للحسد** فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذاب الاخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك خاسرا في الاخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسناتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك او تنقل اليك سيئاته ولا ينفعك فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود **واما الاستهزاء** فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حسرتك وحيائك وخجلتك يوم تحمل سيئات من استهزات به وتساق الى النار

لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك في القيمة على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصر الله اياه وتسليطه على الانتقام منك **واما الرحمة** له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما تنقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج من كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ احبط اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة وانما حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير به متعرضا لغضب الله تعالى بالغيبة **واما التعجب** اذا اخرجك الى الغيبة فينبغي ان تتعجب من نفسك انك كيف اهلكت دينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذا علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة

**بيان تحريم الغيبة بالقلب**

اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك به وتسيء الظن باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء واما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهي عنه ان تظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب وقد قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند ذلك لا يمكنك الا ان تعتقد ما علمته وشاهدته فما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس فان كان ثمة مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به لان الفاسق يتصور ان يصدق في خبره ولكن لا يجوز ان تصدق به حتى ان من استنكه فوجد فيه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر ومجه وما شربه او حمل عليه قهرا فكل هذه دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه واله وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان وان ما رايته فيه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد سوء الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فاقول امارة عقد سوء الظن ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه واله وسلم ثلث في المؤمن لا يستحسن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب باول مخيلة مساءة الظن ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان وظلمته فاما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بالواحد وتسيء بالاخر بل ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة العدل على عدوه للتهمة فلك عند ذلك ان تتوقف في اخباره وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور حاله كانت في ستر الله عني وكان امره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن

عليك وعليه وبعملك فإن المغتاب فاسق وإذا كان من عادته ردت شهادته لأن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة
لم يكترثوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فإن ذلك يغيظ
الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم
فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه
لينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بإيذاء الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الإثم
وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصيحتك أحب إليك من تركه
بالنصيحة فإذا أنت فعلت ذلك كنت جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الإعانة على دينه ومن ثمرات سوء الظن
التجسس فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضاً منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن
والتجسس منهي عنها في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا تترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك
ما لو كان مستوراً عنك كان أسلم لقلبك ولدينك وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حكم التجسس وحقيقته بيان
الأعذار المرخصة في الغيبة اعلم أن المرخص في ذكر مساوئ الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك
إثم الغيبة وهي ستة أمور الأول التظلم فإن من ذكر قاضياً بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتاباً عاصياً أما المظلوم من
جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم
لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد
العاصي إلى منهج الصلاح وأما إباحة هذا بالقصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراماً الثالث الاستفتاء كما
يقول للمفتي ظلمني أبي أو زوجتي أو أخي فكيف طريقي في الخلاص والأسلم التعريض بأن يقول ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو
زوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي عن هند أنها قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إن أبا سفيان رجل شحيح
لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي أفآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها
ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلمين من الشر فإذا رأيت متفقهاً
يتردد إلى أهل الشر أو مبتدع أو فاسق وخفت أن يتعدى إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك
الخوف على سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك بإظهار
الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكاً وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فإن
في سكوتك ضرراً على المشتري وفي ذكرك ضرراً على العبد والمشتري أولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي إذا سئل عن الشاهد فله
الطعن إن علم مطعناً وكذا المستشار في التزويج وإيداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد
الوقيعة وإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب فإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح بعيبه فله أن يصرح
به قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أترعوون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا
يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الإمام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الإنسان معروفاً بلقب يعرب عن عيبه
كالأعرج والأعمش فلا إثم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج وسليمان عن الأعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك
لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن صار مشهوراً به نعم لو وجد عنه معدلاً وأمكنه التعبير
بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعمى البصير عدولاً عن اسم النقص السادس أن يكون مجاهراً بالفسق كالمخنث وصاحب
الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر



فإذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا إثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقد كان
ربما يتفاخر بفسقه فكيف يكره ذلك وهو يقصد إظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به أثم أقول قال السيد العلامة فضل الله بن علي الحسني في
شرح الشهاب في تفسير قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا غيبة لفاسق الغيبة ذكر الغائب بما يعيبه من غير حاجة إلى ذكره
ثم قال فأما إذا كان من يغتاب فاسقاً فإنه ليس ما يذكر به غيبة وإنما يعني ما يذكر في غيبته إذا كان متلبساً نادماً فأما إذا كان
مصراً عليه فلا يكون غيبة كيف وهو يرتكب ما يغتاب به جهاراً انتهى كلامه ويقرب منه بعض الأخبار وكلام أهل اللغة قال الجوهري
الغيبة أن يتكلم خلف إنسان مستور بما يغمه لو سمعه فإن كان صدقاً سمي غيبة وإن كان كذباً سمي بهتاناً وعن الصادق عليه السلام
الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه وأما الأمر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا والبهتان أن تقول فيه ما ليس فيه
وعن أبي الحسن عليه السلام من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه
الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته بيان كفارة الغيبة اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف
على فعله ليخرج من حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على ما فعله
إذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادماً فيكون قد قارف معصية أخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار
دون الاستحلال وربما احتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال كفارة من اغتبته أن تستغفر له وقال
مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليه وتدعو له بخير وسئل بعضهم عن التوبة من الغيبة فقال تمشي إلى صاحبك وتقول
كذبت فيما قلت وظلمت وأسأت فإن شئت فخذ بحقك وإن شئت فاعف عني وهذا هو الأصح وقول القائل العرض لا عوض له
فلا يجب منه الاستحلال بخلاف المال كلام ضعيف إذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما
روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك
دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فإن لم تكن له حسنة أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته أقول الكلام الصحيح
الجامع بين الأخبار والأقوال الواردة في هذا الباب ما قاله الصادق عليه السلام إن اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه
وإن لم يبلغه فاستغفر الله وذلك لأن في الاستحلال مع عدم البلوغ إليه إثارة للفتنة وجلباً للضغائن وفي حكم
من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول إليه بموت أو غيبة قال أبو حامد وحيث كان غائباً أو ميتاً فينبغي أن يكثر الاستغفار له
والدعاء ويكثر من الحسنات فإن قلت فالتحليل هل يجب فأقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن
وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه والتودد إليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فإن لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده
حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف لا يحلل الظالم وقال سعيد بن المسيب لا أحلل
من ظلمني وقال ابن سيرين إني لم أحرمها عليه فأحللها له إن الله حرم الغيبة عليه وما كنت لأحلل ما حرمه الله أبداً فإن
قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينبغي أن يستحلها وتحليل ما حرمه الله غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة
لا أن ينقلب الحرام حلالاً وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فإنه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة فإن قلت فما
معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني قد تصدقت
بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فإن كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه
فنقول معناه أني لا أطلب مظلمة في القيامة منه ولا أخاصمه وإلا فلا تصير الغيبة حلالاً ولا تسقط المظلمة به لأنه عفو قبل الوجوب
إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم فإن رجع وخاصم كان قياس سائر الحقوق أن له ذلك بل صرح الفقهاء
بأن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو أفضل فقد

اذا شئت لام من يدعو الله عز وجل يوم القيمة نودي ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا عن مظلمته في الدنيا وقال الله
تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا جبرئيل ما هذا العفو فقال
ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وروي عن ابن مسعود ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك
فبعث اليه طبقا من الرطب وقال بلغني انك اهديت الي من حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان
اكافيك على التمام **الامر السادس عشر** النميمة قال الله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله
بن المبارك هو ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث اشار به الى ان كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطا من
قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى
حمالة الحطب قيل كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امراة لوط تخبر
بالضيفان وامراة نوح كانت تخبر انه مجنون وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر لا يدخل
الجنة قتات والقتات هو النمام وعنه صلى الله عليه وآله وسلم احبكم الى الله احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا
الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة المفرقون بين الاخوان
الملتمسون للبراء العثرات وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال المشاؤون بالنميمة
المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اشاد على مسلم بكلمة
ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايما رجل اشاع
على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله ان يذيبه بها يوم القيمة في النار وعنه صلى الله
عليه وآله وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا
يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث
ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم لم يف به **ومن طرق الخاصة** ما روي عن الصادق عليه السلام
عن امير المؤمنين عليه السلام شراركم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة المبتغون للبراء المعايب وعن الباقر عليه السلام قال الجنة محرمة
على القتاتين المشائين بالنميمة **قال** ابو حامد وروي عن كعب الاحبار ان بني اسرائيل اصابهم قحط فاستسقى موسى مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى
اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن
النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا وقيل اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي
آتاك الله من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن النار وما احر منها
وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه قال البهتان على البريء اثقل من السموات والحق
اوسع من الارض احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره والقلب
القانع اغنى من البحر والحرص والحسد اذل من اليتيم وقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة **بيان** حد النميمة وما يجب دفعها اعلم
ان اسم النميمة انما يطلق على الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما يقال فلان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مخصوصة
بالقول فيه بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول
او بالكتابة او بالرمز والايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصا على المنقول عنه
او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت
عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فاما

اذا راه

اذا كان ما يحكيه لا نقص فيه فذكره ليس بغيبة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة
والنميمة والباعث على النميمة اما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث والخوض في الفضول وكل من
حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا او فعل فيك كذا وكذا او هو يدبر في افساد امرك او في ممالاة عدوك او
تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور **الاول** ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة **الثاني** ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال
الله تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر **الثالث** ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله **الرابع** ان لا تظن باخيك
الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن **الخامس** ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث للتحقق قال الله تعالى ولا تجسسوا
**السادس** ان لا ترضى لنفسك ما نهيت عنه النمام فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون
اتيت بما عنه نهيت وقد روي عن علي عليه السلام ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا
مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال اقلني يا امير المؤمنين وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض
اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطأت عن الزيارة واتيتني بثلث جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي
الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني
انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي اخبرني صادق فقال الزهري لا يكون
النمام صادقا فقال سليمان صدقت اذهب بسلام وقال بعضهم من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض
ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد
بين الناس والخديعة وهو ممن سعى في قطع ما امر الله به ان يوصل قال الله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض وقال عز وجل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وآله
وسلم لا يدخل الجنة قاطع قيل وما قاطع قال قاطع بين الناس بالنميمة وهو النمام وقيل قاطع الرحم وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال
ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل قوم طبقة من الناس الا منهم والسعاية النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية
وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني اوصيك
بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل
اقاربك وآمنهم من قبول قول ساع او سماع باغ يريد افسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك
لم تغتبهم ولم يغتابوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح
ما نقله النمام اليك لكان هو المجتري بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام
عظيم ينبغي ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا فقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما
ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك وانا اسحره لك في شعره فقالت كيف اقدر على اخذ شعره فقال
اذا نام فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات حتى اسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امراتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك
فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت المراة بالموسى فظن انها تقتله فقام فقتلها فجاء اهلها وقتلوا الزوج فوقع القتال بين
القبيلتين **الامر السابع عشر** كلام ذي اللسانين وهو الذي يتردد بين هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ويتردد بين المتعاديين ويكلم
كل واحد بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وعنه صلى الله عليه وآله وسلم تجدون من شر عباد الله

يوم القيمة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفي لفظ الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال مالك بن دينار قرأت في التورية بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابغض خليقة الله يوم القيمة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا اقول ومن طريق الخاصة ما رواه الصدوق باسناده الى علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجيء يوم القيمة ذو الوجهين دالعا لسانه في قفاه وآخر من قدامه يتلهبان نارا حتى يلهبا جسده ثم يقال هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيمة وباسناده عن الباقر عليه السلام قال بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري اخاه شاهدا ويأكله غائبا ان اعطي حسده وان ابتلي خذله وباسناده عنه عليه السلام قال بئس العبد عبد همزة لمزة يقبل بوجه ويدبر باخر وباسناده الى الصادق عليه السلام قال قال الله تعالى لعيسى بن مريم عليهما السلام ليكن لسانك في السر والعلانية لسانا واحدا وكذلك قلبك اني احذرك نفسك وكفى بي خبيرا لا يصلح لسانان في فم واحد ولا سيفان في غمد واحد ولا قلبان في صدر واحد وكذلك الاذهان قال ابو حامد واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم فقال نشدتك بالله انا منهم ام لا فقال اللهم لا ولا امن منها احدا بعدك فان قلت فبماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرناه في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد منهما الى الآخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط فان نقل من الجانبين فهو شر من النميمة وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بانه ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوه قيل لبعض الصحابة انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه فان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراءاتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل الان له القول فلما خرج قالت عائشة فقلت بئس رجل العشيرة ثم النت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال وفي الكشر والتبسم فاما الثناء فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثلها كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق وتحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر بلسانه وبقلبه فان لم يقدر فليسكت بلسانه ولينكر بقلبه

الآفة الثامنة عشر المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح



واثنتان في الممدوح فاما المادح فالاولى انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال ان كان لا بد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه فاما اذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضي فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنة الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقيل من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في الارض والظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان الثاني انه اذا اثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاما اذا انطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه الموسى وقال ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الي نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك قلوب العوام واما ما قاله مطرف فذلك قلوب الخواص وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقيل المدح الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور ولان المدح يورث الكبر والعجب وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبه به فان سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصحابة ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا او عجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر وقال رسول الله صلى الله عليه وآله انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصد الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم وجبت لما اثنوا على بعض الموتى ثم قال انتم شهداء الله في الارض وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح

بيان ما على الممدوح اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز من آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه الا بان يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح والية الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين وقال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثني على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال آخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي عليه السلام لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون الآفة

التاسع عشر الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين الا العلماء الفصحاء
فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل ولكن الله يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وآله
وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن يقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق بالواو تشريكا
تسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس ان رجلا راجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكلمة من الامور فقال
ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وآله وسلم اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله
فقد غوى فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وعن ابن عباس انه قال ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه
لسرقنا الليلة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم وعنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يقولن
احدكم عبدي ولا امتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك
ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي كلكم عبيد الله والرب واحد وعنه صلى الله عليه وآله وسلم لا تقولوا للفاسق سيدنا فانه
ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان كاذبا فهو كما قال وان كان
صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما وهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تأمل جميع ما اوردناه من آفات
اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وآله وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات
كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان نطق وتكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح
وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع ذلك لا ينفك عن الخطر فان
كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت وسلم فالسلامة احدى الغنيمتين الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات
الله وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل على النفوس
والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل فلا
يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي اسلم له من ان يتكلم في العلم سيما فيما يتعلق بالله
وصفاته وانما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاءت به الرسل من غير بحث
وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة
الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة
اليه عامي ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم
ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وروي انه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني ولا تسألوني عن شيء الا انبأتكم به فقام رجل فقال يا
رسول الله من ابي فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه
ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله انا في الجنة ام في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله
عليه وآله امسكوا وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن القيل والقال وكثرة السؤال واضاعة المال
وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا
قل هو الله احد حتى يختم السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت آية

التدليس

التلاعن الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر صلى الله عليهما تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني
فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فلما سأل عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا
ترهقني من امري عسرا فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من
اعظم الآفات وهي من المثيرات للفتن ويجب منعهم وقمعهم عن الخوض في حروف القرآن ونظائر ذلك من العلوم ونظرهم في ذلك
يضاهي اشتغال من كتب اليه الملك كتابا ورسم له فيه امورا فلم يشتغل منه بشيء وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق او
حديث فاستحق بالعقوبة لا محالة فكذا تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفها اقديمة او محدثة وكذا سائر صفات
الله. هذا آخر الكلام في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله كتاب
ذم الغضب والحقد والحسد والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا
والصلاة على محمد واهل بيته

## كتاب ذم الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في إحياء الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي لا يتكل الآمل على عفوه ورحمته إلا الراجون * ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون * الذي استدرج عباده من حيث لا
يعلمون * وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون * وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون * ثم حفهم
بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون * وامتحن بهم حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون * وعرفهم أنه لا يعزب عليه شيء مما
يسرون وما يعلنون * وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون * فقال ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون
فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون * والصلاة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون والمتقون وعلى
آله وأصحابه الأئمة المهديون * والسادة المرضيون * صلاة توازن عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون * ويحظى
ببركتها الأولون والآخرون أما بعد فإن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة * إلا أنها لا تطلع إلا على الأفئدة وإنها لمستكنة
في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد * ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد * وقد
انكشف للناظرين بنور اليقين أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين * فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة
الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين * فإن شأن الطين السكون والوقار * وشأن النار التلظي والاستعار والحركة
والاضطراب والاضطرام * ومنه قوله تعالى يصهر به ما في بطونهم * ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من
فسد * ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح معها سائر الجسد * وإذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد إلى مواطن العطب فما
أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساوئه ليحذر ذلك ويتقيه * ويميطه عن القلب إن كان فيه * ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه فإن من لا يعرف
الشر يقع فيه * ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه * ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه * ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد
في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الأسباب
المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار
والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته
وغاية الواجب في إزالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني الأعمام والأقارب وتأكده وقلته في غيرهم و
ضعفه ثم بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب **بيان** ذم الغضب قال الله
تعالى إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من
الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنعم الله عليهم من السكينة وروي أن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل

قال

قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أن رجلا قال ما يبعد من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن
مسعود قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك
نفسه عند الغضب وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب وعنه صلى
الله عليه وآله وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد
الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال أبو الدرداء قلت يا رسول الله
دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا أستطيع إلا أن أغضب إنما أنا بشر قال
لا تقتن مالا قال هذا عسى إن شاء الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم الغضب يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وآله
وسلم ما غضب أحد إلا أشفى على جهنم وقال رجل يا رسول الله أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله قال
لا تغضب **أقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل وعن ميسر قال ذكر الغضب عند أبي جعفر عليه السلام فقال إن الرجل ليغضب
فما يرضى أبدا حتى يدخل النار فأيما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان
وأيما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه فإن الرحم إذا مست سكنت وعن أبي حمزة الثمالي عنه عليه السلام قال إن هذا
الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم وإن أحدكم إذا غضب احمرت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان
فيه فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض فإن رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك وعن أبي عبد الله عليه السلام
الغضب مفتاح كل شر وعنه عليه السلام قال سمعت أبي يقول أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل بدوي فقال إني
أسكن البادية فعلمني جوامع الكلم فقال آمرك أن لا تغضب فأعاد الأعرابي عليه المسألة ثلاث مرات حتى رجع الرجل إلى
نفسه فقال لا أسأل عن شيء بعد هذا ما أمرني رسول الله إلا بالخير وكان أبي يقول أي شيء أشد من الغضب إن الرجل ليغضب
فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة وعنه عليه السلام قال من كف غضبه ستر الله عورته وعنه عليه السلام قال إن
في التوراة مكتوبا يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك عند غضبي فلا أمحقك فيمن أمحق وإذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري
لك فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك وعنه عليه السلام قال الغضب ممحقة لقلب الحكيم وقال من لم يملك غضبه
لم يملك عقله وعنه عليه السلام قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم علمني قال اذهب ولا تغضب فقال الرجل قد
اكتفيت بذلك فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفا ولبسوا السلاح فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم
ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تغضب فرمى السلاح ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدو قومه فقال يا
هؤلاء ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعلي في مالي أنا أوفيكموه فقال القوم فما كان فهو لكم نحن أولى بذلك
منكم قال فاصطلح القوم وذهب الغضب وعن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كف
نفسه عن أعراض الناس أقال الله نفسه يوم القيامة ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه عذاب يوم القيامة وعنه عليه السلام
قال مكتوب في التوراة فيما ناجى الله به موسى يا موسى أمسك غضبك عمن ملكتك عليه أكف عنك غضبي **قال** أبو حامد وروي أن
ذا القرنين لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما أزداد به إيمانا ويقينا قال لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون
على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا
لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا سأل الشيطان أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم قال الحدة
إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت

في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه وقال جعفر بن محمد عليهما السلام الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار كان يقال راس
الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق
جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو ادم فلم يعجزوني في ثلث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا
بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا
لنفسه قال اذا لا تذله الشهوات ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة
الاعتذار وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب
وما علمك بامانته اذا لم يطمع وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي في التنانير المسجورة
فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للاخرة كان حلما وعلما وقد قيل الغضب عدو العقل
والغضب غول العقل وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن معه
من يتكفل لي ان لا يغضب فيكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب
انا ووفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة
اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع بيان حقيقة الغضب اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان
باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه بما يحميه من الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه
اما السبب الداخل فانه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل
الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل
من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل
به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب الخارجية التي يتعرض لها الانسان
فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله
الغضب من النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته فمهما صد عن غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعل
نار الغضب وثارت ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء
الذي يغلي في القدر ولذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما
تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه
وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان
كان الغضب على نظير يشك فيه تولد منه تردد بين الانقباض والانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب
محلها القلب ومعناه غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها
والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم الناس في هذه
القوة على درجات ثلث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك
مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قيل من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا
فهو ناقص جدا وقد وصف الله اصحابه بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال لنبيه يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من اثار قوة الحمية وهو الغضب اما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن
سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته

امور

امور غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك
حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبرودة المزاج تطفيه وتكسر سورته واما
الاسباب الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم
انا الذي لا اصبر على المكر والمحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه
حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها اعمت صاحبه واصمته عن كل موعظة
فاذا وعظ لم يسمع بل زادته الموعظة غضبا واذا اراد ان يستضيء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر على ذلك اذ ينطفئ نور
العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ
مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا باسرها
ويكون دماغه على مثال كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف
فانطفى او انمحى نوره فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل و
لا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما يقوى نار الغضب
فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما يقوى النار في الكهف فيتشقق وتنهد اعاليه على اسافله وذلك
لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم
الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال
لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه
ومن اثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة
والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان في حال غضبه
قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اقبح من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن
وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالمثمرة فهذا اثره في
الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبيح الكلام الذي يستحيي منه ذو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور
الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند
التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه
ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط سريعا لا يطيق
العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض وقد تكسر المائدة
اذا غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة والجماد ويخاطبه ويقول الى متى منك هذا يا كيت وكيت كانه يخاطب
عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها به واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء
والشماتة بالمساءة والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة
الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من
الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه وآله
ان سعدا لغيور واني لاغير من سعد والله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بها لاختلطت الانساب
ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة

المنكرات وقد قال صلى الله عليه وآله خيار امتي احداؤها يعني في الدين وقال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ومن فقد
الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ لا تتم الرياضة الا بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة
ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم
وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في
احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور
واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم
وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن
بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته بيان ان الغضب هل يمكن ازالة
اصله بالرياضة ام لا اعلم انه قد ظن ظانون ان الرياضة تقصد لمحو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه متوجهة واياه تقصد
وظن آخرون انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبلان التغيير وكلا الرأيين ضعيف
بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما دام الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه
آخر فلا بد ان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه
غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة اقسام الاول ما هو ضروري في حق الكافة وهو القوت والمسكن والثياب
وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد ان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج
من داره التي هي مسكنه واريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضروريات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على
من يتعرض لها القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور
صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما
وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فان كان له دار زائدة
على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها
فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب بالضرورة على اخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه
والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل
ومن لا يحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي اكثرت محاب
الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة
صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجاته وشهواته وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب
الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انه لا يحسن اللعب
بالطيور واللعب بالشطرنج ولا يقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب
على هذا الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض
كالكتاب مثلا للعالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات في حق الكسب الذي
لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص

وانما

وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت
يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقايق الامور وسلم له هذه الثلث يتصور ان لا يغضب في غيرها
فهذه ثلاثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها اما القسم الاول فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب
ولكن لكي يقدر ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحسنه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن
بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك
مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا
يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه
من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه
واما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان
يعلم الانسان بان وطنه القبر ومستقره الاخرة وانما الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء
ذلك وبال عليه في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن القلب ولو كان للانسان كلب لا يحبه لا يغضب
اذا ضربه غيره فالغضب تبع الحب فالرياضة في هذا قد تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي الى المنع من
استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان قلت الضروري من القسم الاول والثالث التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب
فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت فلا يغضب على احد وان كان تحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم
بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله فلا يغضب على
احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم
ولا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله فيندفع الغضب بغلبة التوحيد
ويندفع ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة
في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه
غير محال ولكن غلبة التوحيد على هذا الوجه انما تكون كالبرق الخاطف تغلب في احوال مختلفة ولا تدوم ويرجع
القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب
عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا الحق واشار الى لسانه فلم يقل
اني لا اغضب لكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة مرة فقال صلى الله عليه
وآله وسلم ما لك جاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان فقال بلى ولكني دعوت الله فاعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا
بخير فلم يقل لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه
لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من ياخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها
فانما يغضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه
فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان
لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الاخرة فلم

فليه بالشتم وكذلك شتم رجل الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني
ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل بعضهم فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله
لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون ذلك قد اثر في قلوبهم
ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند
فوات بعض المحاب فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم
الله يحب منه ان لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان طريق
الخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن
اخرج حب الدنيا عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه
ويهون دفعه **بيان الاسباب المهيجة للغضب** قد عرفت ان علاج كل علة حسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة
اسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يقربني من غضب الله قال ان تغضب
قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب
والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق
رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان
تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك كما سيأتي في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ
الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد وانما اختلفوا بالفضل اشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب
الرذائل وهما راسها واصلها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلا تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب
والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفتها
واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة واما الهزء
فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزأ بك واما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس
عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة
وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى
معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة
هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن
اشد البواعث للغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة
وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس
مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب الى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان
عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية انه لضعف النفس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمرأة اسرع غضبا من الرجل
والصبي اسرع غضبا من الكبير والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة اسرع غضبا من
صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى انه يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوي
من يملك نفسه عند الغضب كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان يتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول

عن

عن الانبياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك والفضلاء وضد ذلك منقول عن الاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء الذين
لا عقول لهم ولا فضل **بيان علاج الغضب بعد هيجانه** اعلم ان ما ذكرناه حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب
هيجانه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل
اما العلم فهو ستة امور **الاول** ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه
فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ غيظه غضب بعضهم على رجل فقال الرجل خذ العفو وأمر بالعرف
واعرض عن الجاهلين فخلى عنه **الثاني** ان يخوف نفسه بعقاب الله وهو ان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان
فلو امضيت غضبي عليه لم آمن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيامة احوج ما اكون الى العفو قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن آدم
اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وصيفا الى حاجة فابطأ
عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك اي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا
غضب اعطاه صحيفة فيها ارحم المساكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرأها حتى يسكن غضبه **الثالث** ان يحذر
نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هتك اعراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب
فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الآخرة
ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض الا ان يكون محذوره ان يتشوش عليه في الدنيا فراغه
للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون حينئذ مثابا عليه **الرابع** ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في
حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه بالكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك
للغضب للانبياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالعلماء والانبياء
في عادتهم لتميل نفسه الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي معه مسكة من عقل **الخامس** ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه
من كظم الغيظ ولا بد ان يكون سببه مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا
في اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح اذا اخذ هذا
بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري في اعين الناس ولا تحذرين من ان تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين [illegible]
من هذا فمهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة اشد من ذل لو انتقم
الآن افلا يحب ان يكون هو القائم اذا نودي يوم القيامة ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وامثاله
من معارف الايمان ينبغي ان يقرره على قلبه **السادس** ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله تعالى لا على
وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله تعالى ويوشك ان يكون غضب الله اعظم من غضبه **واما العمل** فان تقول بلسانك
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقال عند الغيظ وكان صلى الله عليه وآله
وسلم اذا غضبت عائشة اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات
الفتن فيستحب ان تقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت
لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة اذ قال صلى الله
عليه وآله وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا
فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضأ وليغتسل بالماء البارد فان النار لا
يطفئها الا الماء وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا غضب احدكم فليتوضأ وليغتسل فان الغضب من النار

ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما يطفئ النار الماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا غضب وهو قائم
جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غيظه وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا ان الغضب جمرة
في قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى
السجود وهو تمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والتكبر الذي هو سبب الغضب
وقيل كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلث صحايف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني
هذه الصحيفة وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما
فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر اوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه
فاعطي الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء ثم اعطي الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم
الا ذلك اي لا تعطل الحدود بيان فضيلة كظم الغيظ قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح وقال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا عند القدرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم
من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيمة رضا وفي رواية ملأ الله قلبه امنا وايمانا وعنه صلى الله عليه وآله
ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله
الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما
كظمها عبد الا ملأ الله جوفه ايمانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس
الخلايق ويخيره في اي الحور شاء وقال لقمن لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك
تنفعك معيشتك وقال ابو حاتم حلم ساعة يدفع شرا كثيرا اقول ومن طرق الخاصة ما رواه في الكافي عن علي بن الحسين عليهما السلم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من احب السبيل الى الله تعالى جرعتان جرعة غيظ يردها بحلم وجرعة مصيبة يردها بصبر
وعن ابي عبد الله عليه السلم قال كان علي بن الحسين عليهما السلم يقول ما احب ان لي بذل نفسي حمر النعم وما تجرعت من جرعة احب الي
من جرعة غيظ لا اكافي بها صاحبها وعن ابي جعفر عليه السلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه حشا الله قلبه امنا وايمانا
يوم القيمة وعن ابي عبد الله عليه السلم قال نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها فان عظيم الاجر لمن عظيم البلاء وما احب الله قوما الا
ابتلاهم وعنه عليه السلم ما من عبد كظم غيظا الا زاده الله تعالى عزا في الدنيا والاخرة وقد قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين واثابه الله مكان غيظه ذلك وعنه عليه السلم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه املأ الله قلبه
يوم القيمة رضاه وعن ابي الحسن الاول عليه السلم قال اصبر على اعداء النعم فانك لن تكافي من عصى الله فيك بافضل من ان تطيع الله فيه
فضيلة الحلم اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا
من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار اعتيادا فلا يهيج الغضب وان هاج فلا يكون
في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة على كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداء
التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه
ومن يتوق الشر يوقه واشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال صلى الله
عليه وآله وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء

فيغلب

فيغلب جهلكم حلمكم اشار بهذا الى ان التجبر والكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعاء رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وعنه صلى الله عليه وآله
وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل
عليك وعنه صلى الله عليه وآله خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي عليه السلم
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما
يملك الا اهل بيته وروي ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون
علي واحلم عنهم قال لئن كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك الملل يعني الرماد الحار
وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي من صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله
الى النبي اني قد غفرت له ومدح الله تعالى قوله تعالى ربانيين اي حلماء علماء وفي قوله يمشون على الارض هونا اي حلماء واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقوله عز وجل واذا مروا باللغو مروا كراما
اي اذا اوذوا صفحوا وفي قوله وكهلا قيل الكهل منتهى الحلم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يحب الحليم
الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلث من
لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا جمع الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير
فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان
فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين
وقال علي عليه السلم ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة ربك
فان احسنت حمدت الله وان اسأت استغفرت الله وعن علي بن الحسين عليهما السلم انه سبه رجل فرمى اليه بخميصة كانت
عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعد من الله وحمله على
الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد عليهما السلم
انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر عليه السلم انما الذليل
الظالم ومر المسيح بن مريم عليهما السلم بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل
واحد ينفق مما عنده وقال لقمن ثلثة لا يعرفون الا عند ثلثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا في الحرب ولا
اخاك الا عند حاجتك اليه اقول ومن طرق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ان الله يحب الحيي الحليم الضعيف المتعفف وعن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ما اعز الله بجهل قط ولا اذل بحلم قط وعن ابي جعفر عليه السلم قال كان علي بن الحسين عليهما السلم يقول انه ليعجبني الرجل
ان يدركه حلمه عند غضبه وعن ابي عبد الله عليه السلم قال كفى بالحلم ناصرا وقال اذا لم تكن حليما فتحلم وعن حفص بن ابي عائشة
قال بعث ابو عبد الله عليه السلم غلاما له في حاجة فابطأ فخرج ابو عبد الله عليه السلم على اثره لما ابطأ فوجده نائما فجلس عند رأسه
يروحه حتى انتبه فلما انتبه قال له ابو عبد الله عليه السلم يا فلان والله ما ذلك لك تنام الليل والنهار لك الليل ولنا
منك النهار وعن ابي عبد الله عليه السلم قال اذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما قلت وقلت
وانت اهل لما قلت ستجزى بما قلت ويقولان للحليم منهما صبرت وحلمت سيغفر الله لك ان اتممت ذلك قال فان رد الحليم عليه

ان يقنع الملكان وعن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال لا يكون الرجل عابدا حتى يكون حليما وان الرجل كان اذا تعبد في بني اسرائيل لم يعد
عابدا حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين قال ابو حامد ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه الطعام فخرجت امرأة الحكيم
وهي سيئة الخلق فرفعت المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك
نطعم فسقطت دجاجة على المائدة وافسدت ما عليها فلم يغضب احد منا فقال نعم قال احسب ان هذه مثل تلك الدجاجة
فسري عن الرجل وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك
فقال اقمته مقام حجرة تعثرت بها فذبحت الغضب وقال محمود الوراق شعر سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان
كثرت منه علي الجرائم وما الناس الا واحد من ثلثة شريف ومشروف ومثل مقاوم فاما الذي فوقي فاعرف فضله
واتبع فيه الحق والحق لازم واما الذي دوني فان قال صنت عن اجابته عرضي وان لام لائم واما الذي مثلي فان زل او هفا
تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام اعلم ان كل ظلم صدر من شخص
فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا سائر المعاصي
واما القصاص والغرامة على وجه ما ورد به الشرع وفصلناه في كتب الفقه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان امرؤ
عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدأ لينتصر منه
قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابو بكر انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك
فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه
ونهيه صلى الله عليه وآله عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي به قالوا وما يجوز من ذلك ان يقول
من انت وهل انت الا من بني فلان وكذا قوله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس
اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد
الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه يا ثلابا للاعراض وكان ذلك فيه وكذلك
قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت واخزاك الله وانتقم منك فاما النميمة والغيبة والكذب وسب
الوالدين فحرام بالاتفاق والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والسب الفحش ما قال النبي صلى
الله عليه وآله وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي
عن الكاظم عليه السلام في رجلين يتسابان قال البادي منهما اظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر الى المظلوم قال
ابو حامد فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه
السابق ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه لانه يجره الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار الا على قدر
الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا
يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب لكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس في
الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود
سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر
ان المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا ان بني آدم خلقوا
على طبقات شتى فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء
الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال يهيج

اجب

يجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه يكون متغيظا عليه فيكون متشفيا
لغيظه مريحا نفسه صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه ورأى بعض الولاة سكرانا
فاراد ان يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع فقيل له لما شتمك رجعت فقال اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب
ان يكون حمية لنفسي القول في ضد الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن
التشفي في الحال يرجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار
عنه وان يدوم على ذلك ويبقى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد
ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان
اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين نعوذ بالله الثاني ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن
فتشمت بما يصيبه من البلاء الثالث ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض
عنه استصغارا له الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره السادس ان تحاكيه استهزاء
به وسخرية منه السابع ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك
حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله به ولكن تستثقله بالباطن
ولا تنتهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على
ذكر الله والمعاونة على المنفعة له او بترك الدعاء له والثناء عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله ينقص
درجتك في الدين ويحول بينك وبين الفضل العظيم والثواب الجزيل وان كان لا يعرضك لعقاب الله والافضل ان تبقى على ما كنت
عليه واكثر ان تجاهد النفس ارغاما للشيطان وذلك هو مقام الصديقين وهو من فضائل اعمال المقربين
فللحقود ثلثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل والثاني
ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الارذال
والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الان فضيلة العفو والاحسان فضيلة العفو اعلم ان
العفو ان يستحق حقا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذا افردناه قال الله تعالى خذ
العفو وأمر بالعرف الآية وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التواضع لا يزيد
العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة
فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من
محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن مأثما
وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله يوما فبدرته فاخذت بيده او بدأني فاخذ بيدي فقال يا عقبة
الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه
وآله وسلم يشكو مظلمة فامره النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يجلس واراد ان يأخذ بمظلمته فقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيمة فأبى ان يأخذها حين سمع الحديث وعنه صلى الله عليه وآله وسلم من دعا
على من ظلمه فقد انتصر وعنه صلى الله عليه وآله وسلم اذا بعث الله الخلائق يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة
اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ... ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم
حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعنه صلى الله عليه وآله وسلم اذا اوقف العباد
نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا الفا
فيدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يؤتى بحد الا اقامه
والله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلث من جاء بهن
مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلوة قل هو الله
احد عشر مرات وعفى عن قاتله قيل او احديهن يا رسول الله قال او احديهن اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي
عن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الا اخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة العفو عن
من ظلمك وتصل من قطعك والاحسان الى من اساء اليك واعطاء من حرمك وعنه عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم عليكم بالعفو فان العفو لا يزيد العبد الا عزا فتعافوا يعزكم الله وعن ابي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليهما
السلم قال سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله تبارك وتعالى الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادي مناد اين اهل الفضل
قال فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملئكة فيقولون وما فضلكم فيقولون كنا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو
عمن ظلمنا قال فيقال لهم صدقتم ادخلوا الجنة وعن ابي جعفر عليه السلم قال الندامة على العفو افضل وايسر من الندامة على
العقوبة وعنه عليه السلم قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله اتي باليهودية التي سمت الشاة للنبي صلى الله عليه وآله فقال
لها ما حملك على ما صنعت فقالت قلت ان كان نبيا لم يضره وان كان ملكا اراحت الناس منه قال فعفى رسول الله صلى الله
عليه وآله عنها وعن ابي عبد الله عليه السلم ثلث من مكارم الدنيا والآخرة تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم اذا جهل
عليك وعن الحسن عليه السلم قال ما التقت فئتان قط الا نصر اعظمهما عفوا ومن عجيب ما كان ابو الحسن موسى عليه السلم
حائطا له يصرم فنظرت الى غلام له قد اخذ كارة من تمر فرمى بها وراء الحائط فأتيته فأخذته وذهبت به اليه فقلت جعلت
فداك اني وجدت هذا وهذه الكارة فقال للغلام فلان قال لبيك قال اتجوع قال لا يا سيدي قال فتعرى قال لا يا سيدي قال
فلاي شيء اخذت هذا قال اشتهيت ذلك قال اذهب فهي لك وقال خلوا عنه قال ابو حامد الاحنف قيل له ما ابالي انه القرين
كان نبيا قال لا ولكنه اعطي ما اعطي اربع خصال الكرم فيه كان اذا قعد حفنا وانا ضعيف واذا احدث صدق ولا يحمل الحقد
وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن من ظلم فحلم ثم قدر فعفى فهذا الحليم تذهب الحفيظة عن الحقد
والغضب ... على حماد بن زيد ... فقيل له اقطعه فان من اهل ... قال بل اسكت عليه لعل الله ... يوم
يوم القيمة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد
جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون على الذي اخذها يقولون اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها اللهم افعل به كذا فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة
فبارك له فيها وان كان حمله جرأة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه وقال الفضيل ما رأيت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام
ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت أعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله عز وجل
فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له ... وقال ... الانجيل ... فضيلة الرفق
اعلم ان الرفق محمود وضده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد
يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور

ثمرة

ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة انه من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم
حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل
بيت يحرمون الرفق الا حرموا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف
وقال من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال اتدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال الرفق يمن والخرق شوم
وقال التأني من الله والعجلة من الشيطان اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله لو كان الرفق خلقا يرى ما كان مما خلق الله شيء احسن منه وعنه عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله ان الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه وعنه عليه السلم قال ان لكل شيء قفلا وقفل الايمان الرفق
وعنه عليه السلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وعن ابي عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله الرفق يمن والخرق شوم وعنه عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما اصطحب اثنان الا
كان اعظمهما اجرا واحبهما الى الله تعالى ارفقهما بصاحبه وعنه عليه السلم من كان رفيقا في امره نال ما يريد من الناس
وعنه عليه السلم ان الله رفيق يحب الرفق فمن رفقه بعباده تسليله اضغانهم ومضادتهم لهواهم وقلوبهم ومن رفقه بهم انه يدعهم
على الامر يريد ازالتهم عنه رفقا بهم لكيلا يلقي عليهم عرى الايمان ومثاقلته جملة واحدة فيضعفوا فاذا اراد ذلك نسخ الامر
بالآخر فصار منسوخا وعن ابي الحسن موسى عليه السلم قال الرفق نصف العيش وعنه عليه السلم قال لمن جرى بينه وبين قوم كلام اتق الله
فان كف ... حلمكم وغضبه ولا خير فيمن كان كف ... غضبه وعن عمرو بن ... القدام رفعه الى النبي صلى الله عليه وآله قال ان في الرفق
الزيادة والبركة ومن يحرم الرفق يحرم الخير وعنه رفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما زوي الرفق عن اهل بيت الا
زوي عنهم الخير قال ابو حامد فهذه ذكر الآثار فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال
واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع لكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف
فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة واشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في
الاكثر القول في ذم الحسد وحقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته بيان ذم الحسد اعلم ان الحسد من نتائج الحقد
والحقد من نتائج الغضب ... الغضب لكل ما ... ثم له من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد
ورد في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا
وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يطلع عليكم الآن رجل من اهل الجنة فطلع رجل من الانصار
... ما رأيته يعمل عملا كثيرا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلوة الفجر فقيل له ذلك فقال ما هو الا
ما رأيت غير اني لا اجد على احد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله اياه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلث
لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت
فلا تبغ وفي رواية ثلث لا ينجو منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال صلى الله عليه وآله وسلم
دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد
بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وآله

وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال صلى الله عليه وآله وسلم انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما
داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج وقال صلى الله
عليه وآله وسلم لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك وروي ان موسى عليه السلم لما تعجل الى ربه راى في ظل العرش
رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك بثلث من عمله كان لا يحسد
الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا عليه السلم قال الله تعالى الحاسد عدو
لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وآله وسلم اخوف ما اخاف على امتي
ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وآله وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل
ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان لنعم الله اعداء فقيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم
الله من فضله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء
بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد آثار ومن
طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلم قال ان الرجل ليأتي بأدنى بادرة فيكفر وان الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب
وعن ابي عبد الله عليه السلم قال آفة الدين الحسد والعجب والفخر وعنه عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله
لموسى بن عمران يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدن عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان الحاسد
ساخط لنعمي صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس مني وعنه عليه السلم قال اتقوا الله ولا
يحسد بعضكم بعضا ان عيسى بن مريم كان من شرائعه السيح في البلاد فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من اصحابه قصير وكان كثير
اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله بصحة يقين منه فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر
الى عيسى جازه بسم الله بصحة يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى فدخله العجب بنفسه وقال هذا عيسى روح الله يمشي على
الماء وانا امشي على الماء فما فضله علي قال فرمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فاخرجه ثم قال له ما
قلت يا قصير قال قلت هذا روح الله يمشي على الماء وانا امشي على الماء فدخلني من ذلك عجب فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع
الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله مما قلت قال فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التي وضعه الله فيها
فاتقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضا وعنه عليه السلم قال ان المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط وفي
مصباح الشريعة عنه عليه السلم قال الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود كابليس اورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم
الاجتباء والهدى والرفع الى محل حقائق العهد والاصطفاء فكن محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد ابدا خفيف
بثقل ميزان المحسود والرزق مقسوم فماذا ينفع الحاسد الحسد وماذا يضر المحسود الحسد والحسد اصله من عمى القلب
وجحود فضل الله وهما جناحان للكفر وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الابد وهلك مهلكا لا ينجو منه ابدا ولا توبة للحاسد
لانه مصر عليه معتقد به مطبوع فيه يبدو بلا معارض به ولا سبب والطبع لا يتغير عن الاصل وان عولج قال ابو حامد
الاول قال بعض السلف اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية وقال
بكر بن عبد الله المزني كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيكه
مساويه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول يزعم
ان الملك ابخر فقال له الملك فكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك فانه اذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم
ريح البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده

وقام بحذاء الملك فقال احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيكه مساويه فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع
يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا قد صدق قال وكان الملك لا
يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده
تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال
هو لك فاخذه ومضى به الى العامل فقال العامل في كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي فالله الله
في امري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى
الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له فقال له الملك
انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لانه اطعمني طعاما فيه ثوم
فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء مساويه وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شيء من امر
الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على امر الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على
امر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما انساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك
ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقيل كل الناس اقدر على رضاهم
الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذا قيل: كل العداوة قد ترجى مودتها * الا عداوة من عاداك من حسد وقال بعض
الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة
عليك نقمة عليه وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا
ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند الموت الا شدة وهولا بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه
اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احديهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها
هذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها من المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره
وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد
منافسة ويوضع احد اللفظين بدل الآخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان المؤمن يغبط
والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد
ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث انها آلة
الفساد ولو امنت فساده لم يغمك تنعمه ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله
في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون
لك منها مضرة والى هذا اشار القرآن بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة
والحسد والشماتة متلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم
فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم
بقوله اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل
لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيه له وساءهم ذلك احبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم اي لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار
ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال كان الناس امة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم

ما هذا الكتاب قال لي

البينات بغيا بينهم قيل بغيا يعني حسدا وقال وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم
ويؤلف بينهم على طاعته وامرهم ان يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم ان ينفرد بالرياسة
وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا قاتلوا
قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي
صلى الله عليه وآله وسلم من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وآله
وسلم جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال
ارى معاداته ايام الحيوة فهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة واما مباحة
وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان يأتيا النبي
صلى الله عليه وآله وسلم فيسألاه ان يؤمرهما على الصدقة قالا لعلي عليه السلام حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا
يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك او هذا منا حسد
ما حسدناك على تزويجك فاطمة والمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين
يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد
صرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق
ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانصاري فقال مثل هذه الامة
مثل اربعة نفر رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان
لي مالا مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ماله من غير حب زوال النعمة
قال ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مثل مال فلان لكنت اعمل بمثل عمله فهما
في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ما له
فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له فان كانت تلك
النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه اذا لم يحب
ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها
مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباح وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق
به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وتحت هذا امران احدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو
يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم
ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان
وههنا دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال
النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثلها او بان يزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب
لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة من المحسود كان ذلك اشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه
وتقدم غيره وهذا لا يكاد ينفك القلب عنه وان كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه

حسود حسدا مذموما وان كان يزعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عما يجده في طبعه من الارتياح الى زوال النعمة عن
محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعني بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ثلث لا ينفك
المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به
وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة
ترجيحا له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط فيه فانه موضع الخطر وما من انسان
الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقاربه من يحب ان يساويه ويكاد يجره الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين
التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال
النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا
بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه ذلك ما لم يعمل به ان شاء الله ويكون كراهته لذلك
من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه واما مراتبه فاربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان كانت لا تنتقل
اليه وهذا غاية الخبث الثانية ان يحب زوال النعمة عنه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امرأة جميلة او ولاية
نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان يكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها الثالثة
ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها عنه كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة ان يشتهي
لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين
والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز
ولكنه مذموم قال الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم واما تمنيه عين ذلك
فمذموم بيان اسباب الحسد والمنافسة اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله
وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله
كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة اسباب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب
الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة على غيره اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل
يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من
حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في
طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان يكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا
فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها
الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون
بسبب من هذه الاسباب بل بخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب السبب الاول العداوة
والبغضاء وهو اشد اسباب الحسد فان من آذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه ابغضه
قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه
احب ان يتشفى منه بالزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصابت عدوه بلية فرح بها وظنها
مكافأة من جهة الله له على بغضه وانها لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما
يخطر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة

ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وكذا قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه.

**السبب الثاني** التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق كبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه.

**السبب الثالث** ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ له رؤوسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش أهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم.

**السبب الرابع** التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقالوا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النبوة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة وسبب آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة وقال تعالى أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم.

**السبب الخامس** الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد منهما يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال والقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراض له.

**السبب السادس** حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة عنه التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم.

**السبب السابع** خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فيما انعم عليهم فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم به عليه شق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم

وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته فهذه اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل يهتك حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها.

**بيان** السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب ويتظاهر فيهم اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه قد يمتنع من قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف احد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه عنه وابغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه ويترادف جملة من هذه الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مدرسة او مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود واحد اخص فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع بين متباعدين بل بين متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت سماواته وارضه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق ايضا فيما عند الله تعالى لان اجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم الآخر انصرف عن تعظيم الآخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة

امتلأ قلبه بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره وأن يفرح به فالفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل
عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه وأن المال أعيان وأجسام ولها
نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر
في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك ألذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد
لأحد من الخلق لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت
على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فإن نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته
يأمن زوالها وهو أبدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها
دانية فهو وإن غمض عينه الظاهرة فروحه أبدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فإن فرض كثرة في العارفين لم
يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم
وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فإذا لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة
ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال إلا بمعرفة الله التي لا مزاحمة
في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من صفة المبعدين عن سعة عليين
إلى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم على ما خص به من الاجتباء ولما دعي إلى
السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى فقد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى
الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن
لها بالإضافة إلى السماء ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلا فعليك إن كنت
بصيرا وعلى نفسك مشفقا أن تطلب نعمة لا زحمة فيها ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله ومعرفة صفاته
وأفعاله وعجائب ملكوت السموات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضا فإن كنت لا تشتاق إلى معرفة الله
لم تجد لذتها وفتر عنه رأيك وضعفت فيه رغبتك فأنت فيه معذور فالعنين لا يشتاق إلى لذة الوقاع
والصبي لا يشتاق إلى لذة الملك فإن هذه لذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة يختص
بإدراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن
لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب اعلم أن الحسد
من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر
عليك في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة أما كونه ضررا
عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته
واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف
إليه أنك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت إبليس و
الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو
الليل النهار وأما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو أنك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم
الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب



ضيق النفس كما تشتهيه لأعدائك وكما يشتهي أعداؤك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك
نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلا أن تحذر
من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما أعجب
من العاقل أن يتعرض لسخط الله من غير نفع يناله مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة
وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم
إلى أجل قدره الله فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكى نبي من الأنبياء من امرأة ظالمة
مستولية على الخلق فأوحى الله إليه فر من قدامها حتى تنقضي أيامها أي ما قدرناه في الأزل لا سبيل إلى تغييره
فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء لدوام إقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون
عليه إثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي فهذا غاية الجهل فإنه بلاء تشتهيه أولا لنفسك
فإنك أيضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الإيمان أيضا
لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمان قال تعالى ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم
وما يشعرون إذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بإرادته الضلال لغيره فإن إرادة الكفر كفر فمن اشتهى أن تزول النعمة
عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك
ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فإن كل واحد من حمقى الحساد أيضا يشتهي أن يخص بهذه الخاصية
ولست بأولى من غيرك فنعمة الله عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها وأما أن المحسود
ينتفع به في الدين والدنيا فواضح أما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل
بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها إليه أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى
تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة إذ وفقك للحسنات
فنقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة وأما منفعته في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق
مساءة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أعظم مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أماني أعدائك
أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي
أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد والغم لتنظر إلى نعمة الله عليه فيتقطع قلبك حسدا ولذلك قيل لا مات أعداؤك
بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد لا زلت محسودا على نعمة فإنما الكامل من يحسد ولا خلا الدهر من حاسد فإنما
الفاضل من يحسد ففرح عدوك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان
ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده فما أنت فيه تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهيه عدوك فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو
نفسك وصديق عدوك إذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما
عند الخالق والخلائق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى
وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رآك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال
الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشارك في الثواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا
في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك فخاف إبليس أن تحب ما أنعم
الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه إليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد

اعرابية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو مع من احب وقام اعرابي ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فقال متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلوة وصيام الا اني احب الله ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انت مع من احببت قال الراوي فما فرح المسلمون باشد من فرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر قصدهم كان حب الله ورسوله وقال ابو ذر قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو مع من احب وقيل ان لم تكن عالما ولا متعلما فكن محبا لهم فان لم تحبهم فلا تبغضهم فانظر الان كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك اخاك وحملك على الكراهة حتى أثمت فكيف لا وعساك ان تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطئ في دين الله ويكشف خطاؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الاخرة وقد ورد في الحديث اهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تدخل بواحد منها البتة فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ حسدك على عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرأيت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي سهما الى عدوه ليقتله فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانيا فيرمي اشد من الاول فيرجع الى عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الرمية العائدة لم تفوت الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار فلأن تذهب عينه في الدنيا خير من ان تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم ازالها عن الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلكت الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأ من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام عليه فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فاحبه وتولد بينهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت عليه حملك العدو على العجز او على النفاق والخوف وان ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كان او طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين ويقلل مرغوبها ويعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا على القلوب ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم

والثناء

والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله وحب ما احبه الله وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد ما لا يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما ان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فاما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسيأتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فانه ان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكينه وتطفئته ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد ان يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهره بلسانه ويده واما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت اذا حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما تيسر لهما من نعمة او تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعال الله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهته والزم قلبه هذه الحالة فقد ادى ما كلف به وقد ذهب ذاهبون الى انه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي ان النبي صلى الله عليه وآله قال ثلاث لا ينفك المؤمن منهن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال النعمة عن العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي والايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من يحب مساءة المسلم فهو حاسد فاذن كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلاثة احوال احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه الثاني ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالث وهو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه هذا آخر كتاب ذم الغضب والحقد والحسد من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء ويتلوه ان شاء الله كتاب ذم الدنيا والحمد لله اولا وآخرا

## كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرّف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها، وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها، حتى نظروا في شواهدها وآياتها، ووزنوا بحسناتها سيئاتها، فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها، ولا يفي مرجوها بمخوفها، ولا يسلم طلوعها من كسوفها، ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها، ولها اسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها، ثم هي فرارة عن طلابها، شحيحة باقبالها، فاذا اقبلت لا يؤمن من شرها ووبالها، ان احسنت ساعة اساءت سنة، وان اساءت مرة جعلتها سنة، فدوائر اقبالها على التقارب دائرة، وتجارة بنيها خاسرة بائرة، وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة، ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة، فكل مغتر بها الى الذل مصيره، وكل متكبر بها الى التحسر مسيره، شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها، من خدمها فاتته، ومن اعرض عنها واتته، لا يخلو صفوها من شوائب الكدورات، ولا ينفك سرورها عن المنغصات، سلامتها تعقب السقم، وشبابها يسوق الى الهرم، ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم، فهي خداعة مكارة طيارة فرارة، لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن انيابها، وشوشت عليهم مناظم اسبابها، وكشفت لهم عن مكنون عجائبها، فاذاقتهم قواتل سمامها، ورشقتهم بصوائب سهامها، فبينا اصحابها منها في سرور وانعام، اذ ولت عنهم كأنها اضغاث احلام، ثم عكرت عليهم بدواهيها وطحنتهم طحن الحصيد، ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد، ان ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كأن لم تغن بالامس، تمني اصحابها سرورا، وتعدهم غرورا، حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا، فتصبح قصورهم قبورا، وجمعهم بورا، وسعيهم هباء منثورا، وكان امر الله قدرا مقدورا، والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا، وعلى من كان من آله واصحابه له في الدين ظهيرا، وعلى الظالمين نصيرا، وسلم تسليما كثيرا. اما بعد، فان الدنيا عدوة لله، وعدوة لاولياء الله، وعدوة لاعداء الله، اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله، ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها، واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها، حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها، واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها، فاقتنصتهم بشباكها، حتى وثقوا بها وعولوا عليها، فخذلتهم احوج ما كانوا اليها، فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد، ثم حرمتهم السعادة ابد الآباد، فهم على فراقها يتحسرون، ومن مكايدها يستغيثون فلا يغاثون، بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون، اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون، واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة حقيقة الدنيا ما هي، وما الحكمة في خلقها مع عداوتها، وما مدخل غرورها وشرورها، فان من لا يعرف

الشر

الشر لا يتقيه، ويوشك ان يقع فيه، ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ما يحتاج الحاجة الى اصولها، وسبب نفرة الخلق عن الله بسبب الاشتغال بفضولها ان شاء الله.

**بيان ذم الدنيا**

الآيات الواردة في ذم الدنيا وامثلتها كثيرة، واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة، بل هو مقصود الانبياء لم يبعثوا الا لذلك، فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها، وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها، فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر على شاة ميتة فقال: اترون هذه الشاة الميتة هينة على صاحبها؟ قالوا: من هوانها القوها، قال: والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: حب الدنيا رأس كل خطيئة. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور. وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف على مزبلة فقال: هلموا الى الدنيا، واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال: هذه الدنيا. وهذا اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق، وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب. وقال عيسى عليه السلام: لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا، اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه لكم، فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة. وقال ايضا: يا معشر الحواريين اني قد اكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي، فان من خبث الدنيا ان عصي الله فيها، وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا بتركها، الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها، واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا، ورب شهوة ساعة اورثت اهلها حزنا طويلا. وقال ايضا: بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء، فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم، واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة. وقال ايضا: الدنيا طالبة ومطلوبة، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا، وانه لم ينظر اليها منذ خلقها. وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وعن شماله، فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال: والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما، قال: فسمع فقال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما اعطي ابن داود، فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: الهاكم التكاثر، يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت، او لبست فابليت، او تصدقت فامضيت. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، وعليها يعادي من لا علم له، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء، والزم الله قلبه اربع خصال: هما لا ينقطع عنه ابدا، وشغلا لا يتفرغ منه ابدا، وفقرا لا ينال غناه ابدا، واملا لا يبلغ منتهاه ابدا. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله عز وجل لا ينظر اليها وتقول يوم القيامة: يا رب اجعلني لادنى اوليائك نصيبا اليوم، فيقال: اسكتي يا لا شيء، اني لم ارضك لهم في الدنيا أرضاك لهم. ومن كلام القصص قيل لما اهبط آدم من الجنة الى الارض قال له: ابن للخراب ولد للفناء. وروي في اخبار آدم عليه السلام انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن

اكلها

قال لجبرئيل يدخل ذرية الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل اي شيء تريد يا آدم اريد ان اسمع ما في الجنة من الاغاني فجعل
للملك قال الملك لو تمكنت تريد ان تسمعه اهل القرآن اما على السرير ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار فقال نعم في هذا
يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليجيئن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر
بهم الى النار فقيل يا رسول الله امصلين قال نعم كانوا يصومون ويصلون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء
من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله
صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته
لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا قد خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا
من دار الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وروي
ان جبرئيل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما
وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وآله
احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من
يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا و
قصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى
الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء
وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله بذلك ثواب خمسين صديقا وروي
ان عيسى عليه السلام اشتد به المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ اليه فرفعت اليه خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها
امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده على راسه وقال الهي لكل شيء مأوى وما جعلت لي مأوى فاوحى الله اليه
مأواك في مستقر من رحمتي لازوجنك يوم القيمة مائة حوراء خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة آلاف عام يوم منها كعمر
الدنيا ولآمرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا احضروا عرس الزاهد عيسى بن مريم وقال عيسى عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف
يموت ويتركها ويأمنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ويل
لمن اصبحت الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل اوحى الله الى موسى عليه السلام مالك ولدار الظالمين انها ليست
لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدومه فوافوا
صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم
فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم
كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض
فقيل ما بركات الارض فقال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن
اصابة عينها وقال جابر بن عبد الله مر عيسى صلوات الله عليه بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين
ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسأل ربه فاوحى الله اليه
اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال

ما حالكم

وما قصتكم قال بتنا في عافية واصبحنا في هاوية قال وكيف ذلك قال لحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم
للدنيا قال كحب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم
من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني
معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال المسيح عليه السلام للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش
ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وروي ان ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله العضباء لا
تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقتها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان حقا على الله
ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على امواج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها
قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال ابو الدرداء
من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات ولبكيتم على انفسكم ولتركتم اموالكم بلا حارس لها ولا راجع اليها الا ما
لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون
فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين الله
ما فرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم تتناصحون في امر الدنيا ولا تتناصحون في امر الدين
لا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون
بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها املك بامركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل
منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان
البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاءكم به محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه
قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم انكم لتبيئون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير
من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصائب
وتقيمون عليها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا يتغير حالكم اني لارى الله قد تبرأ
منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل
ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله اراحني منكم والحقني بمن احب لو كان حيا لم يصابركم
فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله استعين على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلام
للحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معنى ذلك قيل شعر ارى رجالا
بادنى الدين قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين وقال
عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر بها تركك الدنيا ابر وقال صلى الله عليه وآله وسلم لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم
كما تأكل النار الحطب واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لا تركنن الى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي اشد عليك
منها ومر موسى برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه
مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا وقال علي عليه السلام من جمع ست خصال لم يدع للجنة
مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه و
عرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال رجل لعلي عليه السلام يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا فقال وما اصف لك من دار

من صح فيها ما أمن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب وقيل له
عليه السلام صف لنا الدنيا فقال اطول او اقصر فقال اقصر فقال حلالها حساب وحرامها عقاب وقال عليه السلام انما هي ست اشياء
مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء
يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات
المرأة وهي مبال في مبال واشرف المشمومات المسك وهو دم حيوان وان المرأة لتزين احسن شيء منها ويراد اقبح شيء منها اقول
مع ظرافة الخاصة من اهل البيت عليهم السلام في ذم الدنيا ما فيه بلاغ لقوم عابدين وحسبنا من مولانا امير المؤمنين عليه الصلوة
والسلام واهل بيته ما في كتاب نهج البلاغة من كلماته عليه السلام في هذا الباب وقد اسلفنا كلاما له عليه السلام فيه في كتاب العلم
من ربع العبادات عند ذكر علامات علماء الآخرة ومن الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وهو محزون فأتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الارض فقال يا محمد هذه مفاتيح خزائن الارض يقول لك ربك افتح وخذ
منها ما شئت من غير ان تنقص شيئا عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من
لا عقل له فقال له الملك والذي بعثك بالحق نبيا لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة حين اعطيت
المفاتيح وعنه عليه السلام قال مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجدي اسك ملقى على مزبلة ميتا فقال لاصحابه كم يساوي
هذا فقالوا لعله لو كان حيا لم يساو درهما فقال النبي صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله من هذا
الجدي على اهله وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان في طلب الدنيا اضرارا بالآخرة وفي طلب الآخرة اضرارا
بالدنيا فاضروا بالدنيا فانها احق بالاضرار وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما لي وللدنيا وما انا والدنيا
انما مثلي ومثلها كمثل الراكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتها ثم راح وتركها وعنه عليه السلام قال ما اعجب رسول الله صلى الله
عليه وآله شيء من الدنيا الا ان يكون فيها جائعا خائفا وعنه عليه السلام قال كان علي عليه السلام يقول انما مثل الدنيا كمثل الحية لين
مسها وفي جوفها السم الناقع يحذرها الرجل العاقل ويهوي اليها الصبي الجاهل وعنه عليه السلام قال كتب امير المؤمنين عليه السلام
الى بعض اصحابه يعظه اوصيك ونفسي بتقوى من لا تحل معصيته ولا يرجى غيره ولا الغنى الا به فان من اتقى الله جل وعز
وقوي وشبع وروي ورفع عقله عن اهل الدنيا فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه وعقله معاين الآخرة فاطفأ بضوء قلبه ما ابصرت عيناه
من حب الدنيا فقذر حرامها وجانب شبهاتها واضر والله بالحلال الصافي الا ما لا بد له منه من كسرة يشد بها صلبه وثوب
يواري به عورته من اغلظ ما يجد واخشنه ولم يكن له فيما لا بد له منه ثقة ولا رجاء فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الاشياء فجد
واجتهد واتعب بدنه حتى بدت الاضلاع وغارت العينان فابدل الله له من ذلك قوة في بدنه وشدة في عقله وما ذخر له
في الآخرة اكثر فارفض الدنيا فان حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب فتدارك ما بقي من عمرك ولا تقل غدا او بعد غد فانما
هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويف حتى اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة
الضيقة وقد اسلمهم الاولاد والاهلون فانقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال اعاننا الله
واياك على طاعته ووفقنا واياك لمرضاته وعن ابي جعفر عليه السلام قال قال علي بن الحسين عليهما السلام ان الدنيا قد ارتحلت
مدبرة والآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين
في الدنيا الراغبين في الآخرة الا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا من
الدنيا تقريضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت
عليه المصائب الا ان لله عبادا كمن رأى اهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن رأى اهل النار في النار معذبين شرورهم مأمونة وقلوبهم

محزونة

محزونة انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا اياما قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة اما الليل فصافون اقدامهم
تجري دموعهم على خدودهم وهم يجأرون الى ربهم يسعون في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء بررة اتقياء كأنهم القداح
قد براهم الخوف من العبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا فقد خالط القوم امر عظيم من
ذكر النار وما فيها وعن ابن شهاب قال سئل علي بن الحسين عليهما السلام اي الاعمال افضل عند الله تعالى فقال ما من
عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله افضل من بغض الدنيا وان لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا فاول
ما عصي الله به الكبر وهي معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية آدم وحواء حين قال الله تعالى لهما
كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فاخذا ما لا حاجة بهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيامة
وذلك ان اكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به اليه ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد اخاه فقتله فتشعب من ذلك
حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن
في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا رأس كل خطيئة والدنيا دنيايان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة
وعن جابر قال دخلت على ابي جعفر عليه السلام فقال يا جابر والله اني لمحزون واني لمشغول القلب قلت جعلت فداك وما شغلك
وما حزن قلبك فقال يا جابر انه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه يا جابر ما الدنيا وما عسى ان
تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته او ثوب لبسته او امرأة اصبتها يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم فيها
ولم يأمنوا قدومهم الآخرة يا جابر الآخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة وكان المؤمنين
هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة لم يصمهم عن ذكر الله تعالى ما سمعوا باذانهم ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة باعينهم ففازوا
بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم واعلم يا جابر ان اهل التقوى ايسر اهل الدنيا مؤونة واكثرهم لك معونة تذكر فيعينونك
وان نسيت ذكروك قوالون بامر الله قوامون على امر الله قطعوا محبتهم بمحبة ربهم ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم ونظروا الى الله تعالى والى
محبته بقلوبهم وعلموا ان ذلك هو المنظور اليه لعظيم شأنه فانزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه او كمال وجدته في منامك
فاستيقظت وليس معك منه شيء اني انما ضربت لك هذا مثلا لانها عند اهل اللب والعلم بالله كفيء الظلال يا جابر فاحفظ
ما استرعاك الله من دينه وحكمته ولا تسألن عما لك عنده الا ما له عند نفسك فان تكن الدنيا على غير ما وصفت لك فتحول
الى دار المستعتب فلعمري لرب حريص على امر قد شقي به حين اتاه ولرب كاره لامر قد سعد به حين اتاه وذلك قول الله تعالى
وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين وعنه عليه السلام قال مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا
كان ابعد لها من الخروج حتى تموت غما وعن عبد الله بن القاسم عن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا اراد الله بعبد خيرا
زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها ومن اوتيهن فقد اوتي خير الدنيا والآخرة وقال ما طلب احد الحق
بباب افضل من الزهد في الدنيا وهو ضد لما طلب اعداء الحق قلت جعلت فداك مماذا قال من الرغبة فيها وقال الا من صبار
كريم فانما هي ايام قلائل الا انه حرام عليكم ان تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا قال وسمعت ابا عبد الله عليه السلام
يقول اذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله وكان عند اهل الدنيا كانه قد خولط وانما خالط القوم حلاوة حب الله فلم يشتغلوا
بغيره قال وسمعته يقول ان القلب اذا صفا ضاقت به الارض حتى يسمو وعنه عليه السلام قال جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه
الزهد في الدنيا ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي من اكل الدنيا وعنه عليه السلام
من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه من الدنيا سالما الى دار
السلام وعنه عليه السلام قال مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله وعن ابي ابراهيم عليه السلام قال

ابو ذر رحمه الله من لقي حتى الدنيا ستر عيد عنقه من الشعرا فتدعى باحدهما او القى الاخرى وبعد خلق الصوف اتزر باحدهما
وارتدى بالاخرى وعز الرضا عليه بشدة قال عيسى بن مريم للحواريين يا بني اسرائيل لا تاسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا ياسى اهل
الدنيا على ما فاتهم من دينهم اذا اصابوا دنياهم فصل قال ابو حامد في الاثار قال لقمن لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير
فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شي
من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك نفسك
في اكلة وصم عن الدنيا وافطر على الاخرة فان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الزهاد كيف ترى الدهر قال يخلق
الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية ويبعد الامنية قال فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفي ذلك قيل شعر
ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ، فسوف لعمري عن قريب يلومها ، اذا ادبرت كانت على المرء حسرة ، وان اقبلت كانت كثيرا همومها ، وقال بعض
الحكماء كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على
وجل اما بنعمة زائلة او بلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما ان
تزيد واما ان تنقص وقال اخر اما ترون النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان
فلا تسرق من حانوته فيجي في طلبك ويأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة من خزف يبقى لكان ينبغي
لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني
يوقف العبد يوم القيمة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا
وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفي ذلك قيل ، وما المال والاهلون الا ودائع ، ولا بد يوما ان
ترد الودائع ، وزار رابعة اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم
ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن ادهم كيف انت فقال شعرا ، نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع ، فطوبى لعبد اثر الله ربه ، وجاد بدنياه لما يتوقع ، وقيل شعر ، ارى طالب الدنيا وان طال عمره
ونال من الدنيا سرورا وانعما ، كبان بنى بنيانه فاقامه ، فلما استوى ما قد بناه تهدما ، وقيل ايضا ، هب الدنيا تساق اليك
عفوا ، اليس مصير ذلك الى انتقال ، وما دنياك الا مثل فيء ، اظلك ثم آذن بالزوال ، وقال لقمن لابنه يا بني بع دنياك باخرتك
تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم
ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله جعل الدنيا ثلثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر
فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب
بمعاشرتهم وقيل شعر يا خاطب الدنيا الى نفسها ، تنح عن خطبتها تسلم ، ان التي تخطب غدارة ، قريبة العرس من المأتم ، وقال
ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل ، وما الناس الا هالك
وذو نسب في الهالكين عريق ، اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ، له عن عدو في ثياب صديق ، وقيل ايضا ، يا راقد الليل مسرورا باوله
ان الحوادث قد يطرقن اسحارا ، افنى القرون التي كانت منعمة ، كر الجديدين اقبالا وادبارا ، يا من يعانق دنيا لا بقاء لها
يمسي ويصبح في دنياه سفارا ، هلا تركت من الدنيا معانقة ، حتى تعانق في الفردوس ابكارا ، ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها
فينبغي لك ان لا تامن النارا ، وقال ابو امامة الباهلي لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث
نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلث
اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله من هذا تبع وقيل اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء

يعني الدنيا قال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم
يرجعوا وقال لقمن لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الاخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب منك الى دار
تباعد عنها وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب
الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رجل من نجران عمره مائتا سنة
فساله عن الدنيا كيف وجدتها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا
المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له معاوية سل ما شئت قال عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه
قال لا املك ذلك قال لا حاجة لي اليك وقال بشر من سال الله الدنيا فانما يساله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم
ما في الدنيا شي يسرك الا وقد الزق به شي يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن ادم من الدنيا الا بحسرات ثلث انه لم يشبع مما جمع
ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا
وقال ابو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والاخرة فاما مؤنة الاخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما الدنيا فانك لا تضرب بيدك
الى شي منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليها وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل والاخرة لمن هي قال لمن طلبها
وقال ابراهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه
في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي تحبه في الاخرة كانك تحبه في اليقظة وقال يحيى بن معاذ العقلاء ثلثة من ترك الدنيا
قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا يبلغ من شؤمها ان تمنيك لها يلهيك
عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقيل من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الاخرة
صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع بها ومن اقبل على الله احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها خطب علي عليه السلم يوما فقال في خطبته اعلموا انكم ميتون ومبعوثون
من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر
موصوفة فكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها بينا اهلها في رخاء
وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما اهلها
فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله
انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد اثارا
فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية وديارهم خالية واثارهم عافية واستبدلوا بالقصور
المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين
اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم
من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحيوة
امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة
هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم
في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو تناهت الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل
بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب
والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله يقول ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى

ونفوح الركابة بين يدي الجبرية مشفقين فيما فيه جعلنا الله واياكم على البر بكا ابرو نسيين الاولياء ثم رواحها ثم خرجوا الى ايام
دار المقامة من فضله انه حميد مجيد وقال عليه السلام ايضا في خطبة اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان لم
لا تحبون تركها المبلية لاجسامكم وان كنتم تحبون تجديدها وانما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا طريقا فكانهم قد قطعوه
وافضوا الى علم فكانهم قد بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا وطالب
يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعمائها فانها الى زوال عجبت لطالب الدنيا
والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه **اقول** ومن الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال فيما ناجى الله تعالى به موسى عليه السلام
يا موسى لا تركن الى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها ابا واما يا موسى لو وكلتك الى نفسك لتنظر لها اذا لغلب
عليك حب الدنيا وزهرتها يا موسى نافس في الخير اهله واستبقهم اليه فان الخير كاسمه واترك من الدنيا ما بك الغنى عنه
لا تنظر عينك الى كل مفتون بها وموكل الى نفسه واعلم ان كل فتنة بدوها حب الدنيا ولا تغبط احدا بكثرة المال فان مع كثرة
المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق ولا تغبطن احدا برضاء الناس عنه حتى تعلم ان الله راض عنه ولا تغبطن مخلوقا بطاعة
الناس له واتباعهم اياه على غير الحق هلاك له ولمن تبعه وعنه عليه السلام قال فيما وعظ لقمان ابنه يا بني ان الناس قد جمعوا
قبلك لاولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له وانما انت عبد مستاجر قد امرت بعمل ووعدت عليه اجرا فاوف عملك
واستوف اجرك ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع اخضر فاكلت حتى سمنت فكان حتفها عند سمنها ولكن اجعل
الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع اليها اخر الدهر اخربها ولا تعمرها فانك لم تؤمر بعمارتها واعلم
انك ستسال غدا اذا وقفت بين يدي الله تعالى عن اربع شبابك فيما ابليته وعمرك فيما افنيته ومالك مما اكتسبته وفيما
انفقته فتاهب لذلك واعد له جوابا ولا تاس على ما فاتك من الدنيا فان قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه وكثيرها لا يؤمن
بلاؤه فخذ حذرك وجد في امرك واكشف الغطاء عن وجهك وتعرض لمعروف ربك وجدد التوبة في قلبك واكمش في
فراغك قبل ان يقصد قصدك ويقضى قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد وعنه عليه السلام قال كان امير المؤمنين عليه السلام
يقول في خطبته يا مبتغي العلم كان شيئا من الدنيا لم يكن شيئا الا ما ينفع خيره ويضر شره الا من رحم الله يا مبتغي العلم
لا يشغلك اهل ولا مال عن نفسك انت يوم تفارقهم كضيف بت فيهم ثم غدوت عنهم الى غيرهم والدنيا والاخرة كمنزلة تحولت
منه الى غيره وما بين الموت والبعث الا كنومة نمتها ثم استيقظت منها يا مبتغي العلم قدم لمقامك بين يدي الله تعالى فانك
مثاب بعملك كما تدين تدان يا مبتغي العلم **قال** ابو حامد قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا في مهل وكونوا من الله على وجل ولا
تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم باماتيها وتزينت
لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت
ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها
يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال
فلان عليل او مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل وهل الى الطبيب من سبيل فيدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم
يقال فلان اوصى وماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فلا يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك
وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك
فلان وهذا اخوك فلان ومنعت الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك
من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك

واسترا

واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا
وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع افة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تاتي سلطانه
فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشيء هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم هي الاخذة ما تعطي
الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالاعطاء الا
اذا بسطتها بالاسترداد تعقد التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره غدا بالتراب سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي
تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وقال وفي كتاب بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام الى فرعون
فقال لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما متع
به منها فانما هي زهرة الحيوة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته
تعجز عنها لفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود
الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة وما ذلك لهوانهم
علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى تنبت في قلوبهم
فتظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون
ورجاؤهم الذي اياه يامارن ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم
قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر لهم يوم القيمة وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس
اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويتخرمك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام
بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم ياتي عليك واستثقلت
ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبه امكن السلو عن مرارة الدنيا ووجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا
عركه الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها وظاهر افعالها وما ياتي به من العجائب اكثر مما يحيط به الواعظ فنسال الله الارشاد
الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان
ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يات فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته واحداثه تتوالى
على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير
والى الله تصير الامور وخطب بعضهم فقال ايها الناس ان كنتم خلقتم لامر فان كنتم تصدقون به فانكم لحمقى وان كنتم تكذبون به
فانكم لهلكى وقيل لحكيم لم لا تتامل اهل العقل والعلم والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان الدنيا فاتركها لا ابا لها
فانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قد زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها وكان اكله
قصدا وقلة فكلا اخذا منها ما يكفي وتركا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه وما سد
الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الاخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا
بها الاخرة ونظروا الى الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرحلون
اليها بابدانهم صبروا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق الله مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم **باب**
صفة الدنيا بالامثلة اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر اليها فتراها
ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها
وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر

الظاهر بل البصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند بعضهم انشد وقال * احلام نوم او كظل زائل * ان اللبيب بمثلها لا يخدع * وكان
الحسن بن علي عليهما السلم يتمثل بهذا البيت * يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها * ان اغترارا بظل زائل حمق * وكان يروى ان
اعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه
وقام وهو يقول * الا انما الدنيا كظل بنيته * ولا بد يوما ان ظلك زائل * ولذلك قيل * وان امرؤ دنياه اكبر همه
لمستمسك منها بحبل غرور * مثال اخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها عند فلتاتها تشبه خيالاتها
اضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا حلم واهلها عليها مجازون معاقبون وقال يونس بن عبيد
ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا
ليس في ايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لحكيم اي شيء اشبه بالدنيا فقال احلام النيام مثال اخر للدنيا في عداوتها
لاهلها واهلاكها بنيها اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك اخرا وهي كامرأة تتزين
حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روي ان عيسى عليه السلم كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال
لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلم بؤسا
لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر مثال اخر للدنيا في
مخالفة ظاهرها باطنها اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي شبه عجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا
على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها
وعن ابن عباس قال يؤتى بالدنيا يوم القيمة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق
فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها وبها تقاطعتم الارحام
وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الحقوا بها
اتباعها واشياعها وقال الفضيل بن عياض بلغني ان رجلا عرج بروحه الى السماء فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل
زينة الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شيء رآه الناس واذا اقبلت كانت اقبح شيء
عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت من انت
قالت انا الدنيا مثال اخر للدنيا وعبور الانسان بها اعلم ان الاحوال ثلثة حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل
وحالة لا تكون فيها تشاهد الدنيا وهي ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي
ايام حيوتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له
شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن الى الدنيا ولم يبال كيف انقضت ايامه في
ضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ورأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض اصحابه يبني بيتا
من جص فقال ارى الامر اعجل من هذا وانكر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلم حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها
مثال واضح فان الحيوة الدنيا معبر الى الاخرة والمهد هو الميل الاول على رأس القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة
محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل
عنها وكيف كان فلا بد له من العبور فالبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان
مثال اخر للدنيا في لين مأخذها وخشونة مسلكها اعلم ان اوائل امور الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة

حفظ

حفظها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فان الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي عليه السلم الى سلمان
رضي الله عنه بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع
همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور اشخصته عنه مكروه
والسلم مثال اخر للدنيا وتعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل
الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا يبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا
بابدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا من اعظم
المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتزق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا يقتضي علاقة وظلمة في
القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال عيسى صلوات الله عليه بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام
فلا يلتذ به من شدة المرض كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول
لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ
بحق اقول لكم ان الزق اذا لم يتخرق او يقحل اوشك ان يكون وعاء العسل كذلك القلوب اذا لم تخرقها الشهوات او يدنسها
الطمع او يقسيها النعيم فسوف تكون اوعية للحكمة وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة
وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله مثال اخر لما بقي من الدنيا
وقلته بالاضافة الى ما سبق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي
متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع مثال اخر لتادية علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك قال عيسى
عليه السلم مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا الى ان يقتله مثال اخر لمخالفة اخر الدنيا اولها
ولنضارة اوائلها وخبث عواقبها اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات
الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ
طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها
والتأذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهد فان من نهبت داره واخذ اهله وماله فتكون مصيبته والمه وتفجعه
في كل ما فقد بقدر لذته فيه وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقدان ادهى وامر
وما الموت معنى الا فقد ما في الدنيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه وآله قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك
وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله عز وجل ضرب
مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى ضرب مطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم
للدنيا مثلا فانظر الى ما يخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه قبل قد رايتم يطيبونه بالافاوية والطيب ثم يرمون به حيث رأيتم
وقال الله تعالى عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه قيل لبعضهم انا نستحي ان نقضي حاجته فينظر الى ذلك
قال نعم ان الملك ليقول له انظر الى ما بخلت به انظر الى ما صار مثال اخر في نسبة الدنيا الى الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه مثال اخر للدنيا واهلها في
اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الاخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم قد ركبوا
فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا
في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها

لاراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى انوارها وازهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة
الغريبة فصار يلحظ من تربتها احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش
السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا
حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها
جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ضيقا وصارت ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذها ولم يقدر على
رميها ولم يجد مكانا لوضعها فحملها في السفينة على عنقه وهو متاسف على اخذها وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج
في الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منها حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل تلك الثمار واستشمام تلك
الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا
منفك عن شوك ينشب بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه
ويهتك عورته ويمنعه من الانصراف لو اراده فلما بلغه نداء السفينة انصرف بعضهم مثقلا بما معه ولم يجد في المركب
موضعا فبقي على شاطئ البحر حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه
على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب
بثقل ما اخذ من الازهار والحجارة فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث
ان ذبلت تلك الازهار وكمدت الوان تلك الاحجار فظهر نتن روائحها فصار مع كونه مضيقا عليه متاذيا بنتنها ووحشتها فلم يجد
حيلة الا ان القاها في البحر هربا منها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه الاسقام بتلك الروائح
فبلغ سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتاذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع
اولا وجد المكان الاوسع ووصل سالما الى الوطن فهذا مثال اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم
موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امورهم وما اقبح من يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهي الذهب والفضة
وهشيم النبت وهي زينة الحيوة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالخوف و
الحزن عليه وهذا هو حال الخلق كلهم الا من عصمه الله عز وجل **مثال آخر** لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم بقول الله تعالى
في تحذيره اياهم غوائل الدنيا روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم
سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد
ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينا هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه ماء فقالوا ان هذا قريب عهد بريف وما
جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال على ما انتم فقالوا على ما ترى قال ارايتم ان هديتكم
الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم
بالله لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل
قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا ان لن نجده
وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه
شيئا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا بين
اسير وقتيل **مثال آخر** لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ
دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين

ليشمه

ليشمه ويتركه لمن بعده لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه وظن انه قد وهب ذلك له فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع
منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم انها
دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافر بالعواري ولا يصرفون اليها
كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه امثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها **اقول** وههنا مثال آخر اورده شيخنا
الصدوق رحمه الله في كتاب اكمال الدين واتمام النعمة عن بعض الحكماء لا باس بايراده وهو هذا مثل الانسان في اغتراره
بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات كمثل شخص معلق
في بئر مشدود وسطه بحبل وفي اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه وفي اعلى
ذلك البئر جرذان ابيض واسود لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئا فشيئا ولا يفتران عن قرضه آنا من الآنات وذلك الشخص
مع انه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل آنا فآنا قد اقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه
واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك فيه ملتذ بما اصاب منه مخاصم لتلك الزنابير عليه قد صرف باله
باجمعه الى ذلك العسل غير ملتفت الى ما فوقه وما تحته فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر والثعبان الفاتح فاه هو الموت والجرذان
الليل والنهار القارضان للاعمار والعسل المختلط بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام والزنابير
هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها وما اشد انطباق هذا المثل على الممثل له فنسال الله الهداية والبصيرة ونعوذ بالله
من الغفلة والغواية **بيان** حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة
ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد ان نبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها لكونها عدوة
قاطعة لطريق الله ما هي فنقول دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك والقريب الداني منها يسمى دنيا وهي
كل ما قبل الموت والمتراخي المتاخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في
عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة
اقسام **القسم الاول** ما يصحبك في الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله
وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه صلى الله عليه وآله واعني بالعمل
العبادة الخالصة لوجه الله وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في
لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا
بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته ويستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى
قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع
والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من الاشتقاق من الدنو
ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني
في الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من
الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا
نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا **القسم الثاني** وهو المقابل للقسم الاول على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل
ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورة والحاجات الداخلة في جملة
الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري

والخيول والمواشي والقصور والدور المشيدة ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة
وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل **القسم الثالث** وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال
الاخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتاتى للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل
الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على
قصد الاستعانة على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون
الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء
القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله وحبه لله فاعلم ان صفاء القلب وطهارته لا يحصل الا بالكف
عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة
الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات واما طهارة القلب
عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الخبر ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا
جاءه العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس والحب
فهما من المسعدات وهما موصلان للعبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل
الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق
تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه
مسرورا سالما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد
غصبت منه وحيل بينه وبينها وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليها وقد قيل في ذلك ما حال من كان له واحد
يؤخذ منه ذلك الواحد وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذن سالك طريق الاخرة هو
المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها
ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بالقوت والملبس والمسكن ويحتاج كل واحد
الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا
في حقه مزرعة الاخرة وان اخذ ذلك على قصد التنعم وبحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا
ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الله في الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين
الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيمة ايضا عذاب
فمن نوقش في الحساب عذب فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وقد قال
ايضا حلالها عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة
وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب فقس به حالك في الدنيا
اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنياوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة
لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمها وتنقطع الدهور
والدهور دون غايتها وكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر او بالنظر الى خضرة او شربة ماء بارد فهو ينقص
من حظه في الاخرة اضعافه والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ
فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته

اوز

اتم واقوى كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلم وضع راسه على حجر لما نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت
في الدنيا وحتى ان سليمان عليه السلم في ملكه كان يطعم الناس من لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا
الطريق امتحانا وشدة فان الصبر على لذائذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا روي ان الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وآله
وسلم فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم
الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذيذ الفواكه ويلزمه
الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فليس
من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فاقول الاشياء ثلثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي
والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله
ويمكن ان يجعل لغير الله وهي ثلثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فهذه الثلث اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر
الله واليوم الاخر فهي لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة
او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال او الحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان
كان يظن بصورته انه لله ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناه لله وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به
بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله بمعناه وان
كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وآله وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان
ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد
فالدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هي المأوى واعلم ان مجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي تحصل منها هذه الامور الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب فقد عرفت ان كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد
منه من مسكن وملبس فهو لله ان قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة
يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن
وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه
والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى
ان اويس القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكانت تاتي عليهم السنة والسنتان
والثلث لا يرون له وجها وكان يخرج اول الاذان ويأتي الى منزله بعد العشاء الاخرة وكان طعامه ان يلتقط النوى وكلما
اصاب حشفة خباها لافطاره فان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى بثمنه ما يقوته
وكان لباسه مما يلتقط من المزابل فيلتقط قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها وكان
لباسه وكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف
ان تدموا عقبي فيحضر وقت الصلوة ولا اصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امره فقال اني
لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه ولما ولي عمر بن الخطاب قال يا ايها الناس من كان منكم من اهل العراق فليقم فقاموا فقال اجلسوا

الا من كان من اهل الكوفة فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجلا
واحدا فقال له عمر اقرني انت فقال نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما ذاك تسأل عنه يا امير المؤمنين
والله ما فينا احمق منه ولا اجن منه ولا اوحش منه ولا ادنى منه فبكى عمر ثم قال ما قلت ما قلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت
الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويسا القرني واسأل عنه حتى سقطت عليه فوجدته جالسا على شاطئ الفرات نصف
النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الرأس كث اللحية عليه ازار
من صوف ورداء من صوف متغير اللون كريه الوجه مهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد علي ونظر الي فقلت حياك
الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني
العبرة من حبي اياه ورقتي عليه اذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى ثم قال وانت حياك الله يا هرم بن حيان كيف
انت يا اخي ومن دلك علي قال قلت الله فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين عرفني ولا
والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رأيتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير عرفت
روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون
بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن
رسول الله صلى الله عليه وآله بحديث اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن لي
معه صحبة بابي وامي رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن رأيت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو ما بلغك ولست
احب ان افتح هذا الباب على نفسي ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا في نفسي شغل شاغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت
يا اخي اقرأ علي آية من القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله حبا شديدا
قال فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول
ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه ثم قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما
الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن
حيان مات ابوك حيان ويوشك ان تموت فاما الى الجنة واما الى النار ومات ابوك آدم وماتت امك حواء ومات نوح
ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وآله وسلم
رسول رب العالمين ومات ابو بكر ومات عمر ثم قال واعمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال قد نعاه الي ربي
ونعى الي نفسي ثم قال انا وانت في الموتى كأن قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم دعا بدعوات
خفيات ثم قال هذه وصيتي اليك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت الي نفسي ونفسك عليك
بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح لاهل ملتك جميعا واياك ان تفارق الجماعة
قيد شبر فيفارقك دينك وانت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبك فيك
وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان
وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له واجعله لما اعطيته من نعمتك من
الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا اراك
بعد اليوم رحمك الله لا تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيا

فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم ارك ولم ترني فاذكرني وادع لي فاني سأذكرك وادعو لك ان شاء الله
انطلق انت ههنا حتى انطلق انا ههنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقته فبكى وابكاني وجعلت انظر في قفاه
حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة ابناء
الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان ذم الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا ما اظلته
الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما اريد به الله عز وجل مما يؤخذ
بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله عز وجل ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف
انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وحفظ الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم
يحنث في يمينه ولم يكن مشتغلا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس يقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما يبقى قوته على
سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد لذة البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان منحرفا
عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة ايام طاويا فسمعت في الليلة
الثامنة مناديا وانا بين اليقظة والنوم يقول الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله عين قلبه فهذا
بيان حقيقة الدنيا في حقك بيان ماهية الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم
ومصدرهم ومقصدهم اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور
قد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها
قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر
وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما المعادن فيطلبها
الآدمي للآلات والاواني كالنحاس والرصاص او للنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما النبات فيطلبها
الآدمي للاقتيات وللتداوي واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب لحومها للمآكل وظهورها
للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الآدمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان
ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين
فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليواقيت
والخيل المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد
علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا
ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة
وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر فهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها والعلاقة الثانية
مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق
مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم ومآلهم ومنقلبهم لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف
نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى
الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد
في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها

الوان الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة و
بقا هو في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده
وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الاخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا
بالضرورة كما لا يدخل الى بيت الماء الا للضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البدن وبين اخراجه من البدن واكثر ما
شغل الناس عن الله هو البطن فان القوت ضروري وامر الملبس والمسكن اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور و
اقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا
وتتابعت اشغال الدنيا واتصلت بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها
ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك
ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال
التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلثة القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء
والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لذلك ولدفع اسباب الهلاك عن الاهل والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن
والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق الله ذلك للبهايم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر
والبرد لا يؤثر في ابدانها فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فيستغني عن اللباس والانسان
ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوايل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية
والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من امر الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة فللمطعم
والرعاية للمواشي والخيل وهي ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلق الله من صيد او معدن او حشيش
او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير
صنع ادمي وكذلك ياخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة ادمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات
واشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات والات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والالات انما تؤخذ
اما من النبات وهي الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلثة انواع اخر
من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الالات ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيفما كان وبالحداد
كل من عمل في جواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس واما احاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعني
كل عامل في جلود الحيوانات واجزايها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع
مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى
وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد
لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش
كذلك ما لم تجتمع طايفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج فيها
الى الالات ويحتاج الالة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر
الى حراثة القطن والات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع
ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتاذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد اهل كل بيت به
وبما معه من الالات والاثاث والمنازل لدفع الحر والبرد ولدفع اذى الجيران من اللصوصية وغيرها ولكن جميع المنازل قد



تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد
لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في البلاد والمنازل وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث بينهم رياسة وولاية
الزوج على الزوجة وولاية الابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى القوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى
الخصومة بخلاف الولاية على البهايم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت واما المراة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين
هذا في المنزل واما اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا و
كذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة
ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بمرض او عمى او هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضايعا لهلك ولو وكل
تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة
بالاجتماع صناعات اخر فمنها صناعة المساحة التي بها يعرف مقادير الارض ليمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية
لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوسط بينهم لفصل الخصومة ومنها الحاجة الى الفقه
وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود
الله في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز
والعلم والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعات اخر ويحتاجون الى المعايش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل
اهل البلد بالحرب مثلا مع الاعداء تعطلت الصناعات واذا اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت
تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الخلق فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم وارزاقهم الاموال الضايعة التي لا مالك
لها ان كانت او تصرف اليهم الغنايم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال
المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة
الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون جابي جمع كننده
والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهم الفارض للعساكر وهذه الاعمال
لو تولاها عدد لا تجمعهم رابطة انخرم النظام فحدثت الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا و
لكل واحد ما يليق به ويراعي النصفة في اخذ الخراج واعطايه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات
الحرب ونصب الامير والقايد لكل طايفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فحدث من ذلك بعد الجند الذين هم
اهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالية ويدبرهم الحاجة الى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء
ايضا يحتاجون الى المعيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فحدثت الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع
الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلث طوايف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثاني الجندية الحماة
لهم بالسيوف والثالث المترددون بين الطايفتين في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف
ابتدا الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة
ابواب اخر وهكذا يتناهى الى غير حد محصور وكانها هاوية لا نهاية لعمقها ومن وقع في مهواة سقط منها الى اخرى و
هكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة عن اعيان الارض
وما عليها مما ينتفع بها واعلاها الاغذية ثم الامكنة التي ياوي الانسان اليها وهو الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها
للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والاته ثم الات الالات وقد يكون في الالات ما هو حيوان

كالكلبة للصيد والبقرة للحراثة والفرس للحرب ثم تحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس
فيها آلة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى
الفلاح فيحتاج احدهما ان يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من
الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى الآلة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الآلة من النجار بالطعام
ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فيتعوق الاغراض فاضطرا الى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد بها
صاحبها ارباب الحاجات والى ابيات يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريه منه صاحب الابيات ليترصد به ارباب الحاجات
فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها انتظارا
لارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم تحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس
يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا
يوجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل
وباعثهم عليه حرص جمع المال فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار لاغراض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي لا
محالة يأكله غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد
بل جميع امور الدنيا انتظم بالغفلة وخساسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك
لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي لا يقدر الانسان على حملها فتحتاج الى دواب
تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء ايضا نوعا
من الاكتساب ايضا ثم تحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقدين فان من يريد ان يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري
ان المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب
هذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من اعيان
الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب
والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة وهكذا
تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه الحرف
لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به او يمنعه منه مانع فيبقى عاجزا
عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان يأكل مما يسعى فيه غيره فتحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ
يجمعهما انهما يأكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون من اللصوص ويحفظون منهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم
الى استنباط الحيل والتدبيرات اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون في يده شوكة وقوة فيجتمعون ويكاثرون
ويقطعون الطرق كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب او التسلق عند انتهاز فرص
الغفلة واما بان يكون طرارا او سلالا او غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الافكار المصروفة الى استنباطها
واما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره فقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى شيئا فافتقروا الى حيلة
في استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم في البطالة فاحتالوا بالتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم
بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان
تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سببا للرحمة وجماعة يلتمسون اقوالا واعمالا يتعجب الناس منها حتى ينبسط

قلوبهم

قلوبهم عند مشاهدتها حتى يسخو برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك
قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة مثل الزوايج والعجائب وقد يكون بالاشعار الغريبة او الكلام المنثور
المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تأثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب
الصحابة وفضائل اهل البيت عليهم السلام او الذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق وما
يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذي يخيل بائعه انها ادوية فيخدع بها الصبيان والجهال
وكاصحاب القرعة والفال والزجر من المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤوس المنابر اذا لم يكن وراءهم
طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام او اخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنبط
بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت و
الكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآلهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد
ان كدرتها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة اوجه فطائفة غلبهم
الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكتسب القوت
ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكتسب حتى نأكل فيأكلون ليكتسبوا ويكتسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين
ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني
فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا الامر وهو ان ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل
ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة ان يقضي وطره من شهوات الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء طائفة نسوا
انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة يأكلون كما تأكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك
فقد ادركوا غايات السعادات فشغلهم ذلك عن الله واليوم الآخر وطائفة ظنوا ان السعادة في كثرة المال
والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون
في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم
وفي ذلك دأبهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون
للجامع تعبها ووبالها وللآكل لذتها وحسابها ثم ان الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك في اشباههم وامثالهم
ولا يعتبرون وطائفة ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسن بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة
فهؤلاء يتعبون في كسب المعايش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس
الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة
ويظنون ان ذلك هو السعادة فهمتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة
في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير لهم فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب
الولاية وتقلد الاعمال السلطانية لينفذوا امرهم بها على طائفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت
لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب المتغافلين من الناس
فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم ووراء هؤلاء طوائف
يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا واضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس
والمسكن فنسوا ما تراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم اوائل اسبابها الى اواخرها وتداعى بهم

الصادر منهم لم يفهم الترقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض
في شغل وعمل وحرفة الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت
والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة و
انصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل
الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه فهذا شان المنهمكين
في اشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان فلم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا
حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة وان الآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء
تعبد في الدنيا او لم يتعبد فرأوا ان الصواب في ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من عباد
الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة
اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع
الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة فشددوا حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم
مرض وانسد عليه طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس
لا اصل له فوقع في الالحاد والزندقة وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه
عصيان عاص ولا يزيده عبادة عابد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة فطووا بساط الشرع والاحكام
وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد وظنت طائفة اخرى ان المقصود
من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد الى معرفة الله فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصال يستغني عن الوسيلة
والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله فاذا حصلت المعرفة ان يمتهنوا بالتكاليف وانما
التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة وخيالات فاسدة يطول احصاؤها الى ان يبلغ
نيفا وسبعين فرقة واما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية. اما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد
واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة
بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق
من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما
يحفظ به من اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله
بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا
يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا الفرقة الناجية **اقول** وقد عرفت معنى الفرقة
الناجية في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات **قال** ابو حامد وقد كانوا على المنهج القصد وعلى
سبيل فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون
الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور افراط وتفريط بل كانوا بين ذلك قواما وذلك هو العدل
والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله عز وجل كما سبق ذكره في مواضع والله المستعان
ولا رب سواه وصلى الله على رسوله وخير خلق الله محمد وآله اجمعين الطيبين الطاهرين الخيرين وعلى

اصحابه المنتجبين الى يوم الدين. هذا آخر كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء
الاحياء ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب ذم المال. والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا. وصلى الله
على حبيبه وصفيه محمد وآله الاطهار ابد الآبدين ودهر الداهرين

## كتاب ذم المال وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال وردّدهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلوة على محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم كثيرا اما بعد فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى لاحد عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهو لا يخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة اذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده صفة الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحديهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي الناس او تشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان بحكم البخل والشح وانفاق واحديهما مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرحه في فصول وهي اربعة عشر فصلا وهي بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم بيان ذم الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر

**بيان ذم المال وكراهة حبه**

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم

الخاسرون

الخاسرون وقال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية وقال تعالى الهيكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وآله هلك الاكثرون الا من قال به هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك اشر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وآله وسلم سيأتي بعدكم قوم يأكلون اطايب الطعام والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك امامك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال صلى الله عليه وآله اخلاء ابن آدم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فماله والذي يتبعه الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون لعيسى ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما عندي والمدر سواء وكتب سلمان الى ابي الدرداء اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور وكل ما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الآن الاخبار الواردة في المال خاصة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وروي انه وضع عيسى عليه السلام درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال ايضا مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله وقيل ما اعز الدرهم احد الا اذله الله وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك ان يعيذك الله مني فابغض الدينار والدرهم وذلك لان الدينار والدرهم هي الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل اني وجدت فلا تظنوا غيره ان التورع عند هذا الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان تقاك تقوى المسلم وقال غيره لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه او جبين لاح فيه اثر قد قلعه ولدى الدرهم فانظر حبه او ورعه

**بيان**

مدح المال والجمع بينه وبين الذم اعلم ان الله سبحانه قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية الآية وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال
اذ لا يمكن الوصول اليها الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال صلى الله عليه وآله كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على
وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه
وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما
وصفه هذا فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرنا
في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الآخرة
التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اكرم
الناس واكيسهم فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادات لا تنال الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي
الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر
الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة والخارجة اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم
والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب سعادتها
وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء
والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن
تكميل النفس وتزكيتها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو
ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته
ومقصده استعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل الغرض محمودا في حقه فاذا
المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة
الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم
فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد في الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات
القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء عليهم السلام
من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال
اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واستعاذ ابرهيم صلى الله عليه فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعنى بها
هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان يعتقد الالهية في شيء من هذه الحجارة وانما
معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس
ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل من كان عبدا لغير الله فهو عابد غلط
وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب
النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار **بيان** تفصيل آفات المال وفوائده اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق
ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شرها ويستدر من خيرها **اما**
**الفوائد** فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك

لما انكبوا على طلبها واما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة انواع **النوع الأول** ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة
على عبادة اما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل بهما الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير
محروم عن فضلهما واما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه
الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ
الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل فيها التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ
الدنيا فقط **النوع الثاني** ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما
الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف
في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراها فان هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد
الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع
المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات
واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب
السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهذا ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية ايضا قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ما وقى المرء به عرضه كتب له به صدقة وكيف لا يكون كذلك وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة والاحتراز
عما يتولد من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة واما الاستخدام فهو ان الاعمال
التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة
بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام و
طحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فانت مغبون
اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره
خسران **النوع الثالث** ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات
ودور المرضى ونصب الجباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت
المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق
بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والا
والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال في الحظوظ الدنيوية **واما الآفات** فدينية ودنيوية
اما الدينية فثلاثة **الاولى** انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن
العصمة ان لا تقدر ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته اليها فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت
الداعية والمال نوع من القدرة تحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في
اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء **الثانية** انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات
فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما يقدر عليه سليمان عليه السلام
في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض
الى البعض فاذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على الكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراءاة والمداهنة والكذب
والنفاق وسائر الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج

الى الناس فلابد ان يتملقهم ويتواضع لهم ويطلب رضاهم فلن يسلم الانسان من الامر الاول مع مباشرة المحظورات فلا يسلم من
اصلا ومن الحاجة الى الخلق يتولد العداوة والصداقة ويبتني عليه الحسد والحقد والريا والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر
المعاصي التي يختص بالقلب واللسان ولا يخلو عن التعدي ايضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شوم المال والحاجة الى حفظه
واصلاحه الثالث وهو الذي لا ينفك عنه احد وهو ان يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله
فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلم في المال ثلث افات ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله قال يضعه في غير حقه
فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها
ذكر الله تعالى والتفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته
وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في
العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره
في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز
تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس
عنه واودية افكار الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة الافات الدينية سوى ما يقاسيه
ارباب الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال و
كسبها فاذن ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وافات بيان ذم الحرص والطمع
ومدح القناعة واليأس عما في ايدي الناس اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا
منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان
يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره
ولا يشغل قلبه بما بعد الشهر فان تشوق الى الكثرة او طول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الطمع
ويجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الادمي على الحرص والطمع
وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كان لابن ادم واديان من الذهب لابتغى وراءهما ثالثا و
لا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا
اوحي اليه اتيناه فيعلمنا مما اوحي اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة
وايتاء الزكوة ولو كان لابن ادم واد من ذهب لاحب ان يكون اليه الثاني ولو كان له الثاني لاحب ان يكون اليهما الثالث
ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم
ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وآله وسلم يهرم ابن ادم ويشب معه اثنان الامل وحب المال او كما قال ولما كانت هذه
جبلة للادمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله على القناعة وقال صلى الله عليه وآله وسلم طوبى
لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا
وقال صلى الله عليه وآله ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال
ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس للعبد الا ما كتب الله له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له من الدنيا
وهي راغمة وروي ان موسى عليه السلم سال ربه تعالى فقال اي عبادك اغنى قال اقنعهم لما اعطيته قال فايهم اعدل
قال من انصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان

لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وعنه صلى الله عليه وآله وسلم اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف
وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وعنه صلى الله عليه وآله وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس و
احب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الطمع بجملة ما رواه ابو ايوب الانصاري
ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلوة مودع ولا
تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع الياس عما في ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله قلنا اوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون
رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ما ذا نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا والصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسئلوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض اولئك
النفر يسقط سوطه فما يسئل احدا ان يناوله اياه. الاثار قال بعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك
بما يكفيك وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقيل لحكيم
ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس وروي ان الله عز وجل قال يا ابن ادم
لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك
محسن وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل وايها اعون على دفع الحزن قال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها له
على دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهنأهم عيشا القنوع واصبرهم
على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وقد قيل. ارفه بال فتى
يمسي على ثقة. ان الذي قسم الارزاق يرزقه. فالعرض منه مصون لا يدنسه. والوجه منه جديد ليس يخلقه. ان القناعة
من يحلل بساحتها. لم يلق في دهره شيئا يؤرقه. وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك
ما لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكان ما قد غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك
يا اخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا. وقيل. اراك يزيدك الاثراء حرصا. على الدنيا كانك لا تموت. فهل
لك غاية ان صرت يوما. اليها قلت حسبي قد رضيت. وقال الشعبي حكي ان رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد ان تصنع بي
قال اذبحك وآكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلث خصال هي خير لك من
اكلي اما واحدة فاعلمك وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات
الاولى قالت لا تلهفن على ما فات فخلاها فلما صارت على الشجرة قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت
فصارت على الجبل وقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض على
شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة فقالت انت قد نسيت الثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا تلهفن
على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون انا لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان
كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الادمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون
انه يكون وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد اذ وعوه وعقلوه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج
فقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا
حتى لا تحب ان يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء
واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله تعالى ولم تعده

تقعد فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وعن فلان وقال بعض الحكماء
من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله
مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من اين تاكل قال من بيدر اللطيف
الخبير الذي خلق الرحى ياتيها بالطحين واومى بيده الى رحى اضراسه بيان علاج الحرص والطمع والذل الذي
تكتسب بضدهما القناعة اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور الاول
وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه
ويرد نفسه الى ما لا بد له منه فان من كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب
واحد خشن ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد
الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة فهو الاصل في القناعة
ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال
صلى الله عليه وآله وسلم ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلث منجيات خشية الله في السر والعلانية
والقصد في الغنا والفقر والعدل في الرضا والغضب وروي ان رجلا ابصر ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض وهو يقول
ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاقتصاد وحسن السمت و
الهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال النبي صلى الله عليه وآله
وسلم من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله عز وجل احبه الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم
اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من اهم الامور الثاني انه
اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل
والتحقق بان الرزق الذي قدر له لا بد وان ياتيه وان لم يشتد حرصه وان شدة الحرص ليس هو السبب لوصول الارزاق
بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر
ويامره بالفحشاء ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال
فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتمال التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم
تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل شعر ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر
وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهما لا تياسا من الرزق ما تهزهزت رؤسكما فان
الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابن مسعود و
هو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق ياتيك وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا ايها الناس اجملوا
في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان
عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله في تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي ان
يعلم ان رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب اكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا
انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي ان يضطرب قلبه لاجله قال صلى الله عليه وآله وسلم ابى الله ان يرزق
عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال بعضهم اتق الله فما رايت تقيا محتاجا اي لا يترك التقي فاقدا للضرورة
فان الله القى في قلوب المؤمنين ان يوصلوا اليه رزقه وقال الفضيل قلت لامراة من اين معاشك قالت من الحاج قلت



فاذا صدروا فبكى وقال لو لم تعش الا من حيث تدري لم تعش وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منها هو لي فلن
اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيئا منها هو لغيري فذلك لم انله فيما مضى ولا ارجوه
فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي اي هذين افني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع
تخويف الشيطان وانذاره بالفقر الثالث ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص من الذل
فاذا تحقق له ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا
الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب الاخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس
وفيه الوبال والاثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا
يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لم يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك
العقل ناقص الايمان قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعزة
ولذلك قيل استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واحسن الى من شئت فانت اميره الرابع ان
يكثر تامله في تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقاء من الاكراد والاعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر
الى احوال الانبياء والاولياء والى سمت الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان
يكون على مشابهة اراذل الخلق او على الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل
والقناعة باليسير فانه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير اعلى رتبة منه وان تزين
في الملبوس والخيل ففي اليهود والنصارى من هو اعلى زينة منه وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته الا الانبياء
والاولياء الخامس ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه من آفات المال ويعرف ما يفوته من المناقشة على ابواب الجنة
حيثما تزاحم فانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنياء وخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من هو دونه
في الدنيا لا الى من هو فوقه فيقول لم تقتصر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويتصرف
في الدين الى من هو دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم
مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عنهم قال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وآله وسلم ان انظر الى من هو دوني
لا الى من هو فوقي اي في الدنيا وعنه صلى الله عليه وآله وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق
فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور تقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر
الامل وان يعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام قلائل ليتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء
لطمعه في الشفاء بيان فضيلة السخاء اعلم ان المال ان كان مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص
وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من اخلاق
الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها
متدليات الى الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال جبرئيل قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي
رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ما جبل الله اولياءه الا على السخاء وحسن الخلق وعن
جابر قال قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال الصبر والسماحة وعنه صلى الله عليه وآله وسلم خلقان يحبهما الله عز وجل
وخلقان يبغضهما الله عز وجل فاما اللذان يحبهما الله عز وجل فحسن الخلق والسخاء واما اللذان يبغضهما الله عز وجل

فسوء الخلق والبخل فاذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس وعن المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وعنه صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوا من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير ان الله ليباهي بمطعم الطعام الملائكة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى جواد يحب الجواد ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يسئل على الاسلام شيئا الا اعطاه فاتاه رجل فسأله فامر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ان لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله عنه وحولها الى غيره وعن الجهلاني قال اتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسارى من بني العنبر فامر بقتلهم فافرد منهم رجلا فقال علي بن ابي طالب عليه السلم يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل علي جبرئيل عليه السلم فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له سخاء فيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعنه صلى الله عليه وآله وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وآله وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلم استكثروا من شيء لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف وعنه صلى الله عليه وآله وسلم الجنة دار الاسخياء وعنه صلى الله عليه وآله وسلم السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوى الداء البخل وقال النبي صلى الله عليه وآله اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس هو اهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت من اهله وقال صلى الله عليه وآله وسلم بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة ليحييها ويحيي بها اهلها وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل معروف صنعته الى غني او فقير صدقة وروي ان الله اوحى الى موسى عليه السلم لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثا على قوم بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت وقال علي عليه السلم اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد ٭ لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ٭ فليس ينقصها التبذير والسرف ٭ وان تولت فاحرى ان تجود بها ٭ فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف ٭ وسأل معاوية الحسن بن علي عليهما السلم عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه

سفيان ثوري



بصنيعه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل ووقع رجل الى الحسين عليه السلم رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسئلني الله تعالى عن ذل مقامي بين يديه حتى اقرأ رقعته وقال علي بن الحسين عليهما السلم من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يسخي بحقوق الله تعالى في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر اذا كان يتقن بثواب تاما وقال جعفر الصادق عليه السلم لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر والكفر في النار والجود والكرم من الايمان والايمان في الجنة وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي عليهم السلم يعتب عليه في اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقي به العرض وتمثل رجل عند عبد الله بن جعفر بهذين البيتين ٭ ان الصنيعة لا تكون صنيعة ٭ حتى يصاب بها طريق المصنع ٭ فاذا اصطنعت صنيعة فاعمل بها ٭ لله او لذوي القرابة او دع ٭ فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت له اهلا وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته ورأى الاحنف بن قيس رجلا وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم قال لي فقال اما انه ليس لك حتى تخرجه من يدك وفي معناه قيل ٭ انت للمال اذا امسكته ٭ فاذا انفقته فالمال لك ٭ وقال واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة اعطاها شيئا وقال الحسن عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب وقيل من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا وقال بعضهم بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت اياديه عنده وقال بعضهم انا الرجل اكفيه من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيلح عندي مثل يده عندي حكايات الاسخياء قيل بكى علي عليه السلم يوما فقيل له ما يبكيك قال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله اهانني وسأل رجل الحسن بن علي عليهما السلم حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله تعالى قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام لما اتكلف من واجبك فعلت فقال له يا ابن رسول الله اقبل واشكر العطية واعذر على المنع فدعا الحسن عليه السلم وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعلت الخمسمائة دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها فدفع الدنانير والدراهم الى الرجل وقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليهم الحسن عليه السلم رداءه لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال لكني ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم وقال ابو الحسن المدايني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب قالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها واشربوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون اليك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته عن القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد

الجاتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك
المدينة فاذا الحسن بن علي عليه السلم جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه ودعا بالعجوز
فقال لها يا امة الله تعرفيني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بابي انت وامي انت هو قال نعم ثم امر لها
الحسن عليه السلم فاشتروا لها من شاء الصدقة الف شاة وامر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين عليه السلم
فقال لها الحسين عليه السلم بكم وصلك اخي فقالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين عليه السلم ايضا بمثل ذلك
ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها عبد الله
بن جعفر بالفي شاة والفي دينار وقال لها لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف دينار واربعة الاف
شاة واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله
وقد زوج بنتا له من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم
داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن
صيامه وقيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا
من الكبر ما لا نخدم اولياء الله ففعل وفعلوا وكان ابو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق علي بن ابي طالب لما وهبت لي
نخلتك بموضع كذا قال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك اضعاف ما طلبه الرجل وكان ابو مرثد احد
الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي بعشرة الاف درهم
حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة الاف درهم واخرج ابو مرثد من الحبس
وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيا له فقال يوما
لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل
البستان وكان معن على راس الماء فلما بصر بالخشبة اخذها وقراها فاذا فيها مكتوب ايا جود معن ناج معنا بحاجتي
فما لي الى معن سواك شفيع فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشر بدر فاخذها
ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقراها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة
الف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان ياخذ منه ما اعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرا ما فيها ودعا بالرجل
فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من
المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة قال صلاحك وفلاحك
رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ بالله ان يطير بجناحك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا
له بالف دينار ودفعها اليه وقال استنفق هذا فنعم ما ادبك اهلك وحكي ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم
للزيارة فنزلوا عند قبره وجاؤا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فراى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك ان
تبايع بعيرك بنجيبي وكان قد خلف الميت نجيبا معروفا وكان لهذا الرجل بعير سمين فقال له نعم وباع في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع
بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا يثج الدم من نحر بعيره فقام ونحره وقسم
لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من
فلان بن فلان باسم ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت بعيري بنجيبه
في النوم وذكر القصة فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان

وقدم

وقدم رجل من قريش من سفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق وقد اقعده الدهر واضر به المرض فقال له يا هذا اعنا
على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الاف درهم فذهب ينهض
فلم يقدر من الضعف فبكى فقال الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك
فابكاني واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع
بكاء اهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا وقيل
انفذ هرون الرشيد الى مالك بن انس خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون وقال
اعطيته خمسمائة وتعطيه الفا وانت من رعيتي فقال يا امير المؤمنين ان لي في كل يوم من غلتي الف دينار فاستحييت ان
اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكي انه لم يجب عليه الزكوة مع ان دخله كل يوم الف دينار وحكي ان امراة سالت الليث
شيئا من عسل فامر لها بزق فقيل له انها كانت تقنع باقل من هذا فقال انها سالت على قدرها ونعطيها على قدر النعمة
علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة عندي
وكان خيثمة بن ابي عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسالني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا
لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من
بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا ومرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطا اخوانه فقيل له انهم يستحيون مما
لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان عليه لقيس حق فهو منه
في حل قال فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده وقال الشيخ ابو علي عبد الله الكرخي النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول
سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم مولود قال فجئت اليه وقلت له ولد لي مولود
وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح له بشيء فجاء الى قبر رجل كان يعرفه وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل
وتصنع واني درت اليوم وكلفت جماعة دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء قال ثم قام واخرج دينارا فكسره بنصفين وناولني
وقال هذا دين عليك الى ان يفتح لك بشيء قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة
الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن في الجواب لكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون
ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها الى هذا الرجل قال فلما كان الغد تقدم الى منزل الميت وقص القصة فقالوا له
انزل وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي فيه حكم فقالوا
هو يتسخى ميتا ونحن لا نتسخى فلما الحوا عليه حمل الدنانير وجاء الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فاخذ
منها دينارا فكسره بنصفين فاعطاه النصف الذي اقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء
فقال ابو سعيد فلا ادري اي هؤلاء اسخى ووافى رجل صديقا له ودق عليه الباب فقال ما جاء بك قال علي اربعمائة دينار
فوزن اربعمائة واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امراته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى
احتاج الى مفاتحتي بها بيان ذم البخل قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن
الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال تعالى الذين
يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اياكم و
الشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل
الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه واله وسلم

شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان
والمعيل المختال وقال صلى الله عليه وآله وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما
الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيئا الا اتسعت ودفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت
كل حلقة مكانها حتى اخذت بترقوته فهو يوسعها ولا تتسع وقال صلى الله عليه وآله وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن
البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد
الى ارذل العمر وقال صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش فان الله لا يحب
الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم
بالقطيعة فقطعوا وقال صلى الله عليه وآله وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل شهيد على عهد رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يدريك
انه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاعراب يسألونه حتى اضطروه
الى سمرة فخطفت رداءه فوقف فقال اعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمتها
بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال عمر قسم النبي صلى الله عليه وآله قسما فقلت غير هؤلاء كان احق به
منهم فقال انهم يخيروني بين ان يسألوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد دخل رجلان على رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فسألاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب فاثنيا وقالا معروفا وشكرا
ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك وان احدكم ليسألني فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار
تعطيهم ما هو نار قال يأبون الا ان يسألوني ويأبى الله لي البخل وعن ابن عباس رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم ألا ان الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخا في
اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة
ألا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض
اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار ألا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم السخاء
شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال من سيدكم يا بني سلمة قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وأي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا
مالا وانا على ذلك لنزنه بالبخل فقال صلى الله عليه وآله وسلم وأي داء ادوى من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا
يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء بن المعرور وقال علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله يبغض البخيل
في حياته والسخي عند موته وعنه صلى الله عليه وآله وسلم السخي الجهول احب الى الله من العابد البخيل وعنه
صلى الله عليه وآله وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد وقال ايضا خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق
وقال لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم
وأي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت
لي ذنبي فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما ذنبك صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم
ام الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك
اعظم ام البحار قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش
قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى واجل قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله
اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني يسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الفي الف عام وبكيت حتى
تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر
في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال
علي عليه السلام في خطبة له سيأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا
تنسوا الفضل بينكم وقال عليه السلام ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض الآثار وقال ابن
عباس لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور
وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك
وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال لها تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي
وجلالي لا اسكنك بخيلا وقيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته ووفد على انوشروان
حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متأنيا
وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره
لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط الله عليه من لا يرحمه وقال الضحاك
في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون
الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل الله به ملكين يناديان اللهم عجل لممسك تلفا وللمنفق خلفا وقال
الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكأنما يرى السائل اذا
ملك الموت اذا اتاه وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث
البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انك لبخيل ومدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وآله فقالوا
صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب
المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغض ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز
ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك
وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المؤمن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله
والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك

## حكايات البخلاء

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منها فاكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ
ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما جهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك تقيأ ما اكلت فقال هاه اتقيأ
طباهجة ببيض الموت ولا ذلك وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس

فقال له الرجل هل تحسن شيئاً من القرآن قال نعم وقرأ والزيتون وطور سينين فقال اين والتين قال هو تحت كسائك ويحكى عن بعضهم
انه دعا قوماً بطعام الى العصر حتى اشتد جوعهم واخذهم مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال لهم بحياتي اي صوت تشتهون ان اسمعكم
قال صوت المقلى ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلاً قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه وقيل له صف لي
مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قال فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فيأكل معه احد قال نعم
الذباب فقال سوءة وقلت انت خاص به وثوبك مخرق فقال انا والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها فقال الا استعرت فقال لو
ملك محمد بيتاً من بغداد الى النوبة مملوءاً ابراً ثم جاءه جبرئيل وميكائيل ومعهما يعقوب عليهم السلام يطلبان منه ابرة
ليخيطا بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل ويقال كان مروان بن ابي حفصة لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم
اليه فاذا قرم ارسل غلامه فاشترى له رأساً فاكله فقيل له نراك لا تأكل الا الرأس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال
نعم الرأس اعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان يأكل منه وان مس عيناً او
اذناً او خداً وقفت على ذلك وآكل منه الواناً عينه لوناً واذنه لوناً ولسانه لوناً وغلصمته لوناً واكفى مؤونة طبخه فقد اجتمعت
فيه مرافق وخرج يوماً يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجائزة فقال ان اعطيت مائة
الف اعطيتك درهماً فاعطي ستين الفاً فاعطاها اربعة دوانق واشترى مرة لحماً بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان
دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فاكلت كسرة وملحاً فيأبى عليه
فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحاً فسأل سائل فقال له رب المنزل
بورك فيك فاعاد عليه المسألة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا
قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رأيت احداً اصدق مواعيد منه منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا
والله ما زادني عليهما **بيان** الايثار وفضيلته اعلم ان السخاء والبخل كل واحد ينقسم الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار
وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اليه
اشد وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان يسخو الانسان على غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من
بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجاناً لاكلها فهذا
بخل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا
يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله تعالى على الصحابة به فقال ويؤثرون على انفسهم ولو
كان بهم خصاصة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة
ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على انفسنا
ونزل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيئاً فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى اهله
فوضع بين يديه الطعام وامر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى اكل الضيف الطعام
فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الى ضيفكم والليلة ونزلت ويؤثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله تعالى والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم حتى سماه الله عظيماً فقال وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلام يا رب ارني
بعض درجات محمد صلى الله عليه وآله وامته فقال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة
فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السماء فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها

من الله عز وجل فقال يا رب بماذا بلغت به هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا يأتيني احد منهم
قد عمل به وقتاً من عمره الا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء ويقال خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على
نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته ودخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم
رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال
ما هي بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله
بن جعفر ألام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات واعتق الغلام ووهبه منه
وقيل اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأس شاة فقال ان اخي فلاناً احوج منا اليه فبعث به اليه
فلم يزل يبعث به الواحد الى الآخر حتى تداوله سبعة ابيات حتى رجع الى الاول وبات علي بن ابي طالب عليه السلام على فراش رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فاوحى الله تعالى الى جبرئيل وميكائيل عليهما السلام اني آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من
عمر الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة واحباها فاوحى الله تعالى اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب
آخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وآله فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه
من عدوه فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة
فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده
نيف وثلاثون نفساً وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفؤوا السراج وجلسوا
للطعام فلما رفع الطعام فاذا الطعام بحاله لم يأكل منه احد شيئاً ايثاراً لصاحبه على نفسه ويحكى ان شعبة جاءه
سائل فلم يكن عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب
ابن عم لي ومعي شيء من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار
الي ان نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي ان انطلق به اليه فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك
فسمع به آخر فقال آه فاشار هشام ان انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي
فاذا هو قد مات وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث فانه اتاه رجل في مرضه
فشكى اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه واستعار ثوباً فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة
وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع عال وقعدنا
فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلباً فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية
ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تأكلها وذلك الكلب ينظر اليها حتى اكلت الميتة وبقيت العظام ورجعت الكلاب الى
البلد فقام ذلك الكلب فجاء الى تلك العظام فاكل ما بقي عليها قليلاً ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار
واحوال الاولياء فيه في كتاب الفقر والزهد فلا نعيد **بيان** حد السخاء والبخل وحقيقتهما لعلك تقول عرف بشواهد
الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلاً وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخياً وربما يراه
غيره بخيلاً وقد يصدر من الانسان فعل يختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان
الا ويجد من نفسه حب المال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساكه بخيلاً فاذن لا ينفك احد عن البخل
واذا كان الامساك مطلقاً لا يوجب البخل فلا معنى للبخل الا الامساك فما معنى البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء
الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل

وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوا عليها او تمرة اكلوها من ماله عد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه يشاركه فيه فاخفاه عنه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو ايضا قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقها وان اريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف على غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسئلة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء بما امكن وقيل الجود عطاء على رؤية ان المال لله تعالى والعبد لله فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا غير منازع فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد صار موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء الزكوة ويمنع اهله وعياله النفقة او يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف او الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب له ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح فيما ينفق للبايع في المعاملة فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به المضايقة من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا او شراء الاضحية او شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك يختلف بمن معه المضايقة من صديق واخ وقريب وزوجة وولد واجنبي وبمن منه المضايقة من صبي وامراة وشيخ وشاب وعالم وجاهل وموسر وفقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروءة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكوة والنفقة بخيل وصيانة المروءة اهم من حفظ المال والمضايق في الدقائق مع من لا يحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل وتبقى درجة اخرى وهو ان يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه الى الصدقات

والى

الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا للدرجات في الاخرة فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكوة الواجبة وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرا من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا يتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما يتسع له نفسه من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس اجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة او شكر او ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى فاما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض ولكن اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الاخرة او اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا او من ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع ينال من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اعواض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا ان نعبد الله تعالى سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا الحسنة بعشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرا فباي شيء سخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات اتحسب احدكم ان السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل ففيم قالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي السخاء في الدين ان تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله عز وجل بسماحة من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك الذي يفعل بك ما لا تحسن ان تختاره لنفسك **بيان** علاج البخل اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد اقام له الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة السبب الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع او ياخذها اعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان ياكل منها او يتصدق بحبة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل

بتسويله فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب
عنده كانه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من راى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر
حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر
ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى
الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع لولده يريد ان
يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله كافيه وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته
عليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله تعالى به على البخل من العقاب
العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التامل في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل
من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه
بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق ولا يحفظ من المال الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بان يحصل له ثواب
بذله فهذه الادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته
في البذل ان كان عاقلا فان تحركت الداعية فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده
عنه كان ابو الحسن البوشنجي ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال
لم آمن على نفسي ان تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق
بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا
بان يبذله بل لو رماه في الماء كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار
بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب
بها خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال
كما يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن ليشتغل عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى
غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها
وتسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى
بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقلع علة ويزيد في اخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان
لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل
فان ذلك يدل على ان مرض البخل اغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال ان الميت تستحيل جميع اجزائه
دودا ثم ياكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ويكبر ثم ياكل بعضها بعضا حتى ترجع الى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا يزالان
يتقاتلان الى ان يغلب احدهما الآخر فياكله ويسمن به ثم لا يزال يبقى جائعا وحده الى ان يموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة
يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها
واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات المذمومة ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا
فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى
ماتت صفة البخل وصارت صفة البذل طبعا وسقط التعب فيه فان علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة
الجود والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بآفته واذا لم تتحقق المعرفة

لم

لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت
وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توهم في مريد فرحه بزاوية وما
فيها نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا رآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها يامره
بتسليمها الى غيره والبسه ثوبا خلقا لا يميل قلبه اليه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها
فان كان له الف متاع كان له الف محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد منه احس بمصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزل به
الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك حمل الى بعض الملوك
قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال
اراه مصيبة او فقرا قال كيف قال ان انكسر كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر
ثم اتفق ان انكسر يوما وعظمت مصيبة الملك فيه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان
الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة لاولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله اذ تقطع طريق عباده وعدوة لنفسها فانها تاكل نفسها
فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه
ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفات المال لم يانس به ولم يفرح به فلا ياخذ منه الا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما
امسكه لحاجته فليس ببخيل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط دجلة اذ لا يبخل به احد لقناعة
الناس منه بمقدار الحاجة **بيان** مجموع الوظائف التي على العبد في ماله اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه ومثاله مثال حية
ياخذها الراقي ويستخرج منه الترياق ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على
خمس وظائف **الاولى** ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر حاجته ولا يعطيه
من همته فوق ما يستحقه **الثانية** ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات
المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذلة وهتك المروءة وما يجري مجراه **الثالثة**
في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلث
درجات ادنى واوسط واعلى وما دام مائلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجوز ان يكون من جملة المحقين فان جاوز
ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد **الرابعة** جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر
ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضع في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه
سواء **الخامسة** ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فياخذ ما ياخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك
زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي عليه السلام لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض
واراد به وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على
العبادة او ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك
بهما صارتا عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما
يحتاج اليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي ان يقصد به ان ينتفع به عبد من عباد الله فلا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل
ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتاتى ذلك الا لمن رسخ
في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار وزعم انه يشبه الاغنياء من الصحابة شابه الصبي
الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها استحسانا لصورتها

وشر من وجه

ومثلنا بأجله أما فيلدغها انتهاء به فقتله في الحال الآن قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا
بالحية فقيل: هي دنيا كحية تنفث السم وإن كانت المجسة لانت وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصير في التخطي من قلل الجبال وأطراف
البحار والطرق المشوكة فمحال أن يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال بيان ذم الغنى ومدح الفقر اعلم أن الناس قد
اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه
ولكنا في هذا الكتاب ندل على أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال فيه ونقتصر فيه
على حكاية فصل ذكره الحارث المحاسبي في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة و
بكثرة مال بعضهم وشبه نفسه بهم والمحاسبي مقدم في علم المعاملة وله السبق على أكثر الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال
وأغوار العبادات فكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على العلماء السوء بلغنا أن عيسى ابن مريم صلوات الله
عليه قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون
تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل
يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف
يدرك الآخرة من لا تنقضي شهوته من الدنيا ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم
والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأي الناس أخس منكم
لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا
ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم
وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام يوشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم
على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم إلى الملك الديان عراة
فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم ثم قال الحارث إخوان فهؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على
الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها فآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون
أو يعفو الله الكريم بفضله وبعد فإني رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه أنواع الهموم وفنون المعاصي
وإلى التلف والبوار مصيره فرح الهالك برجائه فلم يبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين
فيا لها من مصيبة ما أفظعها ورزية ما أجلها ألا فراقبوا الله إخواني ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الآنسين بالحجج
الداحضة عند الله فإنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج ويزعمون أن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله
وسلم كانت لهم أموال فيتزين لهم المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون
ويحك أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا صلى الله عليه وآله وسلم والمرسلين
ونسبتهم إلى قلة الرغبة في الزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال
كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينصح للأمة إذ نهاهم عن جمع
المال وقد علم أن جمع المال خير للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عنه كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وآله
لقد كان للأمة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا ومتى زعمت أن جمع المال خير لهم أو زعمت أن الله عز وجل لم يعلم أن الفضل في الجمع
فلذلك نهاهم عنه وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل ولذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الفضل والخير تعالى الله
عن جهلك أيها المفتون تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك وما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن



بن عوف قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون
على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فلما بلغ ذلك أبا ذر رضي الله عنه خرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحي بعير
فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى انتهى إلى عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر
رحمه الله يقتص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبي ذر فقال له أبو ذر هيه
يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما نحو أحد وأنا معه
فقال يا أبا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله
وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال ما يسرني أن لي مثل أحد ذهبا أنفقه في سبيل
الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين ثم قال يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه
حتى خرج ونجد فأنتم كالجهال تحتجون بتمرغكم في تخاليط الشبهات والسحت وتكالبكم على أوساخ الناس وهو تقلبكم في الشهوات
والزينة والمباهات وتقلبكم في فتن الدنيا ثم تحتج بالصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوا بها التعفف
والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا وأنفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله بأكثرها
وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبالله أكذلك أنت إنك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فإن
أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبالله في أرزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين
وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا
من الدنيا إلا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها
فبالله أكذلك أنت ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله وإذا رأوا الفقر
مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كئيبا حزينا وإذا لم يكن عندهم
شيء أصبح فرحا مسرورا فقيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت لست كذلك فقال
إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كانت لي بمحمد صلى الله عليه وآله أسوة وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن
لي بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا
وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه أحوال
السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا فبالله أكذلك أنت إنك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف لك أحوالك
أيها المفتون ضدا لأحوالهم وذلك أنك تطغى عند الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء و
تقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وأنت
تأنف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله تعالى وقلة اليقين بضمانه وكفى به إثما
ولعلك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال شرار
أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليجيئن يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم
فيقال لهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها
حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أو
للتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب الله حين أردت التكاثر والعلو نعم وعساك

عندك في الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله وانت تكره لقاء الله والله للقائك اكره وانت في غفلة ويحك كيف تاسف
على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من اسف على دنيا فاتته اقترب من النار
مسيرة سنة وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله ثم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك
تفرح لاقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من احب الدنيا
وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم قال انك تحاسب على التحزن على ما فاتك وتحاسب بفرحك بالدنيا
اذا قدرت عليها وانت تفرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى ويحك همك بامور دنياك اكبر من همك بامر آخرتك
ويحك ان مصيبتك في معاصيك وانتقاص دينك اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك
اكثر من خوفك من الذنوب ويحك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا ويحك ترضي المخلوقين
مساخط الله كيما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله لك في القيمة اهون عليك من احتقار الناس اياك ويحك تخفي من
المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكانت الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة عند الناس فكان
العبيد اعلى عندك قدرا من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك اف لك متلوثا بالاقذار
وتحتج بمال الابرار هيهات هيهات ما ابعدك عن السلف الاخيار والله لقد بلغني انهم كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم
لان الذي لا باس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة اشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك و
مثل شبهات اموالهم وليتك اشفقت من سيئاتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك على مثل افطارهم وليت
اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة انه
قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة
فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق امثالكم في السفالة او يعفو الله
الكريم بفضله وبعد فانك ان زعمت انك متاس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر امرك ويحك هل تجد
من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال
كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام افتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة
ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكيدة من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب
الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من اجترا على الشبهات اوشك
ان يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله من اكتساب
وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان تدع درهما واحدا مخافة ان لا يكون حلالا خير لك
من ان تتصدق بالف دينار من شبهة لا تدري ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبس بالشبهات وانما تجمع
المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة
خافوا المسالة بلغنا ان بعض الصحابة قال ما سرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقها في طاعة الله ولم يشغلني
الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله قال لاني غني عن مقامي يوم القيمة فيقول عبدي من اين اكتسبت وفي اي شيء
انفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم خير
المال بشره وانت بغاية الامن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال
ويحك واين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة

كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه افتطمع ان يكون قلبك اتقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شيء من الحق
امرك وحالك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك اني لك ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة
من العيش ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من نوقش
في الحساب عذب وقال صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالرجل يوم القيمة وقد جمع مالا من حرام فانفقه في حرام فيقال
اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع
مالا من حرام وانفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال
قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها او فرطت في شيء من ركوعها وسجودها
ووضوئها فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت منه في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت فيقال لعلك اختلت في هذا
المال في شيء من مركب او ثوب باهيت به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه
من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما
افترضته علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه قال فيجيء اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته
واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء
فيقال قف الآن هات شكر كل نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او لذة فلا يزال يسال ويحك فمن ذا الذي يتعرض
لهذه المسالة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وادى الفرائض بحدودها حوسب
هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل
هذه المحاسبة يخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك
بهؤلاء الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف
والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شيء
من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا
وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لا حبس عليك للمسالة والحساب
فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين الجنة قبل
اغنيائهم بخمسمائة عام فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما وجل المتقون ويحك فان تخلفت في القيمة عن المصطفى صلى الله عليه
وآله وسلم لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق
ولئن اردت الكثير لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل اما علمت
ان ترك المال وفراغ القلب بالذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسالة
وآمن من روعات يوم القيمة واجزل للثواب واعلى لقدرك عند الله اضعافا وارجح لميزانك واقل لمصيبتك وارخى لبالك واقل
لهمومك فان عدلك في جمع المال وانت بترك المال افضل من طلب المال لاعمال البر نعم شغلك بذكر الله افضل من بذل
المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الاجل وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في
مكارم الاخلاق ان تتاسى بنبيك صلى الله عليه وآله وسلم وترضى بما اختار لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت
وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقا الى جنة الماوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى

عليه وآله قال لنساء ودات المؤمنين في الجنة من اغنياتهم بجهنم شاة واذا استقرضنا بجهد قوما ولكنه فضل الاكثرة الا ما يوار به
ولم يعتد على ان يكتب ما يكفيه بمجموع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين و
الشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا الا يا اخي فمن جمع المال من بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت من
والفضل بجمعه لا ولكنك محب للفقر بحبه وللتنعم والزينة والفخر والتكاثر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرم
بجمعه ثم انك تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحي من دعوى لا يصدقها المعروف ويجاريك معنويات
الدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول ثم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا بتقصيرك
ووجلا للحساب فذلك انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحجج لجمع المال وقد نصحت لكم ان تعلمتم والقابلون لهذا قليل وفقنا
الله واياكم لكل خير بمنه هذا امر كلامه فيه كفاية في اظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك الحجج
التي اوردناها في كتاب ذم الدنيا وذكر الفقر والزهد ونشهد له ايضا ما يحكى من امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب قال
يا رسول الله ادع الله لي ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله
ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثلي اما والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا
وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى منها فنزل واديا
من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات في الجماعة الا الجمعة
فنمت كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار فسال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبر بامره كله فقال يا ويح ثعلبة
يا ويح ثعلبة قال وانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وانزل
الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلين رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة
وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل
من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال
ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما فقام الى
خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالوا لا يجب عليك هذا وما نريد ان ناخذ هذا منك
فقال بلى خذوها نفسي بها طيبة وانما هي لتاخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسالاه الصدقة
فقال ارياني كتابكما فنظر فيه فقال هذا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسليمي بخير فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي فانزل الله
في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به
وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
وعند رسول الله صلى الله عليه وآله رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما انزل الله فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال
فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا عملك امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا عاقبة امر ثعلبة جاء بها الى ابي بكر فابى ان يقبلها منه وجاء بها الى عمر فابى ان يقبلها وتوفي
ثعلبة بعد ذلك في خلافة عثمان فهذا طغيان المال وشومه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشوم الغنى آثر رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روي عن عمران بن حصين انه قال كانت لي من رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران بن حصين ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة
فاطمة بنت رسول الله فقلت نعم بابي انت وامي فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب فقال السلام
عليكم ادخل فقالت ادخل يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت والذي
بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي فقد واريته فكيف براسي
فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف
اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لا اقدر على طعام آكله فقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ولو سألت
ربي لاطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة
فقالت فاين آسية امراة فرعون ومريم بنت عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة
نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله
لقد زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الآخرة فانظر الآن الى حال فاطمة وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم كيف آثرت الفقر وتركت المال ومن راقب احوال الانبياء عليهم السلام واقوالهم وما ورد من اخبارهم وآثارهم
لم يشك ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقي من الشبهات
والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد
روي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم صلى الله عليهما فقال اكون معك واصحبك فانطلقا حتى انتهيا الى شط النهر
فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد
الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف فقال لا ادري فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها فدعا
احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل اسألك
بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال لا ادري ثم انتهيا الى وادي ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل
فمشيا على الماء فلما جاوزا قال اسألك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال لا ادري فانتهيا الى مفازة
فجلسا فاخذ عيسى صلوات الله عليه يجمع ترابا او كثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلاثة اثلاث
فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت الرغيف قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام
فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا قال فابعثوا
احدكم الى القرية حتى يشتري لنا طعاما قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شيء اقاسم هؤلاء في هذا المال لكني اضع
في هذا الطعام سما فاقتلهما قال ففعل وقالا ولكنا لاي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه فلما رجع اليهما
قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة واولئك الثلاثة قتلى عنده فمر بهم عيسى صلوات الله عليه على تلك
الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها ويحكى ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس في ايديهم شيء مما يستمتع به
الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقول كما ترعى
البهائم

البهايم وقد قبض الله لهم في ذلك معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين
فقال ما لي اليه حاجة فاقبل اليه ذو القرنين وقال ارسلت اليك لتاتيني فابيت فها انا قد جئت فقال له لو كانت لي اليك
حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي اراكم على الحالة التي لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا
ولا شيء افلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا انما كرهناهما لان احدا لم يؤت منهما شيئا الا تاقت نفسه
ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما لكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا
اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم
من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها فقالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا
وانما يكفي ابن ادم ادنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك من الطعام لم يوجد له طعم كائنا ما كان من الطعام ثم بسط
ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك
الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما راى الله ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى
وقد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا و
من هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل
وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال
وهذه الجمجمة قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا
ووزيرا وشريكا فيما اتاني الله من هذا المال الملك و قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل
ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احدا يعاديني
لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك
على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل وبالله الموفق لا رب غيره ولا معبود سواه ٭ هذا آخر كتاب ذم المال من ربع المهلكات
من الحجة البيضاء ويتلوه ان شاء الله كتاب ذم الجاه والرياء ٭ والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على محمد وآله

## كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا الغيوب البصير
بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفى فانه
المتفرد بالملكوت والملك فهو اغنى الاغنياء عن الشرك والصلوة على محمد وآله المبرئين من الخيانة والافك وسلم كثيرا
**اما بعد** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة
الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها
سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اواخر غوائل النفس ومواطن مكائدها وانما يبتلى بها العلماء
والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها
عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح
فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق
ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت
بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا
السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه
ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في
البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه
موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات
واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حياته بالله
وبعبادته المرضية وانما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص
في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله وقد احبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال واثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو
يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون
ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة
للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب
الكتاب على شطرين **الشطر الاول في حب الجاه والشهرة** وفيه بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت وبيان فضيلة الخمول وبيان

ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا حبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس
بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة الذم وبيان اختلاف احوال الناس في
الذم والمدح فهي اثنا عشر فصلا منها ينشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها **بيان** ذم الشهرة وانتشار الصيت اعلم
ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب
للشهرة منه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه
بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم ولقد ذكر الحسن الحديث تأويلا لا بأس
به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا رأوك اشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا انما عنى به
المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي عليه السلام تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم
تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا
سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس
اليه اكثر من ثلاثة قام وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فتبعه اناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله
لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى
وروي ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني قال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسأل
ولا تسأل فافعل وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثير فقال لولا اني اعلم ان الله يعلم من قلبي اني لهذا كاره
لخشيت المقت من الله وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره
وقال بعضهم كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن
الحارث اوصني فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر لا اعرف رجلا
احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس **بيان** فضيلة الخمول
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك
وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال
اللهم اني اسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا ادلكم على اهل الجنة
كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل متكبر جواظ وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ان اهل
الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا
قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان
من امتي من لو اتى احدكم يسأله دينارا لم يعطه اياه او درهما لم يعطه اياه ولو سأل الله الجنة اعطاه اياه
ولو سأله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياه الا لهوانها عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وعنه صلى الله
عليه وآله ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا
لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح
لا يؤبه له لازم لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبينا هم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى
ركعتين اوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الساعة الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه
حتى تغشت السماء بالغيم وامطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع

منهم فسكن وتبع محمد بن سويد صاحب الطرح حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال اتيتك لحاجة قال لها وما هي قال
تمسحني بدعوة قال سبحان الله انا نبي تسئلني ان امسحك بدعوة قال ما الذي بلغك ما رأيت قال اطعت الله فيما
امرني ونهاني فسألت الله فاعطاني وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل
جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض وقال ابو امامة قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ان اغبط اوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلوة احسن عبادة ربه واطاعه في السر
والعلانية وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وصبر على ذلك قال ثم نقد بيده فقال معناه اشار رسول الله صلى
الله عليه وآله بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال الفضيل بلغني ان الله تعالى يقول في بعض ما يمن
به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك
واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك فهذه الاخبار والاثار تعرفك مذمة الشهرة
وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد
فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء وائمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة
واما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء و
هو كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم
واما القوي فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليهم بيان ذم حب الجاه قال الله تعالى تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة للخالي عن الارادتين
جميعا وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم
في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم
لذة من لذات الحيوة الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال صلى الله عليه وآله وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق
في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب
الشرف والمال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلم انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء
اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن عبد الله بن مسكان قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول اياكم وهؤلاء
الرؤساء الذين يترأسون فوالله ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك واهلك وعنه عليه السلم قال ملعون من ترأس
ملعون من هم بها ملعون من حدث بها نفسه وعنه عليه السلم من اراد الرياسة هلك وعن ابي الربيع الشامي عن ابي جعفر عليه السلم
قال قال لي ويحك يا ابا الربيع لا تطلبن الرياسة ولا تكن ذنبا ولا تأكل بنا الناس فيفقرك الله ولا تقل فينا ما لا نقول
في انفسنا فانك موقوف ومسؤول لا محالة فان كنت صادقا صدقناك وان كنت كاذبا كذبناك وعن محمد بن مسلم قال سمعت
ابا عبد الله عليه السلم يقول اترون اني لا اعرف خياركم من شراركم من احب ان يوطأ عقبه انه لا بد من كذاب او عاجز الرأي
وفي الصحيح عن معمر بن خلاد عن ابي الحسن الرضا عليه السلم انه ذكر رجلا فقال انه ليحب الرياسة فقال ما ذئبان ضاريان
في غنم قد تفرق رعاؤها باضر في دين المسلم من الرياسة بيان معنى الجاه وحقيقته اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا
ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوبة تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير اي يقدر عليها
ليتوصل بها الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس
اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف و

الصناعات

الصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل
من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده
وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن
قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلب تابعة لاعتقاداته وعلومه
ومعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم
ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه
ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبتغي ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع
والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه طالب الجاه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه
قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له
قلوبهم وبقدر اذعان القلوب يكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه
وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة
فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبيد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة
والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن
قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن
خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او شيء مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله في القلوب
فيكون سببا لقيام الجاه بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة اعلم ان السبب الذي يقتضي
كون الذهب والفضة وسائر انواع المال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي ان
يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانهما اذ لا تصلح
لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وانما هي والحصباء بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لانهما وسيلة الى المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك
الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر اغراضه فكذلك ملك
قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة
وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احب من المال ولملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلثة اوجه الاول ان التوصل بالجاه
الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم والزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان
اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد
كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال
ايضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب الثاني هو ان المال معرض للبلوى والتلف بان يسرق ويغصب
ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج الى الحفظ والحراسة والخزائن ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت فلا
تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها ايدي الغصاب وانهب الاموال
العقار ولا يؤمن فيه من الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة بانفسها
والجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من
اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله الثالث ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير

حاجة الى تعب ومقاساة لان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افحمت الالسنة لا محالة بما
فيها فتصف ما تعتقده لغيره وتقتنص ذلك القلب ايضا ولهذا المعنى يحب بالطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار
في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين
واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة فالجاه ابدا في النماء بنفسه ولا
مرد لموقعه ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلته فهذه مجامع
ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال دائم في المال والجاه جميعا فلم ينبغي ان
يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن
والمطعم او كالمبتلى بمرض او بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ
كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع المال وكنز الكنوز وادخار الذخائر
واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان
اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطؤها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه
بماله او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع الياس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد
يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان
احدهما جلي تدركه الكافة والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء
فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون
اما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكتفيا في الحال فانه طويل
الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه
ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على
وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من
ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالاخرى وهذا خوف لا موقف له عند
مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم
منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن
وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة
بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من
الامن من هذا الخوف واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني به وصفه الله تعالى اذ قال ويسالونك عن الروح
قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانيا انه من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية
كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربانية كالكبر والعز والتجبر
وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول مختلفة يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع
ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الالهية فصار محبوبا
بالطبع للانسان والكمال في التفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة وحدها

والمال واقف

جائحة اخرى صح

ما لو كان

فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصا في حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس
معه موجود سواه فان ما سواه اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في
الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الآفاق
ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها
فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذا معنى الربوبية التفرد في الوجود
وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا
وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس
والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي اوما اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس
عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال
فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال
بعد ان يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك
فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته
ويحب كمال ذاته ويلتذ بها الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التاثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك
تردده كيف تشاء فاحب الانسان ان يكون له الاستيلاء على الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا
يقبل التغير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته والى ما يقبل التغير ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق كالافلاك والكواكب
وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين والجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغير
بقدرة العبد كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتاثير
والتغير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارض
والى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات فاحب الانسان ان يستولي على السماويات بالعلم والاحاطة والاطلاع
على اسرارها فانها نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت القدرة والعالم كالمستولي عليه فلذلك احب ان
يعرف الله والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وعجائب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء
عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيه كمن يعجز عن وضع
الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرفها اللعب بها وانه كيف وضع او كمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة والشعبذة او جر الثقيل او غيره
وهو مستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنه لكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متالم بنقص العجز ويتلذذ بكمال
العلم ان علمه واما القسم الثاني وهو الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة
على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجساد وارواح والاجساد الدراهم والدنانير والامتعة فانه يحب بالطبع
ان يكون قادرا عليها يفعل بها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية
والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك يحب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه وكذلك
طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان
لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا لها ويقوم منزلته فيها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من
القدرة القسم الثالث نفوس الآدميين وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها

لتكون مسخرة له منصرفة تحت اشارته وارادته لما فيهما من كمال الاستيلاء والتشبه بالصفات الربوبية والقلوب انما
تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من صفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة
بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله لانه محل الايمان
والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعي اليه فاذا معنى الجاه تسخير القلوب ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة واستيلاء
عليها فالقدرة والاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال
والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان
لا يزول فلذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة
وتفاوت الدرجات فيه غير محصورة فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال
والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات
بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع
يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية
وكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي
لا حقيقة له قد عرفت انه لا كمال بعد فوات الحس الا في العلم والقدرة والكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي
وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات فكلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب
الى الله تعالى والثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله
سبحانه باتم انواع الكشف على ما هي عليها فلذلك مهما كان علم العبد اوضح واتقن واصدق واوفق للمعلوم في تفاصيل صفات
المعلوم كان اقرب الى الله تعالى الثالث من حيث بقاء العلم ابد الاباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور
ان يتغير ويزول فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان
متغيرات وازليات اما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى
اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصورت ان ينقلب المعتقد
فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك
مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وبعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وسائر ما يذكر في المسالك و
الممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق
تتغير من حال الى حال فليس فيها كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب والقسم الثاني هي المعلومات الازلية وهي جواز الجائزات
ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا
ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب له وما يستحيل من صفاته وما يجوز في افعاله فالعلم
بالله وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السماء والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي
الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ويكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى
بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي يكون هذه المعرفة رأس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا
كما ان معه سراج خفي فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على
سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له في ذلك فمن ليس معه اصل معرفة الله سبحانه لم يكن له مطمع في هذا

النور

النور فبقي كمن يمشي في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها
فوق بعض فاذا لا سعادة الا في معرفة الله تعالى فاما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة فيه اصلا كمعرفة الشعر وانساب
العرب وغيرها ومنها ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة
العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد
تزكية النفس ومعرفة تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال الله تعالى قد افلح
من زكاها وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى
وانما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات
كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله
ومن حيث ارتباطها بالقدرة والاضافة بحكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لائقا باحكام الجاه والرياء ولكن افردناه لتتميم
اقسام الكمال واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية
لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله كما قد ذكرناه في كتاب الصبر
والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة فلا
نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي
وحواسه للادراكات فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استبقاء هذه القوى الى
القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله
فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق اكثرهم هالكون
في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم
القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا الكمال ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه
فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ومن ملائكته وهو العلم والحرية واما العلم فما ذكرناه من معرفة الله
واما الحرية فالخلاص من اسر الشهوات وهموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة
ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال
لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملائكة اشبه
ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده في اقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى
عدم ونقصان فانه عبارة عن عدم التغير وعدم التأثر بالعوارض وهلاكها والهلاك نقص في الذات فعاد صفات الكمال للذات فاذا
الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا وهي كمال العلم وكمال الحرية واعني به عدم العبودية
للشهوات وارادات الاسباب الدنيوية وكمال القدرة وللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى
اكتساب كمال القدرة الباقية معه بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته
وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم
فاكبوا على طلب كمال القدرة بالمال والجاه وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية
والعلم الذي اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا
هم ينظرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك والعلم

والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا للنفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث
قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه فاختلط به نبات الارض الاية وكلما تذروه الرياح بالموت فهو زهرة الحيوة
الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا اصل
له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منها الى الكمال الحقيقي بيان ما يحمد من حب
الجاه وما يذم مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة
الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الاخرة فكل ما خلق الله من الدنيا فيمكن ان يتزود منه الى الاخرة وكما انه
لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام
يتناوله فيجوز ان يحب الطعام والمال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان
يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له
في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون في قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده
وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان
الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان لا يكون المال والجاه واعيانهما محبوبين له
بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء
الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراد به التوصل الى محبوب فالمحبوب
هو المقصود المتوصل اليه وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع
ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا
يدور به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول فكذا
الجاه والمال وقد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوصل الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما
فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية
وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى المال والجاه
بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سياتي فان قلت طلب الجاه والمنزلة في قلب استاذه
وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق او يباح كيف ما كان او يباح الى حد مخصوص وعلى وجه مخصوص فاقول
يطلب ذلك على ثلثة اوجه وجهان منها مباح ووجه محظور اما المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم
فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لانه
تلبيس وكذب اما بالقول واما بالفعل واما المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه السلم
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثاني
ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على
القبايح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فايدة في العلم به كالذي
يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع
بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات تحسين الصلوة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس اذ
يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا

بكل

بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او في غيره
فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح
النفس به وميل الطبع اليه وبغضه للذم ونفرته منه اعلم ان لحب المدح والتذاذ القلب به اربعة اسباب الاول وهو الاقوى
شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت
والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او محسوسا كانت اللذة به اقل
ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن
لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه
اعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال علمه وكمال
ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه
فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر
الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة
والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة فان صدر ممن يجازف في الكلام او لا يكون بصيرا في ذلك الوصف ضعفت اللذة
وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به
مؤلم ولذلك يعظم الالم اذا صدر من بصير موثوق به في ذلك كما ذكرناه في المدح السبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح
ملك للممدوح وانه مريد له معتقد فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم
اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المثني ممن لا يؤبه له ولا
يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم
ويتالم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفايت به اعظم السبب الثالث ان ثناء المثني ومدح المادح سبب
لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا مختص بثناء يقع على الملأ
فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس السبب الرابع ان المدح
يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة
لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما يمدح به ولكن كونه مضطرا الى
ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فيكون لذة ثناء القوي الممتنع من التواضع
بالثناء اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة
اما العلة الاولى وهي استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح ان المادح غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب او سخي او عالم
بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة
الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة
بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء
فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلثة
فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتالمها بالذم وانما ذكرنا ذلك لتعرف طريق العلاج لحب الجاه
وحب المدح وخوف الذم فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض بيان علاج

حب الجاه اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لاجلهم و
لا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة
الى التساهل في العبادات والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوسل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين فقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق
هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس يضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال
حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه اذن من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه
كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة
على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد تبين ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك
كل من على وجه الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات
قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحيوة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم
الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها
ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى
مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة الى غير ذلك من الآيات فمن هذا حاله فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر
في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام
على جاهه ومحترز من ان يتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض
فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه و
دفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء اشتغال عن الله وتعرض لمقته في العاجل والآجل كل ذلك هموم عاجلة مكدرة للذة
الجاه فلا يفي رجاء الدنيا بخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة واما
من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب
الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول
وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم من اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا
غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك
بل له ان يفعل المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما
وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك
عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن انه يشرب الخمر فيسقط من الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث
الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما راوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط
منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف
في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقرب الطرق في قطع الجاه
الاعتزال عن الناس والهجرة الى مواضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو من حب المنزلة التي
ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت

بمقصودها

بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتالمت وربما توصلت
الى الاعتذار من ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به
وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه
ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا
اصبح الناس كلهم عنده كالاراذل فلا يبالي اكان له منزلة في قلوبهم ام لم يكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم في اقصى المشرق
لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس ومن استغنى عن الناس
لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته بالقلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين
على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من قلة او علة او ذلة
وينظر في احوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم
اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس
رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح
ويكره الذم اما السبب الاول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك
هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة تستحق بها الفرح كالثروة والجاه و
والاغراض الدنيوية فان كانت من الاغراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه
الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول اشد الفرح عنك بشئ يسرك تفترق عنه صاحبه لا محالة فلا ينبغي ان يفرح بعروض
الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بمدح المادح بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما
يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقربه عند الله
وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور
ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح
لان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلم ينبغي ان تفرح بالمدح والمدح
لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجهل ومثالك مثال من يهزأ
به انسان ويقول سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي تفوح منه اذا قضى حاجته وهو
يعلم ما يشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح بذلك فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت
والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فان المادح ان صدق
فليكن فرحك بصفاتك التي هي من فضل الله عليك وان كذب فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح واما السبب الثاني
وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق
وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس
وفرحك بها يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به واما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح
فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا يستحق بها الفرح بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه
وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناها في كتاب آفات اللسان قال بعض السلف
من فرح بمدح فقد امكن الشيطان ان يدخل في قلبه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان

يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وقد جاء في بعض الاخبار ما لو صح لكان قاصما لظهورنا ان رجلا اثنى على
رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي بالذي قلت فمات على ذلك
دخل النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم مرة للمادح ويحك قطعت ظهره ولو سمعك ما افلح الى يوم القيمة وقال
لهم الا لا تمادحوا واذا رايتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته
وما يدخل على القلب من السرور به وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان
اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح على الحقيقة هو المقرب الى الله والمذموم
بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله
اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم
ان الاجال والارزاق بيد الله قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه

بيان علاج كراهة الذم قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول
الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة واما ان يكون
صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت واما ان يكون كاذبا فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه
وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلد منته فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغي ان تفرح
وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليه فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه
غاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان
كنت غافلا عنه او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته
منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك
ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك
قائل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة
في الاخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان يغتنمه فاما قصد العدو التعنت فجناية منه على دينه
وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به وتضرر هو به الحالة الثالثة ان يفتري عليك بما انت
بريء منه عند الله فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب
فلا تخلو عن امثاله واشباهه وما ستره الله من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما
انت بريء منه والثاني ان ذلك كفارة لبقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت بريء منه وطهرك من ذنوب
انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر
وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك الى الله وانت تزعم انك تحب القرب من الله واما الثالث فهو ان المسكين قد جنى على دينه
حتى سقط من عين الله عز وجل واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عليه
فتشمت الشيطان به فتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وآله
وسلم اذ قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا ابرهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة وقال اني اعلم اني
مثاب بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك
لم يعظم اثره في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح

في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان
يطمع طالب المال والجاه وحب المدح وبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

بيان اختلاف احوال الناس في المدح والذم اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب
من الذم ويحقد على الذام ويكافئه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب الحالة الثانية
ان يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن
اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال الحالة الثالثة وهو اول درجات الكمال ان يستوي عنده
ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته
وعلاماته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجده في المادح وان لا يجد في نفسه زيادة
هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع
المادح وان لا يكون موت المادح المطري له اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينه من
زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على
القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما
شعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد
اطاع الله بمدحك فكيف تسوي بينهما فانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر
علم ان في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم
ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره كما يجد الذام بذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو
المذموم او غيره فاذا العابد المغرور يغضب لنفسه ولهواه ثم الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد انه ماجور
بهواه ويزيد على ذلك بعد ان الله سبحانه يطلع على مكايد الشيطان وافات النفوس فاكثر عبادات العباد تعب ضائع ينقص
عليهم في الدنيا ويحرمون في الاخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر
مضرة له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته وقد قال صلى الله عليه وآله
راس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روي انه صلى الله
عليه وآله وسلم قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت
نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح
والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها
ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية ما وفت بها فانها لا بد ان تتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجته وتتثاقل
عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حاجته ولا نقدر ان نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سريرة القلب
ومن قدر على التسوية بين المادح والذام في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان فان وجد فهو الكبريت
الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب فيها درجات اما الدرجات في المدح فهي
ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة
المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات

فلا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فإنها دنيا فإن حد هذا الكلام الذي يستميل به القلوب
وحدود الأعمال لا يمكن أن يضبطها فيوشك أن يقع منها إلى ما لا يحل ليتوسل إلى نيل الحمد وهو قريب من الهالكين جداً ومنهم
من لا يريد المدح ولا يسعى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فإن لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف
الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التي قبله وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض
السرور عليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من إذا سمع المدح لم
يسر به وإذا سمع الذم لم يغتم ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير وإن كان قد بقي عليه بقية من الإخلاص ومنهم من إذا سمع المدح
يكره وإذا سمع الذم يكره المدح إذا سمعه ولكن لا ينتهي به إلى أن يغضب على المادح وينكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويغضب
ويظهر الغضب فهو شاذ نزيه لا أن يظهر الغضب وفي قلبه يحبه فإن ذلك عين النفاق لأنه يريد أن يظهر من نفسه الإخلاص
والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا يتفاوت الأحوال في حق الذام وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار
الفرح ولا يكون الفرح وإظهاره إلا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة
وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والإنسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا سمع
ذم الذام عليها ويشكره على فطنته وذكائه لما وقف عليها من عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده
إذ صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه وإذا سيقت إليه حسنات لم ينصب فيها فعساها يكون جبر العيوب
التي هو عاجز عن إماطتها ولو جاهد المريد طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو أن يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له
شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها إلا بالمجاهدة
الشديدة في العمر الطويل. الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء
وما يراءى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه
وبيان الرخصة في إظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفاً من الرياء والآفات وبيان
ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعات وبعدها وفيه
عشرة فصول. بيان ذم الرياء: اعلم أن الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار والآثار
أما الآيات فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون وقوله تعالى والذين
يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور وقال تعالى إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً فمدح المخلصين
بنفي كل إرادة سوى وجه الله والرياء ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً
نزلت فيمن يطلب الأجر والحمد بعباداته وأعماله وغير ذلك وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله
رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وفي حديث الثلاثة المقتول في سبيل
الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله كما أوردناه في كتاب الإخلاص أن الله تعالى يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت
أن يقال للشجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال فلان قارئ فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم أنهم لم يثابوا وأن رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من راءى راءى الله به ومن سمّع سمّع الله به
وروي في حديث طويل أن الله تعالى يقول للملائكة إن هذا لم يرد بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وآله
إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة
إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وآله

استعيذوا

استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم أعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقول
الله تعالى من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك وقال عيسى صلوات الله عليه إذا كان
يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم وإذا أعطى بيمينه فليخفه عن شماله وإذا
صلى فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل الله عملاً فيه مثقال ذرة
من رياء وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أدنى الرياء شرك وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن في ظل العرش يوم لا ظل
إلا ظله رجلاً تصدق بيمينه فكاد أن يخفيها عن شماله وكذلك ورد أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفاً
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن المرائي ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ
أجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن أوس رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي فقلت ما يبكيك قال إني تخوفت على
أمتي الشرك أما إنهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولكنهم يراءون بأعمالهم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
لما خلق الله الأرض مادت بأهلها فخلق الجبال فصيرها أوتاداً للأرض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقاً هو أشد من الجبال
فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذابت الحديد ثم أمر الله تعالى الماء بإطفاء النار وأمر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة
فقالت نسأل الله تعالى فقالت يا رب ما أشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم أخلق شيئاً أشد من ابن آدم حين يتصدق
بيمينه بصدقة فيخفيها عن شماله فهذا أشد خلق خلقته. وروى عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ
حدثني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي يا معاذ قلت لبيك بأبي أنت وأمي قال إني محدثك حديثاً إن أنت حفظته نفعك
وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السماوات
والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكاً بواباً عليها قد جللها عظماً فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى حين
أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا طلعت به إلى السماء الدنيا زكته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب
الغيبة أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني إلى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتزكيه وتكثره
حتى يبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بهذا
عرض الدنيا أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد
يبتهج نوراً من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة
بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزون به إلى السماء الرابعة فيقول لهم الملك
الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وبطنه أنا ملك العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان إذا
عمل عملاً أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به إلى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة إلى أهلها
فيقول لهم الملك بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد الناس من يتعلم
ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلاً من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال
وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل
بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنساناً قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر بل كان يشمت به أنا ملك
الرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة

ما اجتهاد وورع لها وقع كوقع الرعد وضوء كضوء الشمس معها ثلثمائة ملك فيجوزون بها الى السماء الثانية فيقول الملك
الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا جوارحه واقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به
وجه ربي انه اراد بعمله غير الله انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله
يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة
وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر كثير وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه
ويشهدون له بالعمل الصالح الخالص لله قال فيقول الله انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل
واراد به غيري فعليه لعنتي فيقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه
السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ
حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم
ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الاخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك
ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيمة في
النار قال الله تعالى والناشطات نشطا اتدري ما هن يا معاذ قلت ما هي بابي انت وامي يا رسول الله قال كلاب في النار تنشط
اللحم والعظم قلت بابي انت وامي يا رسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه
قال فما رأيت احدا اكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث وقال علي عليه السلام للمرائي ثلث علامات يكسل اذا كان
وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا لم يثن عليه اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الصادق
عليه السلام قال قال الله تعالى انا خير شريك من اشرك معي غيري في عمل عمله لم اقبله الا ما كان لي خالصا وعنه عليه السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا لا يريدون به
ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم وعنه عليه السلام قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجا به فاذا صعد بحسناته يقول الله تعالى اجعلوها في
سجين انه ليس اياي اراد به وباسناده قال قال امير المؤمنين عليه السلام ثلث علامات للمرائي ينشط اذا رأى الناس ويكسل
اذا كان وحده ويحب ان يحمد في جميع اموره وعنه عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام اخشوا الله خشية ليست بتعذير
واعملوا لله في غير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى عمله وعن الباقر عليه السلام قال الابقاء على العمل اشد من
العمل قال وما الابقاء على العمل قال يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتبت له سرا ثم يذكرها فتمحى
وتكتب له رياء وعن الصادق عليه السلام انه قال لعباد بن كثير البصري في المسجد ويلك يا عباد اياك والرياء فانه من عمل لغير الله
وكله الله الى من عمل له وعنه عليه السلام اجعلوا امركم هذا لله ولا تجعلوه للناس فانه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد
الى الله وعنه عليه السلام كل رياء شرك انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله وعنه عليه السلام
في قول الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال الرجل يعمل شيئا من الثواب
لا يطلب به وجه الله انما يطلب تزكية الناس يشتهي ان يسمع به الناس فهذا الذي اشرك بعبادة ربه ثم قال ما من عبد اسر خيرا
فذهبت الايام ابدا حتى يظهر الله له خيرا وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله له شرا وعنه عليه السلام قال ما يصنع
احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس يرجع الى نفسه فيعلم ان ذلك ليس كذلك والله تعالى يقول بل الانسان على نفسه
بصيرة ان السريرة اذا صحت قويت العلانية وعنه عليه السلام قال من اراد الله بالقليل من عمله اظهر الله له اكثر مما اراد ومن

الظ

اراد الناس بكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله ابى الله الا ان يقلله في عين من سمعه وعن الرضا عليه السلام انه قال لمحمد بن
عرفة ويحك يا ابن عرفة اعملوا لغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى ما عمل ويحك ما عمل احد الا رداه الله به ان خيرا فخير
وان شرا فشر قال البهائي واما الآثار فروي ان ابا امامة الباهلي اتى على رجل في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال رجل
لعبادة بن الصامت اقاتل في سبيل الله اريد به وجه الله ومحمدة الناس قال لا شيء لك فسأله ثلث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك
ثم قال في الثالثة ان الله يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة
لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه
الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادى يوم القيمة باربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له
فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل كانوا يراؤون بما يعملون وصاروا اليوم يراؤون بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله يعطي العبد
على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول
الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد
يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلثة قراء الدنيا وقراء الملوك وقراء الرحمن وقال ابن
المبارك ان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قيل وكيف ذلك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله
من اراد ان يشتهر **بيان** حقيقة الرياء وما يراءى به اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء
اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلب باعمال سوى العبادات وتطلب
بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة المنزلة بطاعة
الله تعالى فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي
اظهارها والرياء هو قصد اظهار ذلك والمراءى به كثيرة ويجمعها خمسة اقسام وهي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو البدن
والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة ولذلك اهل الدنيا يراؤون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد
الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات اهون من الرياء بالطاعات فالرياء في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول
والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الاخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار
على سهر الليل وكثرة الارق في الدين وكذلك ان يرائي بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر
وهذه الاسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعو النفس الى اظهارها
لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان
وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي ضعف قوته وعن هذا قال عيسى عليه السلام اذا صام احدكم
فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا
صياما مدهنين فهذه مراءاة اهل الدين بالبدن واما اهل الدنيا فيراؤون باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة
وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها الثاني الرياء بالزي والهيئة اما الهيئة فبتشعيث شعر الرأس
وحلق الشارب واطراق الرأس في المشي والهدوء في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها
الى قريب من نصف الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه انه متبع السنة
فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومنه لبس المرقع والصلوة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس
من حقائق التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرى انه ينتهي تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف

الى الاعين لتتميز بتلك العلامة ومنها المدرعة والطيلسان يلبسه وهو خال من العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراؤون بالزي
على طبقات منهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة الغليظة ليرائي بغلظها
ووسخها وتخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه
ان يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح و
وعند اهل الدنيا من الملوك والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب البذلة المخرقة ازدرتهم
اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية
الرفيعة والمرقعات المصبوغة والفوطة الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب احدهم قيمة ثوب الاغنياء وهيئته ولونه لون ثياب
الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط
من اعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الثوب الديبقي والكتان الرقيق الابيض والقصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم
لعظم عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال
الى ما دونه او ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا فمراياتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع
والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيل وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون
في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة ما لم يبالغوا في الزينة الثالث الرياء بالقول ورياء اهل
الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال في المحاورة واظهارا لغزارة العلم ودلالة
على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق
واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن
ليدل بذلك على الحزن والخوف وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف انه
بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في
علم الدين والرياء بالقول كثير وانواعه لا تنحصر واما اهل الدنيا فمراياتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات
وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب الرابع الرياء بالعمل كمراءاة المصلي
بطول القيام ومده وتطويل السجود والركوع واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين
واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات بالمشي عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس
الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين رجع الى الوقار واطراق
الراس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى الخشوع ولم يحضره ذكر الله حتى
يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيى
من ان يخالف مشيته في الخلوة لمشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى
التغيير ويظن انه تخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته في الخلوة
ليكون كذلك في الملأ لا لخوف من الله وحياء منه واما اهل الدنيا فمراءاتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا
والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة الخامس المراءاة بالاصحاب والزائرين والمخالطين
كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون
ويترددون اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر

الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراياته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره
ومن لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون
كلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة
وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره
او صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه
قد قطع طمعه من اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في اسبابه فانه نوع قدرة واستيلاء وكمال في الحال وان كان سريع
الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالحمد
والثناء ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز
الحوائج على يديه فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى
وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤون بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة وما به يقع الرياء فصل
فان قلت فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او
بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال
بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو
ما يسلم به عن الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكما ان المال
فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل
ففتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا
حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال
ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام
بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده من علماء الدين ولكن
انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند
الخروج الى الناس مراءاة وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل
عليه ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اراد يوما ان يخرج على اصحابه فكان ينظر في حب الماء
ويسوي عمامته وشعره فقالت او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم
نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة
قلوبهم ولو سقط من اعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لئلا تزدريه اعينهم فان
اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن لو قصد قاصد
ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحذر من الم
المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم فاذن المراءاة بما ليس من العبادات قد تكون
مباحا وقد يكون طاعة وقد يكون مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من
الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذه مراءاة ليس بحرام وكذلك امثاله اما العبادات
كالصدقة والصلوة والصوم والحج فللمرائي فيه حالتان احداهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل

عبادة لان الاعمال بالنيات وهذا اذا قصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دلت عليه الاخبار والايات والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس في امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم بذلك لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر والثاني يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله تعالى انظروا الى عبدي كيف يستهزئ بي ومثاله ان يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عمله واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سياتي في درجات الرياء ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن في الرياء الا انه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله ولعمري لو قصد غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يسجد ويركع لهم فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظمه باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم واقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله اليهم في الدنيا والاخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بل يقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الاخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان يشك في ان المرائي بطاعة الله في مقت الله من حيث النقل والعقل جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا في صدقته وصلاته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما نقلناه في الاثار قول من قال على انه لا اجر فيه اصلا

بيان درجات الرياء

اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلاثة المراءى به والمراءى لاجله ونفس قصد الرياء الركن الاول نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة عبادة الله والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان تكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف او مساوية لارادة العباد فتكون الدرجات اربعا الدرجة الاولى وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداها فهذه الدرجة العليا من الرياء الدرجة الثانية ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن



الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد الثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم الدرجة الثالثة ان يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة وكان كل واحد لو انفرد لا يستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فنرجو ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا فيه في كتاب الاخلاص الدرجة الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم فالذي نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح الركن الثاني المراءى به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء بالاصول وهو على ثلاث درجات الدرجة الاولى الرياء باصل الايمان وهو اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمة الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي في دلالة قولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها الاية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والايات فيه كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من الدنيا باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الاخرة ميلا الى قول الملاحدة او يعتقد طي بساط الشرع والاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر الدرجة الثانية الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلاة وهو في جمع فيصلي معهم وعادته ترك الصلاة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه او يبر والديه لا عن رغبة في الثواب لكن خوفا من الناس او يغزو او يحج كذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لغير الله لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد الدرجة الثالثة ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكن يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكن يكسل في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة ونحو ذلك فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق

فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله تعالى وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها
وكأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات القسم الثاني الرياء بأوصاف العبادات
لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات الدرجة الأولى أن يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف
الركوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين
وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه أي أنه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فإذا اطلع
عليه آدمي أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي إنسان متربعا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك تقديما
للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلاة في الملأ دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد
إخراج الزكاة من الدنانير الردية أو من الحب الردي فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم
يصون صومه عن الغيبة والرفث لأجل الخلق لا إكمالا لعبادة الصوم فهذا أيضا من الرياء المحظور لأن فيه تقديما للخلق
على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول التطوعات فإن قال المرائي إنما فعلت ذلك صيانة لألسنتهم عن الغيبة فإنهم إذا رأوا
تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والغيبة فإنما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال
هذه مكيدة الشيطان وتلبيس وليس الأمر كذلك فإن ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك
من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدي وصيفة إلى ملك لينال
منه ولاية يتقلدها فيهديها إليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يبالي به إذا كان الملك وحده وإذا كان عنده بعض
غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي أن يكون مراقبته للملك أكثر نعم للمرائي
فيه حالتان إحداهما أن يطلب بذلك المنزلة والحمد عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية أن يقول ليس يحضرني الإخلاص في تحسين
الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتي ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم فأستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم و
لا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه أدنى نظر والصحيح أن
الواجب عليه أن يحسن ويخلص فإن لم تحضره النية فينبغي أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم
بالمراءاة بطاعة الله فإن ذلك استهزاء كما سبق الدرجة الثانية أن يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم
التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة إلى التكبيرة
الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت
وكاختيار الأجود على الجيد في الزكاة وإعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا ونفسه لكان لا يقدم
عليه الدرجة الثالثة أن يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الأول
وتوجهه إلى يمين الإمام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا ونفسه لكان لا يبالي أين وقف ومتى
يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يرائي به وبعضها أشد من بعض والكل مذموم الركن الثالث المراءى
لأجله فإن للمرائي مقصودا لا محالة فإنما يرائي لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لا محالة وله أيضا ثلاث درجات الدرجة الأولى
وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل و
الامتناع من أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولى القضاء والأوقاف والوصايا ومال الأيتام فيأخذها أو تسلم
إليه تفرقة الزكوات أو الصدقات ليستأثر بما يقدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويجحدها أو تسلم إليه الأموال التي
تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها أو كلها أو يتوسل بها إلى استتباع الحجيج ويتوسل بقوتهم إلى المقاصد الفاسدة في المعاصي

وقد يظهر بعضهم زي الصوفية وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التحبب إلى امرأة
أو غلام لأجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة
النسوان والصبيان أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من غلام أو امرأة وهؤلاء أبغض المرائين إلى الله تعالى
لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلما إلى معصيته واتخذوه آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو
مقترف بجريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه
الناس بها فيتصدق بالمال ليقال إنه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب إلى الفجور بامرأة أو غلام
فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى الدرجة الثانية أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال
أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال وترغب في
نكاحه النساء فيقصد إما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد
فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لأنه يطلب بطاعة الله متاع الدنيا ولكنه دون الأول
فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه الدرجة الثالثة أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن
ينظر إليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد أنه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا فيطلع عليه
الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدا منه المزاح
فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة الآدمي عن نفسه
والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون
التراويح ويتهجدون أو يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون فيوافقهم خيفة أن ينسب إلى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه
لكان لا يفعل شيئا منه وكالذي يعطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خوفا من أن يعلم الناس أنه غير صائم
فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجلهم أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأنه صائم ولكن يقول
لي عذر وهو جمع بين خبيثين فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء وأنه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا
فيريد أن يقال إنه ساتر لعبادته ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا أو تعريضا بأن يتعلل
بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن به
أنه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل أن يقول إن فلانا محب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل
الإنسان من طعامه وقد ألح علي اليوم ولم أجد بدا من تطييب قلبه ومثل أن يقول إن أمي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن أني
لو صمت يوما مرضت فلا تدعني أن أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا لرسوخ عرق الرياء في
الباطن أما المخلص فإنه لا يبالي كيف نظر الخلق إليه فإن لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد
غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وإن كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن في إظهاره
اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس وفيه مكيدة وغرور سيأتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف
المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد المهلكات وإن من شدته أن فيه شوائب هي أخفى من دبيب النمل كما ورد
به الخبر تزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهال بآفات النفوس وغوائل القلوب بيان الرياء الخفي الذي هو
أخفى من دبيب النمل اعلم أن الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاه و
أخفى منه قليلا هو ما لا يحمل على العمل بمجرده إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه

فاذا دخل عليه الضيف تنشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي بمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك
ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل
لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل
يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك واذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور
يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان
الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة
السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه
حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى
التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض
الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك
ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا رأى الناس احب ان يبدأوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة
والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع والشراء وان يوسعوا له المكان وان قصر
فيه مقصر ثقل على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كأن نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه
لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها
في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك
ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي عليه السلام انه قال ان الله تعالى يقول للقراء يوم القيمة
الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدئون بالسلام الم يكن تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم
وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب بن منبه انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان
فنخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم
لمكان دينه وان سأل حاجة احب ان يقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم
فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك فقال للغلام ائتني
بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت
قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني
وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة يحرصون على
اخفائها فواحشهم كل ذلك رجاء ان يخلص عملهم فيجازيهم الله في القيمة باخلاصهم على ملأ من الخلق اذ علموا ان الله لا
يقبل في القيمة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيمة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده
ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد منهم نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة
فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والنبهرج والحاجة تشتد في البادية
ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذي يتزودونه من
التقوى فاذن شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة
من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرته البهائم او الصبيان الرضع او غابوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا فلو كان



مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا
اجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل
شوب محبطا للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم
كله او بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة اقسام الاول
ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم عليه واظهر الجميل من احواله
فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة
ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال
الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به الثاني ان يستدل باظهار
الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به في الآخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ما ستر الله على عبد ذنبا في الدنيا الا ستره عليه في الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا
التفات الى المستقبل الثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر
العلانية بما اظهر آخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة فله مثل اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من
اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة الرابع ان يحمده
المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى
اهل الطاعة فيمقته ويحسده او يذمه ويهزأ به او ينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص
في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه واما المذموم وهو الخامس فهو ان يكون فرحه لقيامه في
قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه

**بيان** ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا
يخلو اما ان ورد عليه بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا
يفسد العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف
هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا ما دخل من السرور
والارتياح على قلبه **اقول** ويدل على هذا ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام انه سئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه
انسان فيسره ذلك قال لا بأس ما من احد الا وهو يحب ان يظهر الله له في الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك وقد
روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه احد فيطلع عليه فيسرني قال
لك اجران اجر السر واجر العلانية رواه ابو حامد في موضع آخر كما تقدم ثم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن
ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه يحبط فقد روي عن ابن مسعود
انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة سورة البقرة فقال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم قال ذلك لانه اظهره وقيل
هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيف ما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن مسعود
استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصد له لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرأ
من العمل مبطلا للثواب بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها

بخلاف ما لو تعين عقد الريا قبل الفراغ فان ذلك مبطل واما اذا ورد عارض الرياء قبل الفراغ من الصلوة بعد ان
انعقد على الاخلاص ولكن بعده في اثنائها داعية الرياء فلا يخلو اما ان يكون بمجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون باعثا
على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العمل به حبط اجره ومثاله ان يكون في تطوع فتجدد له نظارة او حضر ملك من
الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلوة فاستتمها
خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم العمل كالوعاء
اذا طاب آخره طاب اوله اي النظر الى خاتمته ومن راءى ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهو من اعلى الصلوة
هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منها مستقل فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من
الصلوة فاما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلوته ففرح
بحضورهم وانعقد الرياء وقصد تحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر
في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة
مهجورا فهذا ايضا ينبغي ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام
بشرط ان لا يطرأ ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا تفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء قصد الثواب
وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولا يتغير ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين
فاما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على
الاتمام ايراد وقد سلفنا ما يدل على ذلك من النص قال واما الاخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا
لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان
ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغي ان تفسد الصلوة ولا يبعد ايضا
ان يقال ان الذي وجب عليه صلوة خالصة لوجه الله والخالصة ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم
عند الله تعالى وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الان فليرجع اليه هذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة
اما قبل الفراغ او بعده القسم الثالث الذي يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلوة على قصد الرياء فان تم عليه حتى يسلم فلا
خلاف في انه يعصي ولا يعتد بصلوته وان ندم عليه في اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلثة اوجه فقالت فرقة
لم تنعقد صلوته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة يلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود ويفسد افعاله دون تحريم
الصلوة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت طائفة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر
الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتداها بالاخلاص وختم بالرياء لكان لا يعتد
عليه وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلوة والركوع والسجود
لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن قد اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة
لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلوته ومذهب الفريقين الاخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزم
اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زائدة في الصلوة فتبطل الصلوة
كذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة
الاحكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد
دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس

تحرم بالصلوة وكان بحيث لو كان وحده ايضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلوة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة
باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهرت له الرغبة في المحمدة
ايضا فاجتمع الباعثان فههنا اما ان يكون في صدقة او قراءة او ما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلوة وحج
فان كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر وان كان في صلوة
تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا فان كانت نفلا فحكمها ايضا حكم الصدقة
فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان واما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكل
واحد منهما لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فههنا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا
في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث
الفرض لانشأ صلوة تطوعا لاجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان الواجب صلوة
خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد
وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلوة
في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلوة ويسقط الفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في اصل
الصلوة اما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون اصل الصلوة مثل من بادر بالصلوة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا
لاخرها الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض
لان باعث اصل الصلوة من حيث انها صلوة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد عن القدح في النية هذا في رياء
يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره بحيث يؤثر في العمل فبعيد ان يفسد الصلوة
فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسألة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا
لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب
وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله تعالى فيه بيان
دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه لقد عرفت مما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله وانه من كبائر
المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية
البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتميز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى
الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا
بعد كمال العقل وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا
ينفك احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان احدهما قطع عروقه واصوله التي منها
انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال المقام الاول في قطع عروقه واستيصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا
فصل رجع الى ثلثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع فيما في ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب
وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله الرجل
يقاتل حمية ومعناه انه يأنف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب وقال الرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه
والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قاتل

لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان
يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من غزا لا يبغي
الا عقالا فله ما نوى فهذه اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء
وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر
من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون
جميع الليل فيصلي ركعات معدودة كيلا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر
على الصبر على الم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم
بالحديث وهو به جاهل وكل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلاثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في
الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الان ما يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه انه
خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا
بان له ان فيه سما اعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته
من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد
والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤس الخلائق يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت
قلوب العباد واستهزأت بنظر الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالتبعد
من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في
هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل
الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيئات فيترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في
الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه
الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء
هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق
يسخط به فريق ومن رضاه بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم عليه ثم اي
غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا
الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب
ووهم فاسد قد يصيب وقد لا يصيب واذا اصاب فلا تفي لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم
شيئا ما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل اجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان
محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا
ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما
يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله
عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراء وممقوت عند الله ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم
وسخرهم له واطلق السنتهم بالمدح والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين
وان ذمي شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه

فاي خير

فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود وفي زمرة المقربين فمن
احضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحيوة مع ما فيه من الكدورات
والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه
انوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطائف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا
واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في
الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء واما الدواء العملي فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق
الابواب دونها كما يغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم
غير الله به وقد روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له ابو حفص اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه
لا تجالسنا بعدها فلم يرخص لاظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا بعض دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل
الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل
الطاف الله تعالى وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد
المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه اجرا عظيما المقام الثاني في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه
وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقط نفسه من اعين المخلوقين واستحقر مدح المخلوقين وذمهم
فالشيطان لا يتركه في اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء ولا ينقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها
لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد
وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول
المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى
الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه
الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال ما لك وللخلق علموا او لم يعلموا والله
عالم بحالك فاي فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت
عند الله يوم القيامة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة
الرياء ايضا تثير كراهية لم يقابله تلك الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول
والكراهة تدعوه الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة اقواهما واغلبهما فاذن لا بد في دفع الرياء من ثلاثة امور المعرفة والكراهة والاباء
وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة والكراهة التي كان اضمر
عليها وانما سببه امتلاء القلب بخوف الذم وحب المدح واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع
لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد وخوف
الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به
غضبه فينسى ما تقدم ويمتلئ قلبه غيظا ويمنعه من تذكر آفة الغضب ويشغله عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتنفي
نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر
ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد

السابق حتى ذكرنا ما اكثر الشبهات التي تهجم فجاة هكذا تكون اذ تكون معرفة مضرته الداخلة في عقد الايمان وبها فتنه
المرة لم يظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له خاطر الرياء الذي اعرض به لسخط الله
ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة او يتشاغل عن التفكر
في ذلك لشدة الشهوة وكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى ذكره الا الرياء الخالص وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه
عليه الحجة اوكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه معرفته اذ خلت المعرفة عن الكراهة
وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة
وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة ان يصرفه عن الفعل فاذن لا فائدة الا في اجتماع الثلث وهي المعرفة
والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب
الغفلة وحب الدنيا ونسيان الاخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التامل في افات الحيوة الدنيا وعظيم نعيم الاخرة
وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوة فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة
حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغير القلب وتغشيه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب
والسنة وانوار العلوم فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك لا يخلو
عن ميل الطبع اليه وحبه له وهو مع ذلك كاره لحبه وميله وغير مجيب اليه فهل يكون في زمرة المرائين فاعلم
ان الله تعالى لم يكلف العبد الا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات
ولا ينزع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم
الاخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلفه ويدل على ذلك من الاخبار ما روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا اشياء لان نخر من السماء فتخطفنا الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب
الينا من ان نتكلم بها فقال او قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة ولا يمكن
ان يقال اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو دون
الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع ضرر الاصغر اولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث ابن عباس الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك
لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذن وسوسة الشيطان
ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادها بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب
المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من نفسك والكراهة من الايمان ومن اثار العقل الا
ان للشيطان ههنا مكيدة وهو انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان صلاحه في الاشتغال بمجادلة الشيطان
وطول الشرع في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف
عن سر المناجاة مع الله عز وجل وذلك يوجب نقصانا في منزلته عند الله والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على اربع
مراتب الاولى ان يرد على الشيطان مكيدته ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم للقلب
وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على
قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك الثانية ان يعرف ان القتال والجدال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه
ولا يشتغل بمجادلته الثالثة ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قدر في عقد ضميره كراهية الرياء

وكذبه

وكذبه الشيطان يستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة الرابعة ان يكون قد علم ان الشيطان
سيحسد عند جريان اسباب الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء
الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع ويروى عن الفضيل
بن عياض انه قيل له ان فلانا ذكرك بسوء قال والله لاغيظن من امره قيل ومن امره قال الشيطان ثم قال اللهم اغفر له ان
لاغيظه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من العبد هذه العادة كف عنه خيفة من ان يزيد حسناته وقال ابرهيم التيمي
ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطيعه ويحدث عند ذلك خيرا فاذا راه كذلك تركه وقال ايضا اذا راك الشيطان
مترددا طمع فيك واذا راك مداوما ملك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال مثالهم كاربعة
قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف ان يعرفوا الحق
فتقدم الى واحد منهم فمنعه وصرفه عنه ودعاه الى مجلس ضلال فابى فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرده
وهو يظن ان ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تاخره فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفعه
في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه
لم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية ومر به الرابع فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد في
عمله وترك الطريق في المشي فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة اخرى ان يعاود الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعود خيفة من
ان يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فالشيطان اذا كان لا يؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا
لوقوعه ام يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس في هذا على
ثلثة اوجه فذهبت فرقة من اهل البصرة الى ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله
واشتغلوا بحبه فاعتزلهم الشيطان وايس منهم وخنس عنهم كما يئس من ضعفاء العباد في الدعوة الى الخمر والزنا فصارت
ملاذ الدنيا وان كانت مباحة كالخمر والخنزير عندهم وانقطعوا عنها بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم
الى الحذر وذهبت فرقة من اهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن ايقن بان لا
شريك له في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس اليه امر ولا يكون الا ما اراد الله تعالى فهو الضار والنافع
والعارف يستحيي منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان
وما ذكره البصريون من ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية وهو وسيلة للشيطان بكل حال
غرور اذ الانبياء لم يتخلصوا من وساوس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وساوس الشيطان من الشهوات وحب
الدنيا بل في صفات الله واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغيره ولا ينجو احد من الخطر فيه والقران من اوله الى اخره تحذير من
الشيطان فكيف يدعي الامن منه وانما الحذر منه حسبما امر الله تعالى بلا ابتلاء في الاشتغال بمحاربته تعالى له فان من الحب لامتثال
وقد امرنا بالحذر من العدو كما امرنا بالحذر من الكفار فقال تعالى خذوا حذركم واسلحتكم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فاذا لزمك بامر الله الحذر من العدو الكافر وانت تراه فبان يلزمك الحذر
من عدو يراك ولا تراه اولى ولذلك قيل عدو تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وعدو يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك
واشار الى الشيطان كيف وليس في الغفلة من عداوة الكافر الا القتل وهو شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار
والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عن حذر ما قد حذره وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم ان في التاهب قدحا
في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يقدح

ذا التوكل الخوف مما خوفنا الله به والحذر عما امرنا بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع
من الاسباب بالكلية وقوله تعالى خذوا حذركم واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض امتثال التوكل مهما اعتقد
ان الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله فكذلك لا يحذر الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي هو الله ويرى الاسباب وسائط
مسخرة كما ذكرناه في كتاب التوكل وهذا ما اختاره الحارث المحاسبي وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه ان يكون من
الذين لا يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله ليستمر على الدوام وهو
ثم اختلف هذه الفرق على ثلثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي ان يكون شي اغلب
على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو
من ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته
الى الحذر منه فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما تعرض من حيث لا نحتسب وان تجردنا للذكر كنا قد اهملنا ذكر الله تعالى فالجمع اولى
وقال العلماء المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله تعالى فلا يخفى غلطه وانما
امرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك
الى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب ولم يكن فيه نور ذكر الله وقوة الاشتغال به خيف
ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يؤمر بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت
في القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد امر الله الخلق بذكره ونسيان
ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن
في قلبه اشتغل بذكر الله وكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان
له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف
يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على ان ينتبه في ذلك الوقت فينتبه في الليل مرات قبل اوانه لما اسكن في
من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو اذ كان
مجردا لذكر الله تعالى فاما مشتغل الهوى الخالي عن نور العقل والعلم وامامته ظلم الشهوات فاهل البصيرة اشتغلوا بقلوبهم بعلاج الشيطان
وترصده ولكن عرفوا ان الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاءوا بنور الذكر حتى ابصروا خواطر العدو
فمثال القلب مثال بئر يراد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منه الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر
والذي جمع بين ذكر الشيطان وبين ذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه جاريا اليه من جانب اخر فيطول تعبه ولا تجف البئر
من الماء القذر والبصير هو الذي جعل لمجرى الماء القذر سدا وملاه بالماء الصافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير
مشقة وزيادة تعب **بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات** اعلم ان في الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة
الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه افة الرياء قال بعض السلف قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا
فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان
احدهما في نفس العمل والاخر بالتحدث بما عمل **القسم الاول** اظهار نفس العمل كالصدقة في الملا لترغيب الناس فيها كما روي عن الانصاري
الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما راوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها
واجر من اتبعه ثم تجري سائر الاعمال هذا المجرى من الصلوة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع اغلب نعم الغازي
اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله من اعمال العلانية لا يمكن

فالمبادرة

فالمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلوة الليل لينبه جيرانه واهله فيقتدى به
فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوائب الرياء
واما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلوة فان كان اظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل
لان الايذاء حرام فان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال
قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة فهي افضل من السر ويدل على ان الله تعالى امر الانبياء باظهار
العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
له اجرها واجر من عمل بها وقد روي في بعض الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر
ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما
يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به
فلا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احديهما ان يظهره حيث يعلم ان يقتدى به او يظن ذلك
ظنا ورب رجل يقتدي به اهله دون جيرانه وربما يقتدي به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدي به اهل محلته وانما
العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه و
لم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة فانما يصح الاظهار بنية القدوة وعلى من هو في محل الاقتداء به والثانية
ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل
وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقوياء المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه
فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم
عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا الله ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه
مديد وهذه مزلة اقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا يقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط اجورهم
بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد اخر من اقرانه
ويكون لك في السر مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر
اقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا
ملاحظة لاعين الخلق ومراآتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوعة والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقل
ما تسلم الاعمال الظاهرة عن الافات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شيئا والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا
يقوى عليه امثالنا فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفاء **القسم الثاني** ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل
والخطر في هذا اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوى
عظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه اهون والحكم
ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة
في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب اليه ان صفت النية وسلمت من جميع الافات لانه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل
ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء فلا ينبغي ان يشتبه باظهار الاعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار
المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس لكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء
بمن هو مراء عند الله وقد روي انه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقرآن من البيوت

بعضهم بعمائله دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكاسر يستقيم فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه وقال الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما ورد في الاخبار والمرائي ممن يقتدى به منهم **بيان** الرخصة في كتمان الذنوب وكراهية اطلاع الناس عليها وكراهية ذمهم لها اعلم ان الاصل في الاخلاص استواء السر والعلانية كما قال عمر لرجل عليك بعمل العلانية قال وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك احد لم تستحي منه وقال ابو مسلم ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن انه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع وانه خائف من الله مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي اما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه **الاول** ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك ستره في القيامة اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستر عليه في الاخرة وهذا غم ينشا من قوة الايمان **الثاني** انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه واله وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه من محبة ما احبه الله وهذا ينشا من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه **الثالث** ان يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتاذى بالذم وينازع العقل ويشتغل عن الطاعة وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان **الرابع** ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتاذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما ان الضرب مؤلم للبدن وتالم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتالم به نعم كمال الصدق في ان تزول عنه رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله وان العباد عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع يتالم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تالم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم ان يغتم لفوات الحمد بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع ولا يحب ان يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بذلك غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم واما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعات طلب ثواب لطاعته في الحال واما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله وذمه له اكثر وقد يكره من حيث ان الذام قد عصى الله به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع **الخامس** ان يستر ذلك كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستر ذلك حذرا منه **السادس** مجرد الحياء فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالشر والحياء خلق كريم يحدث في اول الصبا مهما اشرق عليه نور العقل



فيستحيي من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الحياء خير كله وقال الحياء شعبة من الايمان وقال الحياء لا ياتي الا بخير وقال ان الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس قد جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو اشد حالا ممن يفسق فيستره ويستحيي الا ان الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء انه يستحيي وان سبب تحسينه للعبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديقه قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه يستحيي من رده ويعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء ولا لطلب ثواب فله عند ذلك احوال **احدها** ان يشافه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا من لا حياء له فان المستحيي اما ان يتعلل او يقرض فان اعطى فيتصور له ثلاثة احوال احدها ان يمتزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء او ينبغي ان تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هيجان الحياء **الثاني** ان يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال السرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه **الثالث** ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طالبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من الم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب او الاراذل لكان يرده وان كان الثواب فيه مثله فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحيي من المباحات ايضا حتى انه يرى مستعجلا في المشي فيعود الى الهدو او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحيي من شيبته ان تنكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن واحسن منه ان تستحيي من الله فلا تضيع الامر بالمعروف فالقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب **السابع** ان يخاف من اظهاره ذنبه سقوط وقع المعاصي من القلب وجراته عليها فان التصريح الفحش وظهور الذنوب يهون امرها واستر سلته شهواتها **الثامن** ان يخاف من ظهور ذنبه ان يجترئ عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة هي الجارية في اظهار الطاعة وهي القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه واله وسلم دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فان الله تعالى اذا احب عبدا احبه في قلوب عباده والمذموم ان تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك او على طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحبك لذلك كحب المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما **بيان** ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الافات

اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا
يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة ومجاهدات وانما
تصير لذيذة من حيث انها توصل الى الحمد والثناء وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر
على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلوة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق و
وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة القسم الاول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير و
لا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج فخطرات الرياء فيها ثلثة احدها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس
وليس معه باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان
على ان يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها الا تستحيين من مولاك لا تسخين بالعمل لاجل عباده حتى اندفع باعث الرياء وسخت النفس
بالعمل لله تعالى عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة عليه فليشتغل بالعمل الثانية ان ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد
العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص
بالمعالجة التي ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول الثالثة ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه
فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان
يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجبه واشتغلت دعاك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقي يقول لك ان هذا العمل ليس بخالص
وانت مراء وتعبك ضايع فاي فايدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت
غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها تراب فقال له خلصها من التراب ونقها تنقية
بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فيترك العمل من اصله وهو ترك الاخلاص
مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا من الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون الله به فهذا من مكائد الشيطان
لانه اولا اساءة الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك
العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لحمدهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا انه مراء او قالوا انه مخلص
واي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مراء وان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكائد الشيطان على
الجهال ثم كيف يطمع ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الان يقول الناس انك تركت
العمل ليقال انك مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك
حلاوة معرفة الناس لزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص بل لا نجاة منه الا بان تلزم قلبك
معرفة آفة الرياء وانه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل
ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد
باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله اذا دعتك نفسك الى ان تستبدل
بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك لمقتوك بل ان قدرت ان تزيد في العمل حياء من ربك و
عقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انك مراء فاعلم كذبه لما تعلم في قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك
منه وحيائك من الله وان لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل
عند ذلك وهو بعيد ممن شرع في العمل لله تعالى فانه لا بد ان يبقى معه اصل قصد الثواب فان قلت قد نقل عن اقوام ترك العمل
مخافة الشهرة قلنا ههنا بيانه ما ورد من الطاعات مما لا يحصى وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في ان

يقال انه مراء او انه

ولو اطلع الخلق على قلبك

والافضل

والافضل انما يقدر عليها الاقوياء دون الضعفاء فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال القوية
اقتدى بهم بخلاف الافضل لسائر الضعفة والاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء القسم الثاني ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار
واعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة فهي من افضل العبادات
اذا كانت مع العدل والاخلاص فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم
بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اول من يدخل الجنة ثلثة الامام المقسط احدهم وقال ثلثة لا
ترد دعوتهم الامام العادل منهم وقال اقرب الناس مني يوم القيمة امام عادل اقول لما كانت الخلافة عندنا انما يكون منصوصا من الله
ومختصا بالامام المعصوم المطهر من الرجس وشوائب النفس التي منها تهيج الرياء ولا يدعيها بحق الا المعصوم الذي يحفظ
جميع اعماله برية رأسا فلا حاجة بنا الى الكلام فيها من حيث تطرق الرياء اليها فلنطوه وقد نقل ابو حامد عن شيخه في هذا المقام
من العقليات والنقليات ما نقل قال واما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فان كل ذي ولاية امير
اي له امر والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيها ايضا عظيم مع العدول عن الحق
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم القضاة ثلثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال من استقضي فقد ذبح بغير سكين
فحكم الامارة ينبغي ان يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلدها الاقوياء الذين لا تأخذهم
في الله لومة لائم ومهما كانت السلاطين ظلمة لم يقدر القاضي على القضاء الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل
المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء وان تقلد فعليه ان يطالبهم
بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان
يقضي لله فان لم تسمح بذلك نفسه فهو اذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل
من النار اقول ومن طرق الخاصة ما يؤيد ذلك اذ روي عن الصادق عليه السلام قال اتقوا الحكومة فانما هي للامام العالم بالقضاء العادل
في المسلمين لنبي او وصي نبي وعنه عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام لشريح يا شريح قد جلست مجلسا لا يجلسه الا نبي
او وصي نبي او شقي وعنه عليه السلام قال القضاة اربعة ثلثة في النار وواحد في الجنة رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار
ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة
قال ابو حامد واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر
فآفته عظيمة مثل آفة الولاية وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من
ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي اقول وقد سلف كلام من مولانا الصادق عليه السلام في الفتوى ومن كان مع
من اجل العبادات قال والواعظ يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس بقوله وخروج آهاتهم ودموعهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها
لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ويفر من كل كلام يستثقله
العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا
ويكون فرحه بها من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم الله علي بهذه النعمة ونفعني
بهذه الحكمة فاقصها ليشاركني في نفعها اخواني المسلمون فهذا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا
طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان ترتاض نفسه وتقوى في الدين
همته ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل
كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها

حسرة يوم القيمة وعاقبة الامر فيها بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت
لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك فاعلم ان
القايل بتركه عن ذلك يؤدي الى انهدام العلم فهو غالط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن القضاء لم يؤد الى تعطيل
القضاء بل الرياسة فيها اضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل
والاغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لافلتوا من الحبوس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى ان
يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فلا تشتغل قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم اني اقول مع هذا اذا كان
في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الا امتناع بعضهم والا فيعلم ان كلهم لا يمتنعون ولا يتركون
لذة الرياسة فان لم يكن في البلد سواه احد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييله
العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منها ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال
لست اقدر على نفسي فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه
فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع احب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا الذي قال فيه رسول
الله صلى الله عليه واله ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الاخرة ويزهد في الدنيا بكلامه
وبظاهر سيرته فاما ما احدثه الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه
تعظيم لامر الدين ولا تخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال
وخلفاء الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردناه
في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق العلماء السوء ما يتبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولقد قال عيسى صلى الله عليه يا علماء
السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تامرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني
وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة
كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا
تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم اخرتكم
فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في
محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش
مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام
يوشك الدنيا ان يقلعكم من اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم
ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم وقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه
ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها واثروها على الاخرة واذلوا الدين
لدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الاخرة هم الخاسرون **فصل** فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب
كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لان يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه واله
وسلم ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضايل العلم فينبغي ان يقال للعالم اشتغل بالعلم
واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن اتم العمل وجاهد نفسك فاعلم ان فضل العلم كبير وخطره عظيم
كفضل الامارة والخلافة ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة انما الآفة في اظهاره للتصدي بالوعظ

والتدريس ورواية الاحاديث ولا نقول له ايضا اتركه ما دام يجد من نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء واما اذا لم يحركه الا الرياء
فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها اما اذا خطر له وسواس الرياء في اثناء
الصلوة وهو لها كاره فلا يترك الصلوة لان آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة
في العلم وبالجملة فالمراتب ثلثة الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة الثانية
الصوم والحج والصدقة وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفة
الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة المرتبة الثالثة وهي متوسطة بين المرتبتين وهو التصدي
لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات والصلوة ينبغي ان لا
يتركها الضعيف ولا القوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي ان يتركها الضعفاء راسا دون الاقوياء ومناصب العلم
ومن جرب آفات منصب العلم علم انها بالولايات اشبه وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم والله اعلم وههنا مرتبة رابعة وهي
جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلابا للثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس
لذة للنفس والآفات فيها ايضا كثيرة وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو
افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل لانه خير متعد كالنكاح وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله افضل والاخذ والاعطاء
يشغل عن ذكر الله وقد قال عيسى عليه السلم يا طالب الدنيا ليبر تركك لها ابر وقال قوم اقل ما فيه انه يشغله اصلاحه
عن ذكر الله وذكر الله افضل واكبر وهذا فيمن سلم من الآفات فاما من يتعرض لآفات الرياء فتركه لها ابر والاشتغال بالذكر
لا خلاف في انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب ان يعمل ويدفع الآفات فان
عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع
وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك
ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات فهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه
ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرنا غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين
البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى
الكسب ان الافضل ترك الكسب للانفاق والتجرد للذكر او الكسب من الحلال وانفاقه في الخيرات وذلك لما في الكسب
من الآفات واما المال الحاصل الحلال فتفرقته افضل بكل حال من امساكه فان قلت فباي علامة يعرف العالم والواعظ
انه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات احديها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا
او اغزر منه علما والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا باس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر
اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس
في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها **بيان** ما يصح من نشاط العبد للعبادة
بسبب رؤية الخلق وما لا يصح اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله
او بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلي مع
انه كان لا يعتاد الصلوة وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا
النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة

الله وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق وتمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة فربما يكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تندفع العوائق والاشتغال في بعض المواضع فينبعث النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجته أو المحادثة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر رغبته عن الخير وحصلت أسباب باعثة على الخير كمشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله عز وجل وأعرضوا عن الدنيا فإنه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء وربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع أو بسبب آخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائماً وإنما تسمح بالتهجد وقتاً قليلاً فيكون سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه أطايب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه الصوم فتنبعث داعية الدين للصوم فإن الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فإذا سلم منها قوي الباعث فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان عند ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فإنك تكون مرائياً إذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على صلواتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفاً من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لا سيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل فإن نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فإنك مخلص ولست تصلي لأجلهم بل لله وإنما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبه إلا على ذوي البصائر فإذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لأنه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله تعالى وإن كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلاة وهم لا يرونه فإن سخت نفسه بها فليصل فإن باعثه الحق وإن كان ذلك يثقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فإن باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس إلى حب الحمد فمهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل لما يجده من حب الحمد بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفاً من الله لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة للرياء وتارة مع الصدق إذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفاً وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى أم لا فإن لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فإنما خوفه من أن يقال إنه قاسي القلب فينبغي أن يترك التباكي قال لقمان لابنه لا ترِ الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والأنين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجاري الأحوال تارة يكون من الصدق والحزن وتارة يكون لمشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والأنين ويتحازن وذلك محمود وقد يقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع

وتعرض

وتعرض لسخط الله به وقد يكون أصل الأنين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة من الرياء وهو محظور لأنها في حكم الابتداء بمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعوه إلى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فيضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحيي أن يقال إنه سقط من غير زوال العقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفاً ليرى أنه سقط لكونه مغشياً عليه وقد يكون ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعاً فيجزع نفسه أن يقال إن حالته ليست ثابتة وإنما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعاً فيجزع أن يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم إظهار الضعف والأنين فيتكئ على غيره يرى أنه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطا ليظهر أنه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس فإذا خطرت فعلاجها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وأن الله مطلع على ضميره وهو له أشد مقتاً كما روي عن ذي النون أنه قام وزعق فقام معه شيخ فرأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ اذكر الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال المنافقين وقد جاء في الخبر تعوذوا بالله من خشوع النفاق وإنما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فإن ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو فإن كان لله فأمضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا لخوفك على الإخلاص فيها واحذر أن يتجدد لك خاطر الركون إلى حمد بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك مما يكثر جداً فإذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله أحد النفر الذين حاجوا أيوب يا أيوب أما علمت أن العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس أني أخشاك وأنت لي ماقت وكان من دعاء علي بن الحسين عليهما السلام اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما أخلو سريرتي محافظاً على رياء الناس من نفسي ومضيعاً لما أنت مطلع عليه مني أبدي للناس أحسن أمري وأفضي إليك بأسوأ عملي تقرباً إلى الناس بحسناتي وفراراً منهم إليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك أعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نفر لأيوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم بالرد فهذه جمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففي الخبر إن للرياء سبعين باباً وقد عرفت أن بعضه أغمض من بعض حتى إن بعضه مثل دبيب النمل وبعضه أخفى من دبيب النمل فكيف يدرك ما هو أخفى من دبيب النمل إلا بشدة المراقبة والتفقد وليته يدرك إلا بعد بذل المجهود فكيف يطمع في إدراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها

بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم قلبه قبل العمل وبعده وفيه. اعلم أن أولى ما يلزم المريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله إلا من لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن أحواله فإن كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والإيمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصاً على الإفشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى بإخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففي مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامها أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثواباً من عباده

ويعلم ان اظهاره لغرض محبب اليهم وسقوط عند الله واحباط للعمل العظيم فيقول كيف ابيع هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون
على نفع واجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان يدع عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شأنهم
فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخلط الى ذلك احوج من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرايضه كاملة تامة والمخلط
لا يخلو فرايضه من النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم يسلم صار ماخوذا بالفرايض وهلك به فالمخلط الى الاخلاص
احوج وقد روى تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يحاسب العبد يوم القيمة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له
من تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار فياتي المخلط يوم القيمة وفرضه ناقص
وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر الفرايض وتكفير السيئات ولكن لا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقي فجهده في
زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح بها على سيئاته فيدخل الجنة فاذن ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع
غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره فاذا فعل جميع ذلك فينبغي ان يكون
وجلا من عمله خائفا انه ربما دخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله وردّه مجوزا ان يكون الله قد احصى
عليه من نيته الخفية ما مقته بها وردّ عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء العقد بل
ينبغي ان يكون متيقنا في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان
كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية احبطت عمله من رياء او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه
دخل بالاخلاص وشك في انه هل افسد برياء فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص
يقين والرياء شك وخوفه لاجل ذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب
الى الله بالسعي في حوائج الناس وافادة العلم ينبغي ان يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط
ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافاة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما
توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة او مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه او ترددا منه في حاجة فقد اخذ اجره
فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل اجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل
خدمته فنرجو ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحترزون
ذلك حتى ان بعضهم وقع في بئر فجاء قوم وادلوا الحبل ليرفعوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرا عليه آية او سمع منه حديثا
خيفة ان يحبط ذلك اجره فاذن ينبغي للعالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم ان
يلزم قلبه طلب حمد الله تعالى وثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم ولا عند الخلق وربما يظن ان له ان يرائي بطاعته لينال عند
ربه فيتعلم منه وهو خطأ لان ارادته بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا
نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي ان يتعلم لله تعالى ويعبد لله تعالى ويخدم المعلم لله تعالى لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان
ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا ان لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان
يطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضا الله في رضا الوالدين ولا يجوز له ان يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان
ذلك معصية في الحال وسيكشف الله تعالى عن رياءه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين ايضا واما الزاهد المعتزل عن الناس
فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فان ذلك يغرس الرياء
في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته وانما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري انه المخفف للعمل عليه
ومما لا يتهم زاهدهم نقل العرفي من اهل البصرة [illegible] فلما دخلت عليه في صومعته قلت يا [illegible] فقال

سبعين سنة فقلت ما اعظمك فقال يا ضيغم وما ذاك الا جفاء قلت اجبتنا ما اعلم قال كنت كل ليلة حضرة قلت فالذي يحجر
في قلبك حتى بكيت هذه الحضرة قال ترى القدر الذي بحدائك قلت نعم قال انهم باقون في كل سنة يوما واحدا فيتزوجون منه
ويطوفون حولها ويعظمون فكلما شاهدت نفسي من العبادة ذكرت [illegible] الشاعر فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فكيف
يا ضيغم جهد ساعة لعز الابد فوقرت في قلبي المعرفة فقال حسبك او ازيدك فقلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى
ركوة فيها عشرون حمصة فقال ادخل الدير فقد رأوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا ما الذي ادلى
اليك الشيخ قلت من قوته قالوا وما تصنع به ونحن احق به فقالوا ساوم قلت عشرين دينارا فاعطوني عشرين
فرجعت فقال يا حنيفي ما الذي صنعت به قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطأت لو ساومتهم بعشرين الفا
لاعطوك هذا عز من لا يعبد فانظر كيف يكون عز من يعبد الله فاقبل على ربك ودع الذهاب والمجيء والمقصود ان استشعار
النفس العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامته ان يكون الخلق
عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقاده لم يجزع ولم يضيق به صدره الا كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه
في الحال يرده بعقله وايمانه فانه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم
فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل السرور
بالركون اليه فيرجى ان لا يخيب سعيه الا انه ربما يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كيلا ينبسطوا اليه فهذا لا باس
ولكن فيه غرور اذ النفس قد يكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتعلل بطلب الانقباض فليطالبها في دعواها قصد التاكيد
الموثق من الله فليعلم ان الله لو علم ان انقباضهم عنه انما يحصل بان يعدو سريعا او ياكل كثيرا او يضحك فيتسع لكن
فاذا لم تسمح بذلك مع [illegible] بالعبادة فليتيقن ان يكون مرادها المنزلة عندهم ولا يحيى من ذلك الا من تقرر في قلبه ان ليس
احد سوى الله تعالى فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا التفاتا ضعيفا لا
يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامات الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والآخر
فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له
لذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استراحته الى مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراء او طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد
في رغبة الآخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح الى الغني اكثر مما استروح الى الفقير
نعم لك زيادة اكرام الغني اذا كان اقرب الى قلبك وكان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك
العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه فان الفقير اكرم على الله من الغني فايثارك له لا يكون
طمعا في غناه ورياء له ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير
وانما ذلك رياء خفي وطمع خفي كما قال ابن السماك لجارية له ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة قال الطمع يشحذ لسانك
وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير
ومكايد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد بالشفقة على نفسك
بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنته
الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتبع الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد
شهوة عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وجارى الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها

جميع اللذات وصبر على مفارقتها ابتداءً فمن كل يوم يزداد نحو لا القلة اكله ولكن سعته كل يوم يزداد نقصانا الكدرة احتاج الى تهوينها عليه

المفترالى شهوة فتفكر في توالى الالام والاوجاع عليه وادّاءه ذلك الى الموت المفرق بينه وبين ملكه الموجب لشماتة اعدائه

ثم فكلما اشتدت عليه شربة ماء تفكر فيما يستضر منه من الشفاء الذى هو سبب التمتع بملكه ونعيمه فى عيش هنىّ وبدن صحيح وقلب

رخى وامر نافذ فخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الاخرة احتمى عن كل ما يهلكه

فى اخرته وهى لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة

بالخلق هربا خوفا من ان يحل عليه غضب الله فيهلك ورجاء لان ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه

بعاقبة امره وبما اعدله من النعيم المقيم فى رضوان الله ابد الاباد ثم علم ان الله رحيم لم يزل بعباده المريدين لمرضاته عونا

وبهم رؤفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب النصب لكن يريد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا

ثم اذا تحمل التعب فى بدايته اقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة

ورزقه فيها من لذة المناجات ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وامدّه

بمعونته فان الكريم لا يضيع سعى الراجى ولا يخيب امل المحب وهو الذى يقول من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول

لقد طال شوق الابرار الى لقائى وانى الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد فى البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعدم

من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورحمته ولله الحمد والمنة . هذا آخر كتاب ذم الجاه والرياء من ربع المهلكات

من المحجة البيضاء فى احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب ذم الكبر والعجب والحمد لله اولا وآخرا

## كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع الغني الذي ليس له شريك في ملكه ولا منازع القادر الذي بهر ابصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستيلاؤه واستعلاؤه وحصر السن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر ايدي القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست اسماؤه والصلاة والسلام على محمد الذي انزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى آله واصحابه الذين هم احباء الله وخيرته واصفياؤه وسلم كثيرا اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان فاذا كان القصد في هذا الربع من الكتاب شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب ان شاء الله تعالى الشطر الاول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة الكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان اخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه

### بيان ذم الكبر

قد ذم الله تعالى الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من ايمان وعنه صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والجن والانس والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض

حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا يقول لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وآله وسلم يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وآله وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وآله وسلم بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى وعن ثابت قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ان نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال اني آمركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى لكانت ارجح منهما ولو ان السموات والارضين كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلوة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المقلون وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان احبكم الينا واقربكم منا احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الينا وابعدكم منا في الآخرة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون المتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وآله وسلم يحشر المتكبرون يوم القيمة ذرا في صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة اهل النار وعنه صلى الله عليه وآله وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون في صور الذر يطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال صلى الله عليه وآله وسلم من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلثة دخل الجنة الكبر والدين والغلول وسئل سلمان رضي الله عنه عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه وعنه عليه السلام العز رداء الله والكبر ازاره فمن تناول شيئا منه اكبه الله في جهنم وعنه وعن ابي عبد الله عليهما السلام قالا لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وعن محمد بن مسلم عن احدهما عليهما السلام قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر قال فاسترجعت فقال ما لك تسترجع قلت لما سمعت منك فقال ليس حيث تذهب انما اعني الجحود انما هو الجحود وعن ابي عبد الله عليه السلام قال الكبر ان تغمص الناس وتسفه الحق وعنه عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق قال قلت وما غمص الخلق وسفه الحق قال يجهل الحق ويطعن على اهله فمن فعل ذلك فقد نازع الله رداءه وعنه عليه السلام قال ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكا الى الله شدة حره وسأله ان يأذن له ان يتنفس فتنفس فاحرق جهنم وعنه عليه السلام قال المتكبرون يجعلون في صور الذر يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب وعن عمر بن يزيد قال قلت لابي عبد الله عليه السلام اني آكل الطعام الطيب واشم الريح الطيبة واركب الدابة الفارهة ويتبعني الغلام فترى في هذا شيئا من التجبر فلا افعله فاطرق ابو عبد الله عليه السلام ثم قال انما الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق قال عمر فقلت اما الحق فلا اجهله

[illegible]

[illegible]

والنفس لا ادري ما هي قال من حقر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار وعنه عليه السلم قال ان يوسف عليه السلم لما قدم عليه الشيخ
يعقوب عليه السلم دخله عز الملك فلم ينزل اليه فهبط عليه جبرئيل فقال يا يوسف ابسط راحتك فخرج منها نور ساطع
فصار في جو السماء فقال يوسف يا جبرئيل ما هذا النور الذي خرج من راحتي قال نزعت النبوة من عقبك عقوبة لما
لم تنزل الى الشيخ يعقوب فلا يكون من عقبك نبي وعنه عليه السلم قال ما من عبد الا وفي راسه حكمة وملك يمسكها فاذا
تكبر قال له اتضع وضعك الله فلا يزال اعظم الناس في نفسه وهو اصغر الناس في اعين الناس فاذا تواضع رفعها الله
قال له انتعش نعشك الله فلا يزال اصغر الناس في نفسه وارفع الناس في اعين الناس وعنه عليه السلم قال ما من احد يتيه
الا من ذلة يجدها في نفسه وفي لفظ اخر ما من احد تكبر او تجبر الا لذلة وجدها في نفسه وعن ابي جعفر عليه السلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم
شيخ زان وملك جبار ومقل مختال بيان ذم الاختيال والتظاهر بآثار الكبر في المشي وجر الثياب قال النبي صلى الله عليه واله وسلم
لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه واله وسلم بينا رجل يتبختر في برديه وقد اعجبته نفسه خسف الله به الارض
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقال صلى الله عليه واله وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة وقال صلى الله
عليه واله وسلم اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها اختيال
وقال صلى الله عليه واله وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقى الله وهو عليه غضبان وروي ان عمر بن عبد العزيز
حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال
عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها وروي ان مطرف بن عبد الله الشخير راى المهلب يتبختر
في جبة خز فقال له يا ابا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك
نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وتحمل بين جنبيك العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد في قوله تعالى
ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع بيان فضيلة التواضع قال
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه واله وسلم
ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جذباها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا
اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه واله طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه من غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة
وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عندنا بقبا وكان
صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه فذاقه وجد فيه حلاوة العسل فقال ما هذا
يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد
اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وروي ان النبي صلى الله عليه واله وسلم كان في نفر من اصحابه في بيته
ياكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة تتكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على فخذه ثم قال
له اطعم فكان رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه واله وسلم
خيرني ربي بين امرين ان اكون عبدا رسولا او ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبرئيل فرفعت راسي فقال تواضع
لربك فقلت عبدا رسولا واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع
النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال صلى الله عليه واله وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال
عيسى عليه السلم طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس

يتجلجل اي يغوص

يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله يوم القيمة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه واله وسلم
قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله
وقال صلى الله عليه واله وسلم اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والزهد في الدنيا والتواضع
وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه واله وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال عليه السلم ان
التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يطعم فجاء رجل
اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى جنب احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه واله الى جنبه وقال صلى الله عليه
وسلم اني ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه واله وسلم لاصحابه
ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا رايتم المتواضعين
من امتي فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار اخبار ومن طريق الخاصة ما روي في الكافي
عن ابي عبد الله عليه السلم قال ارسل النجاشي الى جعفر بن ابي طالب واصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب
وعليه خلقان الثياب قال فقال جعفر فاشفقنا منه حين رايناه على تلك الحال فلما راى ما بنا وتغير وجوهنا قال
الحمد لله الذي نصر محمدا واقر عينه الا ابشركم فقلت بلى ايها الملك فقال انه جاءني الساعة من نحو ارضكم عين من
عيوني هناك فاخبرني ان الله تعالى قد نصر نبيه محمدا صلى الله عليه واله وسلم واهلك عدوه واسر فلان وفلان وفلان التقوا
بواد يقال له بدر كثير الاراك لكاني انظر اليه حيث كنت ارعى لسيدي هناك وهو رجل من بني ضمرة فقال له جعفر ايها الملك
فما لي اراك جالسا على التراب وعليك هذه الخلقان فقال له يا جعفر انا نجد فيما انزل الله على عيسى عليه السلم ان من حق الله
على عباده ان يحدثوا له تواضعا عندما يحدث لهم من نعمة فلما احدث الله لي نعمة بمحمد صلى الله عليه واله احدثت لله هذا التواضع
فلما بلغ النبي صلى الله عليه واله وسلم قال لاصحابه ان الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وان التواضع يزيد
صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان العفو يزيد صاحبه عزا فاعفوا يعزكم الله وعنه عليه السلم ان في السماء
ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه وعنه عليه السلم قال افطر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عشية
خميس في مسجد قبا فقال هل من شراب فاتاه اوس بن خولي الانصاري بعس مخيض بعسل فلما وضعه على فيه نحاه ثم قال
شرابان يكتفى باحدهما من صاحبه لا اشربه ولا احرمه ولكن اتواضع لله فان من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله ومن
اقتصد في معيشته رزقه الله ومن بذر حرمه الله ومن اكثر ذكر الموت احبه الله وفي رواية من اكثر ذكر الله اظله الله في جنته وعن
ابي جعفر عليه السلم قال اتى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ملك فقال ان الله تعالى يخيرك ان تكون عبدا رسولا او ملكا
رسولا قال فنظر الى جبرئيل عليه السلم فاومى بيده ان تواضع فقال عبدا رسولا فقال الرسول مع انه لا ينقصك مما عند
ربك شيئا قال ومعه مفاتيح خزائن الارض وعن ابي عبد الله عليه السلم قال اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم ان يا موسى
اتدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي قال يا رب ولم ذاك قال فاوحى الله اليه يا موسى اني قلبت عبادي ظهرا لبطن فلم اجد
احدا اذل لي نفسا منك يا موسى انك اذا صليت وضعت خدك على التراب او قال على الارض وعنه عليه السلم قال ان علي بن الحسين
عليه السلم مر على المجذومين وهو راكب حماره وهم يتغدون فدعوه الى الغداء فقال اما اني لولا اني صائم لفعلت فلما صار
الى منزله امر بطعام فصنع وامر ان يتنوقوا فيه ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم وعنه عليه السلم انه نظر الى رجل من اهل
المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما راه الرجل استحيى منه فقال له ابو عبد الله عليه السلم اشتريته لعيالك وحملته
اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري لعيالي الشيء ثم احمله اليهم وعنه عليه السلم قال فيما اوحى الله تعالى الى داود

يا داود كما ان اقرب الناس الى الله المتواضعون كذلك ابعد الناس من الله المتكبرون وعنه عليه السلم من التواضع ان ترضى بالمجلس
دون المجلس وان تسلم على من تلقى وان تترك المراء وان كنت محقا ولا تحب ان تحمد على التقوى وعنه عليه السلم من التواضع
ان يجلس الرجل دون شرفه وعن ابي بصير قال دخلت على ابي الحسن موسى عليه السلم في السنة التي قبض فيها ابو عبد الله عليه السلم
فقلت جعلت فداك ذبحت كبشا ونحر فلان بدنة فقال يا ابا محمد ان نوحا كان في السفينة وكان فيها ما شاء الله و
كانت السفينة مأمورة فطافت بالبيت وهو طواف النساء وخلى سبيلها نوح فاوحى الله تعالى الى الجبال اني واضع
سفينة نوح عبدي على جبل منكن فتطاولت وشمخت وتواضع الجودي وهو جبل عندكم فضربت السفينة بجؤجؤها الجبل فقال نوح عليه السلم عند
ذلك يا ماريا اتقن وهو بالسريانية رب اصلح قال فظننت ان ابا الحسن عليه السلم عرض بنفسه وعن ابي الحسن عليه السلم قال التواضع
ان تعطي الناس ما تحب ان تعطاه وفي حديث آخر قال التواضع درجات منها ان يعرف الرجل قدر نفسه فينزلها منزلتها ب
قلب سليم لا يحب ان يأتي الى احد الا مثل ما يؤتى اليه ان رأى سيئة درأها بالحسنة كاظم الغيظ عاف عن الناس والله
يحب المحسنين وفي كتاب مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم التواضع اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع
لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع لله
شرفه الله على كثير من عباده ولاهل التواضع سيماء يعرفها اهل السموات من الملائكة واهل الارض من العارفين قال الله
عز وجل وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم واصل التواضع من اجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل عبادة
يرضاها ويقبلها الا وبابها التواضع ولا يعرف ما في حقيقة التواضع الا المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته قال الله
عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقد امر الله عز وجل اعز خلقه
سيد بريته محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالتواضع فقال عز وجل واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع
مزرعة الخشوع والخضوع والخشية والحياء وانهن لا يأتين الا منها وفيها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي الا للمتواضع في ذات الله
تعالى وفي تفسير الامام ابي محمد الحسن العسكري عليه السلم اعرف الناس بحقوق اخوانه واشدهم قضاء لها اعظمهم عند الله شأنا
ومن تواضع في الدنيا لاخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن ابي طالب عليه السلم حقا ولقد ورد على امير المؤمنين
عليه السلم اخوان له مؤمنان اب وابن فقام اليهما واكرمهما واجلسهما في صدر مجلسه وجلس بين ايديهما ثم امر بطعام
فاحضر فاكلا منه ثم جاء قنبر بطست وابريق خشب ومنديل لييبس وجاء ليصب على يد الرجل فوثب امير المؤمنين عليه السلم
واخذ الابريق ليصب على يد الرجل فتمرغ الرجل في التراب وقال يا امير المؤمنين الله يراني وانت تصب على يدي قال اقعد واغسل
فان الله عز وجل يراك واخوك الذي لا يتميز منك ولا يتفضل عليك يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل عشرة اضعاف
اهل الدنيا وعلى حسب ذلك في مماليكه فيها فقعد الرجل فقال له علي عليه السلم اقسمت عليك بعظيم حقي الذي عرفته وبجلته
وتواضعك لله تعالى حتى جازاك عنه بان ندبني لما شرفك به من خدمتي لك لما غسلت مطمئنا كما كنت تغسل لو كان الصاب
عليك قنبر ففعل الرجل ذلك فلما فرغ ناول الابريق محمد بن الحنفية وقال يا بني لو كان هذا الابن حضرني دون ابيه لصببت
على يده ولكن الله عز وجل يأبى ان يسوى بين ابن وابيه اذا جمعهما مكان لكن قد صب الاب على الاب فليصب الابن على
الابن فصب محمد بن الحنفية على الابن قال الحسن بن علي عليهما السلم فمن اتبع عليا عليه السلم على هذا فهو الشيعي حقا فصل قال
ابو حامد الآثار سئل الفضيل عن التواضع فقال هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل
الناس قبلته منه وقال ابن المبارك راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه
فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا

او ثيابا

او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيمة وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلم اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها
بالاستكانة اتممها عليك وكان سليمان بن داود عليهما السلم اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين
فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكرهون ان يراكم الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكرهوا ان يراكم
الفقراء في الثياب المرتفعة وقيل ارفع ما يكون العبد المؤمن عند الله تعالى اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله
ارفع ما يكون عند نفسه وعن الفتح بن شخرف قال رأيت علي بن ابي طالب عليه السلم في المنام فقلت يا ابا الحسن عظني فقال
ما احسن التواضع الاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله تعالى واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم
بالله عز وجل وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر
منه فهو متكبر فقيل له فمتى يكون متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته
بربه عز وجل ومعرفته بنفسه وقال عروة بن الورد التواضع احد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع
وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على من تكبر
عليك بماله تواضع وقيل التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح
وقيل لا عز الا لمن تذلل لله ولا رفعة الا لمن تواضع لله ولا امن الا لمن خاف الله ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل
وعن عمر بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم
عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت يوما على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتامله
فقال لي ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما
فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع فيه الناس وتفاخر قريش عند سلمان
رضي الله عنه يوما فقال سلمان لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم آتي الميزان فان ثقل فانا كريم
وان خف فانا لئيم بيان حقيقة الكبر وآفته اعلم ان الكبر ينقسم الى ظاهر وباطن والباطن هو خلق في النفس والظاهر هو
اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر
على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس
فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب
بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك
الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن
يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه احقر لم يتكبر بل ينبغي ان يرى
لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلثة يحصل فيه خلق الكبر لان
هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه
بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخشى ان تنتفخ
حتى تبلغ الثريا للذي استأذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح وكان الانسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر
وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن
عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي
اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه

فأذلّه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفّع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى حقّه أن يقوم ماثلا بين يديه إن اشتدّ كبره فإن كان كبره أشدّ من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا لخدمة عتبته فإن كان دون ذلك فيأنف عن مساواته ويتقدّم عليه في مضايق الطرق ويرتفع عليه في المحافل وينتظر أن يبدأه بالسلام ويستبعد تقصيره في قضاء حوائجه ويتعجّب منه وإن حاجّ أو ناظر أنف أن يردّ عليه وإن وعظ استنكف من القبول وإن وعظ عنّف في النصح وإن ردّ عليه شيء من قوله غضب وإن علّم لم يرفق بالمتعلّمين واستذلّهم وانتهرهم وامتنّ عليهم واستخدمهم وينظر إلى العامّة كأنّه ينظر إلى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والأعمال الصادرة من خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى إحصائها فإنّها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواصّ من الخلق وقلّما ينفكّ عنه العبّاد والزهّاد والعلماء فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر وإنّما صار حجابا عن الجنّة لأنّه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلّها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنّة والكبر وعزّة النفس يغلق تلك الأبواب كلّها لأنّه لا يقدر على أن يحبّ للمؤمنين ما يحبّ لنفسه وفيه شيء من العزّ ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتّقين وفيه العزّ ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العزّ ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العزّ ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العزّ ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العزّ ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العزّ ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العزّ ولا يقدر على قبول النصح وفيه العزّ ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العزّ ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم إلّا وصاحب العزّ والكبر مضطرّ إليه ليحفظ به عزّه وما من خلق محمود إلّا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزّه فمن هذا لم يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرّة منه والأخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لا محالة وشرّ أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحقّ والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذمّ المتكبّرين قال الله تع والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم إلى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثمّ قال ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين ثمّ أخبر أنّ أشدّ أهل النار عذابا أشدّهم عتيّا على الله فقال ثمّ لننزعنّ من كلّ شيعة أيّهم أشدّ على الرحمن عتيّا وقال والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنّا مؤمنين وقال إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين وقال سأصرف عن آياتي الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج سأصرفهم عن أن يتفكّروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال عيسى عليه السلام إنّ الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبّر ألا ترى أنّه من شمخ برأسه إلى السقف شجّه ومن طأطأ أظلّه وأكنّه فهذا مثل ضربه للمتكبّرين وأنّهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جحود الحقّ في حدّ الكبر والكشف عن حقيقته وقال من سفه الحقّ وغمص الناس

غمص به كعني وضرب
وحقره

**بيان** المتكبّر عليه وأقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه اعلم أنّ المتكبّر عليه هو الله أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الإنسان ظلوما جهولا فتارة يتكبّر على الخلق وتارة يتكبّر على الخالق فإذن التكبّر باعتبار المتكبّر عليه ثلاثة أقسام

**القسم الأوّل** التكبّر على الله تع وذلك هو أفحش أنواع الكبر ولا مثار له إلّا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فإنّه كان يحدّث نفسه بأن يقاتل ربّ السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كلّ من ادّعى الربوبيّة مثل فرعون وغيره فإنّه لتكبّره قال أنا ربّكم الأعلى فاستنكف أن يكون عبدا لله ولذلك قال تع إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين وقال الله تع لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقرّبون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأمّا الذين استنكفوا واستكبروا فيعذّبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليّا ولا نصيرا وقال تع وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا

**القسم الثاني** التكبّر على الرسل من حيث تعزّز النفس وترفّعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظانّ أنّه محقّ فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحقّ والتواضع للرسل كما حكى الله تع عن قولهم أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنّكم إذا لخاسرون وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربّنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوّا كبيرا وقالوا لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا وقال فرعون فيما أخبر الله عنه أو جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تع واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحقّ فتكبّر هو على الله وعلى رسوله جميعا قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتّى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت ربّ تعبد إذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبوديّة الله وعن اتّباع موسى صلوات الله عليه وقالت قريش لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله إلينا فقال تع أهم يقسمون رحمة ربّك وقال تع ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أي استحقارا لهم واستبعادا لتقدّمهم وقالت قريش كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء وأشاروا إلى فقراء المسلمين فازدروهم بأعينهم وتكبّروا عن مجالستهم فأنزل الله تع ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وقال ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ثمّ أخبر الله تع عن تعجّبهم حين دخلوا جهنّم إذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنّا نعدّهم من الأشرار قيل يعنون عمّارا وبلالا وصهيبا والمقداد ثمّ كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلّى الله عليه وآله محقّا ومنهم من عرفه ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تع فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوّا وهذا الكبر قريب من التكبّر على الله وإن كان دونه ولكنّه تكبّر عن قبول أمر الله والتواضع لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم

**القسم الثالث** التكبّر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفّع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف عن مساواتهم وهذا وإن كان دون الأوّل والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين **أحدهما** أنّ الكبر والعزّ والعظمة والعلاء لا يليق إلّا بالملك القادر فأمّا العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق به الكبر فمهما تكبّر العبد فقد نازع الله تع في صفة لا يليق إلّا بجلاله ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت وما أعظم تهدّفه للخزي والنكال وما أشدّ استجراءه على مولاه وما أقبح ما تعاطاه وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تع العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته أي أنّه خاصّ صفتي ولا يليق إلّا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي وإذا كان التكبّر على عباده لا يليق إلّا به فمن تكبّر على عباده فقد جنى عليه إذ الذي استرذل خواصّ غلمان الملك ويستخدمهم ويترفّع عليهم ويستأثر بما حقّ الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وإن لم تبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلّهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبّر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقّه نعم الفرق بين هذه المنازعة ومنازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك **الوجه الثاني** الذي تعظم به رذيلة

والملك

الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله وتشمر لجحده
ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين
ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الاخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس
وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل
ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وقال ابن مسعود كفى بالرجل
اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك بنفسك وقال صلى الله عليه وآله وسلم لرجل كل بيمينك فقال لا استطيع فقال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا استطعت فما منعه الا الكبر فقيل ما رفعها بعد ذلك اي اعتلت يده فاذن تكبره على
الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكى من احواله الا ليعتبر به فانه قال
انا خير منه وهذا كبر بالنسب لانه قال خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره
الله تعالى به فكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله فكان ذلك سبب هلاكه ابد الآباد
فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكبر بهاتين الآفتين
اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه
وآله وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله غمص الناس اي ازدراهم
واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الآفة الاولى وقوله سفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية
فكل من رأى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما
بينه وبين الخلق ومن انف من ان يخضع لله ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله والرسل بيان ما به التكبر
اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع الى كمال
ديني او دنيوي والديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب
الاول العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وآله آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز
بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم
ويتوقع ان يبدءوه بالسلام فان بدأ احدا منهم بالسلام او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويدا
عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا له على صنيعه
بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه
فان قصروا فيها استنكره كانهم عبيده او اجراؤه وكأن تعليمه العلم صنيعة منه لديهم ومعروف اليهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما
يتعلق بالدنيا واما في امر الآخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على
نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه
وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذا العلم
تزيد خوفا وتواضعا وتخشعا ويقتضي ان يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله تعالى عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر
نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا
فاعلم ان له سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه



خطر امره في لقاء الله والحجاب عنه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما
ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ منها
امتلأ كبرا ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا
يورث التواضع غالبا السبب الثاني ان يخوض في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيئ الاخلاق فانه لم يشتغل اولا بتهذيب
نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يروض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف
العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء
حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال
فتحوله على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ
العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا
واشفاقا وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ومن اجل ذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياءه فقال تعالى
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه العباس يكون قوم يقرءون
القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها الامة
اولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم وصلى حذيفة بقوم فقال لتلتمسن اماما
غيري او لتصلن وحدانا اني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري
هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال له عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق
زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في
اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم
ارباب الاقبال واصحاب الدول وقد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف
والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله
سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط
مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسأل الله تعالى
ان يعاملنا بما هو اهله ويستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه فضله وكرمه الثالث العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة
الكبر والعز واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما الدنيا فهو انهم يرون غيرهم
بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع
والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق واما
في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن
من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالمرء شرا ان
يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة
بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم كانه مترفع عن مجالستهم فما احراهم اذا

لعله ان يحلقه الله الى درجته في العلم وما احذره اذا فاته ولم ان يقلبه الله الى احد الاعمال كما روي ان رجلا في بني اسرائيل يقال له
خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل اخر يقال له عابد بني اسرائيل وكانت على راس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع في
نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد في نفسه انا عابد بني اسرائيل
وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فانف منه وقال له قم عني فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت
للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث اخر فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم
والعاصي اذا تواضع وذل هيبة لله وخوفا منه فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روي
ان رجلا في بني اسرائيل وطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتالي علي بل انت لا يغفر الله
لك ولذلك قيل رجا ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب
الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة قلما ينفك عنها العباد وهو انه لو استخف به مستخف او اذاه موذ استبعد ان يغفر الله له
ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله ولو اذى مسلما اخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع
بين العجب والكبر والاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة
زعم ان ذلك من كراماته وان الله ما اراد به الا شفاء غليله والانتقام له منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف
جماعة اذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من ضربهم ومنهم من قتلهم ثم ان الله امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل
ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الاخرة ثم ان الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه وانه قد
انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما
الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين كانت تهب ريح او صاعقة ما يصيب الناس الا بسببي ولو مات عطاء
لاستراح الناس وما قاله الاخر بعد انصرافه من عرفة كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا
يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذلك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل
ما هو ضحكة للشياطين ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع عمله
فان الجهل افحش المعاصي واعظم شيء يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله تعالى ولا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روي ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه واله وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول
الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه واله وسلم
واصحابه فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم اسالك بالله حدثتك نفسك انه ليس في القوم افضل منك فقال اللهم نعم
فراى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه افة لا ينفك عنها احد
من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في افة الكبر على ثلث درجات الدرجة الاولى ان يكون الكبر مستقرا في
قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر
ولكنه قطع اغصانها بالكلية الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار
الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب
جبينه كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه
حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطاطا ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال صلى الله عليه
وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره فقد كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا و

اكثرهم

واكثرهم بشرا وانبساطا ولذلك قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه واله يعجبني من القراء كل طليق
مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى بذلك لما قال
لنبيه صلى الله عليه واله وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على شمائلهم
فحالهم اخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة
وتزكية النفس وحكاية الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر
لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطيل اللسان فيهم بالتنقص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ كذا
ولا انام بالليل واختم القران كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول
قصدني فلان فهلك ولده واخذ ماله او مرض وما يجري مجراه فهذا يدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع
مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم
قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من ان يقال غيره اعبد منه او اقوى في دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا
متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورايت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من
الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو ان يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل
والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب
بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطا فيها فيظهر فضله ونقصان
اقرانه ويفرح مهما اخطا واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه احسن منه واعظم منه فهذا
كله اخلاق الكبر واثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري من عرف
هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل
من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره وهو يقول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من اهل النار وانما العظيم من خلا
هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله عز وجل قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا
فان رايت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا
فهذا هو الكبر بالعلم والعمل **الثالث** التكبر بالنسب والحسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه
علما وعملا وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موال وعبيد ويانف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر
فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا ارمني من انت ومن ابوك وانا فلان بن فلان واين لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري
مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا انه لا يترشح منه عند اعتدال الاحوال
فان غلبه غضب اطفا ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه واله
وسلم فقلت يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم يا ابا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء
فضل فقال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطا على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه راى
لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطا وجهل فانظر كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر
عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين تفاخرا عند رسول الله صلى الله عليه واله فقال
احدهما للاخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال
احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر كل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم

بنا صلى الله عليه وآله وسلم ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدوف
بآنافها القذر. الرابع التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثره بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة ومن ذلك
ما روي عن عائشة انها قالت دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما خرجت قلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اغتبتها وهذا منشؤه خفي الكبر لانها لو كانت ايضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها اعجبت
بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت. الخامس الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار
في بضائعهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه
ويقول له انت مكد ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي
اكثر من جميع مالك وانا انفق في اليوم ما لا تاكله في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقر وكل ذلك
جهل بآفة الغنى وفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا
حتى اجابه وقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح
صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره
بقوله تعالى يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قال قوم يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون الاية. السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف. السابع الكبر بالاتباع والانصار
والتلامذة والغلمان والعشيرة والاقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين
وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على اقرانه بزيادة
قدرته ومعرفته في صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب
وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم
على بعض فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله
تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه. بيان البواعث على التكبر
واسبابه المهيجة له. اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرتها ونتيجتها وينبغي ان تسمى
تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب
واحد وهو العجب كما سيأتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وبعمله او بشيء من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما الكبر
الظاهر فاسبابه ثلثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب
والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة
العجب والحقد والحسد والرياء اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في
الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه
ولكن قد غضب عليه بسبب قد سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع
له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه او بغضه له ويحمله
ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك
وعلى ان لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود
وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم

فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده واقاربه حسدا
وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع لفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق
المتكبرين وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه واما الرياء فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر
من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في
الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان
لا يتكبر عليه واما الذي يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فيتكبر ايضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد
ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه
في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه
كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه
الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاستحقار وهذا ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال
الكبر او المتكبرين. بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر. اعلم ان التكبر يظهر في شمائل
الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه رأسه وجلوسه متربعا ومتكئا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في
الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في احواله
واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس
له او بين يديه وقد قال علي صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه
قوم قيام وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا اذا راوه لا يقومون له لما يعلمون
من كراهته لذلك ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم ومنها ان
لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا
ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو كبر دخل رجل على
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه جدري قد تقشر وعنده اصحابه يأكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه
النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجنبه ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه ومنها ان لا يأخذ متاعه
ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل ذلك وقال علي عليه السلام لا ينقص
الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وقال بعضهم رأيت عليا اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا
امير المؤمنين قال لا ابو العيال احق ان يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم البذاذة من الايمان قيل هي الدون من اللباس ورؤي علي عليه السلام في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن
ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ترك
زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لوجهه كان حقا على الله ان يدخر له عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى
عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال
لا ولكن الكبر من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الحسن ليس من ضرورته ان يكون من التكبر

[illegible]

في حق كل احد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وآله من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي الجمال ما ترى فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع فاذا اختلفت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلم على بعض الاحوال على ان قوله خيلاء القلب يعني ان خيلاء القلب في قوله صلى الله عليه وآله وسلم البذاذة ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو موجبا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذه والمحمود الوسط من اللباس الذي لا يوجب جودته شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقال عيسى عليه ما لكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية ونهاية الاحتمال فانه سبحانه ذي ولنختصر هذه هو الافضل وقد ذكرنا ما نقل عن السلف من احتمال الاذى في كتاب الغضب وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابو سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك الخدمة كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيا ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير او كبير اسود او احمر حر او عبد من اهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤونة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس شديدا في غير عنف متواضعا في غير مذلة جوادا من غير سرف رحيما بكل ذي قربى قريبا من كل ذمي ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يبشم قط من شبع ولا يمد يده الى الطمع قال ابو سلمة فدخلت على عائشة فحدثتها بما قال هذا عن ابي سعيد فقالت ما اخطأ منه حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يمتل قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وان كانت الفاقة احب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسال ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما ارى من الجوع فامسح بطنه واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي فقالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى فما نقل من اخلاقه صلى الله عليه وآله يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعظم خلق الله تعالى منصبا في الدنيا والدين فلا عزة ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك لما عوتب بعض الصحابة في بذاذة هيئته قال انا قوم اعزنا الله تعالى

بالاسلام

بالاسلام فلا نطلب العزة في غيره وقال ابو الدرداء اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله تعالى مكانهم قوما من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صلاة ولا صوم ولا حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضات الله بصبر بخير وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله تعالى واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه السلم لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد انشأ من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون على من تحتهم ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خيرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون فقال الراوي قلت يا ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها فقال ما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك ان ابغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك فاذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد واكنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقال يحيى بن ابي كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله تعالى وطلب مرضاته

## بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع

اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا تزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان احدهما استئصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب الثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره

## المقام الاول

في استئصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل بذاته وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبرياء الا بالله اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم الصديقين واما معرفة نفسه فكذلك ايضا يطول ولكنا نذكر منها ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة من كتاب الله تعالى فان في القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الآية الى اول خلق الانسان والى آخر امره والى وسطه فلينظر الانسان في ذلك ليفهم معنى هذه الآية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه اول فاي شيء اخس واقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله تعالى من اذل الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسى العظام لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا فما صار مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله تعالى من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذه اشارة الى ما تيسر له الى

مدة حياته الى الموت ولذلك قال من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه بعد ان كان
جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد ما كان فاقدا للبصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد
الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والايات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري
وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان
كيف اظهره فقال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم
اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك القلة والذلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة
والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد
الجهل ومهديا بعد الضلالة وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان في ذاته لا شيء واي شيء اخس من لا شيء واي قلة اقل
من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرفه خسة ذاته
فيعرف به نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه
فقال تعالى الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته اولا فقال الم يك نطفة من مني
يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما
حصل وجوده ابتداء بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق
اخس الاخساء واضعف الضعفاء نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدا
والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والافات المختلفة والطباع المتضادة
من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض
كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه
ويريد ان ينسى الشيء فيغفل عنه فلا يغفل ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوساوس والافكار بالاضطرار
فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما يكون حياته فيه يستلذ الاطعمة
فتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يامن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته
وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف
فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا من غيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا اوسط
احواله فليتامله واما اخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه
يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته
لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كانت في الاول نطفة قذرة ثم تبلى اعضاؤه وصورته
وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رميما ورفاتا وياكل الدود اجزاءه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما
وبسائر اجزائه فيصير روثا في اجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان
واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان فيصير مفقودا بعد ما كان موجودا
كان لم يغن بالامس حصيدا كما كان في اول امره امدا مديدا وليته بقي كذلك فما احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى
ليقاسي شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة
مشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر

وجنة

وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرا كتابك فيقول وما هو فيقال له قد وكل بك في حياتك
التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به او تعمل من قليل وكثير ونقير
وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك واحصاه الله عليك فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب
فينقطع قلبه من هول هذا الخطاب من قبل ان تنشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهدها قال يا ويلتنا ما لهذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا اخر امره وهو معنى قوله عز وجل ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا حاله والتكبر
بل ماله وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولو ظهر اخره والعياذ بالله ربما اختار ان يكون كلبا
او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا او يلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير اشرف
منه واطيب وارفع اذ اوله التراب واخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو راى اهل
الدنيا المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه
الذي يسقاه في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة الا ان يعفى عنه وهو على شك من العفو فكيف
يتكبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد لها فضلا واي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو الكريم بفضله
ارايت من جنى على بعض الملوك بما استحق به الف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر ان يخرج الى العرض ويقام عليه العقوبة
على ملا من الخلق وليس يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على من معه في السجن وما من عبد
مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا
ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القاطع لاصل الكبر **واما العلاج العملي** فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولسائر الخلق
بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انه كان ياكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جيدا فقال انما انا
عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق في الاخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين
تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة اسرار لاجلها كانت عمادا
ومن جملة ما فيها التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يانفون من الانحناء فكان ربما
يسقط من يد احدهم سوطه فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس راسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ان لا اخر الا قائما ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة
والضعة امروا به لينكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر سائر الخلق فان الركوع
والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف من نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال
فليواظب على نقيضها حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا
وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت
**المقام الثاني** فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم
والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم
والعمل في جميع الاسباب السبعة **السبب الاول** النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا
جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا والمتكبر بالنسب
ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت

ان دودة مخلوقة من بولك انسب ان الدودة التي خلقت من بول انسان اشرف من الدودة التي خلقت من بول فرس هيهات بل هما
متساويان او الشرف للانسان لا للدودة الثاني هو ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة
وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من
سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر واخس
الاشياء ما اليه انتسب اذ يقال يا اذل من التراب ويا انتن من الحمأة ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من
التراب فيقال يا افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب فليحتقر نفسه بها ثم ان كان ذلك يوجب رفعة
بالاب القريب فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته فاذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده فاذا اصله من التراب وفصله
النطفة فلا اصل له ولا فصل له وهذا غاية خسة النسب فالاصل يوطأ بالاقدام والفصل تغسل منه الابدان فهذا هو
النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل
عند نفسه من بني هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ اخبره عدول لا يشك في
قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القذر وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم افترى ان ذلك يبقى
شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي بخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره فهذه
حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى الدم
بالحجامة وغيرها لكان يعلم بها خسة نفسه لمماسة اعضاء ابيه للتراب والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم
والاشياء القذرة التي يتنزه منها هو في نفسه السبب الثاني الكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا
ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه التعزز بجماله فانه وكل به الاقذار في
جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد
تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط بيده كل يوم دفعة او دفعتين ويتردد الى الخلاء كل يوم مرة او مرتين ليخرج من باطنه ما
لو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حالة توسطه وفي اول امره خلق
من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض واخرج من مجاري الاقذار اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم
مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر هذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل
لثارت منه الانتان والاقذار وصار اقذر وانتن من الدواب المهملة التي لا تتعهد انفسها قط فاذا نظر انه خلق من الاقذار
واسكن في الاقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في البوادي
بينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به على القبيح
اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جماله اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حال يتصور ان يزول بمرض او
جدري او قرحة او سبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال
لمن اكثر تأملها السبب الثالث الكبر بالقوة والايدي ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع
عرق واحد من بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت
في انفه او نملة دخلت في اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت في رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق
شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوي الانسان لا يكون اقوى من
حمار او فيل او جمل او بقر واي افتخار في صفة يسبقك فيها البهائم السبب الرابع والخامس الغنى والمال وفي معناه كثرة الاتباع

والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان لا كالجمال والقوة و
العلم وهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر
بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق
وكل متكبر بامر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة
والتجمل فاف لشرف يسبقك به اليهود واف لشرف ياخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست
في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الاخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس
لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبها ان ابقاها لك بقيت وان استرجعها زالت عنك وما انت الا عبد مملوك لا تقدر
على شيء ومن عرف ذلك فلا بد ان يزول كبره ومثاله ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله
وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين له فعلم
ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه واخذه واخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه وينكل به لتفريطه في امواله و
تقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد احدقت به الحيات والعقارب والهوام
وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة افترى ان
من هذا حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وكماله ام يذل نفسه ويخشع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك
فانه لا يملك رقبته وبدنه واعضاءه وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض واسقام هي كالعقارب والحيات يخاف
منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة
وهو اهون من التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جديران بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما ايضا نوع من الجهل
خفي كما سنذكره السبب السادس الكبر بالعلم وهذا اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة
وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر
لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قيل للعلم طغيان كطغيان المال وقيل العالم اذا زل زل بزلته عالم
فيعجز العالم ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع
الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم آكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وانه
من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون
ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله تعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل
الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد به علماء اليهود وقال تعالى في بلعم بن باعوراء واتل عليهم
نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى
الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء اوتي الحكمة او لم يؤت لا يدع شهوته
ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يأمر بالخير ولا يأتيه وينهى عن الشر ولا يأباه فمهما خطر للعالم عظم
قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من
قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان لم يكن ملكا فكم
من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله فهذا الخطر يمنع من التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه

فكيف يتكبر فلا ينبغي ان يكون اكبر عند نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الآخر تبنة من الارض
ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر يا ليتني كنت طيرا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون انفسهم اسوأ حالا
من التراب والطير ومن التبنة ومهما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كانه شر الخلق ومثاله
مثال عبد امره سيده باشياء فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل اداها كما يرتضيه ام لا
وعلم لا فاخبره مخبر ان مولاه ارسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا
حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به الجهد امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب اليم
لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري في اي فرقة يكون
فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل تواضع رجاء ان
يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في
باطنه من الرياء والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة الامر الثاني ان
العالم يعلم ان الكبر لا يليق الا بالله جل وعز وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع
وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندي فلا بد ان يكلف نفسه ما يحبه مولاه
فهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا او تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبياء اذ علموا ان من نازع
الله في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم بان يصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا مما يحمله على التواضع
فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم و
العبادة عند الله عز وجل وكيف يتيسر له ان يخطر بالبال خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم ان ذلك انما يتيسر
بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا
العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو من اهل النار وهو لا يدري
ذلك فالعواقب مطوية عن العباد فلا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا انما تراد للعاقبة فاذا
حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال هذا عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر مني وان نظر
الى عالم فيقول هذا قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى من هو اكبر منه سنا قال هذا اطاع الله قبلي فكيف اكون
مثله وان نظر الى صغير قال اني عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى كافر او مبتدع قال ما يدريني لعله يختم له
بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمة يقدر ان ينفي الكبر
عن نفسه وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري
هذا الخطر مشترك بين المتكبر وبين المتكبر عليه لكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب
بخوف عاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه واذا حبس جماعة
في جناية وأوعدوا بان تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض اذ عمهم الخطر اذ شغل كل واحد منهم همه
عن الالتفات الى غيره حتى كان كل واحد منهم هو وحده في مصيبته وخطره فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله
وابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر
الخلق اذ يمتزج غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم
مغرور اذا رأى فاسقا جلس بجنبه ازعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد غضب لله كما قال



لعابد بني اسرائيل وخليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب
وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب فاحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما
الا الموفقون والذي يخلصك من هذا ان الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع والفاسق او امرهما بالمعروف ونهيهما
عن المنكر ثلثة امور احدها التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني
ان يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله عليك فله المنة فيه
لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء
ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك
وسيدك اذ امرك ان تغضب له لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك
على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة وأعرفك ذلك بمثال لتعلم انه
ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو
قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره بان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه
فان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما رأى من ولده اساءة الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه
امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره اليه ولانه جرى من ولده ما يكرهه مولاه فيضرب ولده ويغضب من غير تكبر
له عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذا ليس من ضرورة
الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما عند الله في الآخرة
اعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك تغضب بحكم
الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز ان يكون عند الله اقرب منك في الآخرة فهكذا يكون بغض العلماء
والاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة
وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله واعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر **السبب السابع**
التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو ان يعلم ان
من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي
الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك العالم العامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما علمت ان الحسنات
يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فيمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن
وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل يجب عليه ان يتواضع له
فان قلت فان صح هذا ينبغي ان يكون العالم يرى نفسه فوق العابد بقول رسول الله صلى الله عليه وآله فضل العالم على
العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فاعلم ان ذلك ممكن لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل
ان يموت بحيث يكون حاله عند الله اسوأ من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد
برأ اذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه وقد كلف امر نفسه لا
امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال
العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله

اقل منه ذنبا واكثر منه عبادة واشد منه حبا لله واما المكشوف حاله الذي لم يظهر لك من الذنوب الا ما تزيد عليه
ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان تتكبر عليه ولا يمكنك ان تقول هو اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك وعدد ذنوب غيرك في طول
العمر لا تقدر على احصائها حتى تعلم الكثرة من القلة ثم يمكن ان يعلم ان ذنوبه اشد كما لو كانت من القتل والشرب والزنا
فلا ينبغي ان تتكبر عليه اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله وتخيل
الخطا فيه كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به ممقوتا وقد يجري للفاسق الظالم
الفسق من طاعات القلوب من حب لله واخلاص وخوف وتعظيم ما انت خال عنه وقد يكفر ذلك سيئاته فينكشف الغطاء
يوم القيمة فتراه فوق نفسك بدرجات وهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا عندك وان كنت
مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك
لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك
وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعدد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة
بها ساد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي
منه واكفر فهو متواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه سره ذلك وتمنى ان يلحق به وان راى من هو شر منه قال
لعل هذا ينجو واهلك انا فلا تراه الا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل فيه
خلق كريم بينه وبين الله فرحمه الله ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال وبري ظاهر فذلك شر لي فلا يامن فيما اظهره
من الطاعة ان يكون دخلتها الافات فاحبطتها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوز
ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلب الخوف
راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما يحكى ان عابدا اوى الى جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله
ان يدعو لك فاتاه فساله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول
ان هذا لحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله فاتي في النوم ثانيا فقيل له ائت الاسكاف فقل له ما هذا الصفار في وجهك
فاتاه فساله فقال له ما رايت احدا من الناس الا وقع لي انه سينجو واهلك انا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة
هذه الخصلة قوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال
الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب
ومواظبتهم على العبادة على الدوام بالاشفاق فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشيته مشفقون
فمتى زال الاشفاق والحذر بما سبق به القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر
وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذا ما يفسده العابد باضمار الكبر
واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب
لا غير الا ان النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت الى
طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغي ان يكتفى في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان تكمل المعرفة بالعمل وتجرب بافعال
المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن
وان كانت الامتحانات كثيرة الامتحان الاول ان يناظر في مسئلة مع واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه
فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا

فليتق

فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر نفسه ما يثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد
والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا
كما ينبغي لي فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك
طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل
عليه في الخلوة ويثقل في الملا فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وبذكر
القلب ان منفعته في كماله وفي ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة
والملا جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الدائين فانهما جميعا
مهلكان الامتحان الثاني ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم
فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة
وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان
ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم انما تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار
التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس تحتهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر
من الباطن الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر
فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل
بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر الامتحان الرابع ان يحمل حاجة نفسه
وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او رياء وان كان يثقل ذلك عليه مع خلو
الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل الا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكات له
ان لم يتدارك اقول ليس كل رياء مذموما بل قد يكون مستحبا بل واجبا اذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وان لا يفعل
ما يعاب عليه فلا يليق بذوي المروات ان يتكلفوا الامور الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس ربما جاز لهم في الخلوة الا ان
ذلك يختلف باختلاف الازمنة والبلاد والاشخاص فلا بد من ملاحظة ذلك كما يحكى في الكافي عن الصادق عليه السلام انه نظر
الى رجل من اهل المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما راه الرجل استحيى منه فقال عليه السلام اشتريته لعيالك
وحملته اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري لعيالي الشيء ثم احمله اليهم اراد عليه السلام لولا مخافة ان يعيبوا علي
ذلك مع ان جده امير المؤمنين عليه السلام كان يفعل مثله الا انه لم يعيبوا عليه مثله في زمانه وفي زماننا هذا ربما كان يعاب
بتكبره وكان مثيبة له وتعليما قال ابو حامد وقد اهمل الناس طب القلوب فاشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد قد
كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله
بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفيك قال اجل ولكن اردت ان اجرب
نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة ام كاذبة وفي الخبر من حمل
الفاكهة او الشيء فقد برئ من الكبر الامتحان الخامس ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملا رياء وفي الخلوة كبر
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال صلى الله عليه وآله
انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وهذه
مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فليعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه بيان غاية الرياضة في

حد التواضع اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي
يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع من غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا
طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله تعالى اوسطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن يتاخر عنهم فهو متواضع
اي انه وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله
وعدا الى الباب خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه
فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب منه درجته فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في
السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره
فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذا سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم
حتى يحبب عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان
كان يثقل عليه وهو يفعل فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان كان
ذلك صار خلقا بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس
للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق
والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في
المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومتان واحدهما افحش من الاخر وكذلك نهاية التكبر
ونهاية التصغر والتذلل مذمومتان واحدهما افحش واقبح من الاخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما
يجب على ما يعرف من ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا من بيان خلق الكبر **النظر الثاني** في حكاية العجب وفيه بيان ذم
العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه وبيان علاج العجب اجمالا **بيان**
ذم العجب وآفاته اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ
اعجبتكم كثرتكم ذكر ذلك في معرض الانكار وقال الله تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد
يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلث مهلكات شح مطاع و
هوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لابي ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رأيت شحا مطاعا
وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر
من ذلك العجب العجب وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب
والجد والتشمير والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال
لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط فمن هنا جمع بينهما وقد قال الله تعالى فلا
تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبرؤها اي لا تعتقدوا
انها بارة وهو معنى العجب وقال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل
العجب فظهر من هذا ان العجب مذموم جدا **اقول** ويدل على ذمه بخصوصه ما رواه في الكافي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام
ان الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلان يكون على حاله تلك خير له مما
دخل فيه وعنه عليه السلام قال اتى عالم عابدا فقال له كيف صلاتك فقال مثلي يسأل عن صلاته وانا اعبد الله منذ كذا

قال

قال فكيف بكاؤك قال ابكي حتى تجري دموعي فقال له العالم ان ضحكك وانت خائف افضل من بكائك وانت مدل ان المدل لا
يصعد من عمله شيء وعن احدهما عليهما السلام قال دخل رجلان المسجد احدهما عابد والاخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق
صديق والعابد فاسق وذلك انه يدخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك وتكون فكرة الفاسق
في التندم على فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينما موسى
عليه السلام جالس اذ اقبل ابليس وعليه برنس ذو الوان فلما دنا منه خلع البرنس وقام الى موسى عليه السلام فقال له موسى من
انت قال انا ابليس قال انت فلا قرب الله دارك قال اني انما جئت لاسلم عليك لمكانك من الله تعالى قال فقال له موسى
عليه السلام فما هذا البرنس قال اختطف به قلوب بني ادم فقال له موسى اخبرني بالذنب الذي اذا اذنبه ابن آدم استحوذت
عليه فقال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه وقال قال الله تعالى لداود عليه السلام يا داود بشر
المذنبين وانذر الصديقين قال كيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين قال يا داود بشر المذنبين اني اقبل التوبة
واعفو عن الذنب وانذر الصديقين ان لا يعجبوا باعمالهم فانه ليس عبد انصبه للحساب الا هلك وعن مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام العجب كل العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بما يختم له فمن اعجب بنفسه وفعله فقد ضل عن نهج
الرشاد وادعى ما ليس له والمدعي من غير حق كاذب وان اخفى دعواه وطال دهره فان اول ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم
انه عاجز حقير ويشهد على نفسه ليكون الحجة عليه اوكد كما فعل بابليس والعجب نبات حبها الكفر وارضها النفاق وماؤها
البغي واغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها اللعنة والخلود في النار فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق
ولا بد ان يثمر **بيان** آفات العجب اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب
الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها
فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها فيستصغرها ولا
يستعظمها فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح
بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد
آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما
يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويامن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله
بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها
ويزكيها فان اعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة والاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه
برأيه ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره فيصر عليه ولا يسمع
نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فان كان رأيه في امر دنيوي فيحقق فيه وان
كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان
بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك
كان من المهلكات ومن اعظم آفاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وانه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه **بيان**
حقيقة العجب والادلال وحدهما اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال
حالتان احديهما ان يكون خائفا على زواله مشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خائفا
من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة

بين العجب والسرور ان يكون غير خايف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير لا
من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب
الى الله بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو اعظام النعمة
والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى
توقع بعمله كرامة له في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده فيما يجري على الفساق سمى
ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه
او اقترح عليه الاقتراحات او استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر
اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلوة المدل لا ترفع فوق راسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت
مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة
دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منها كان
مدلا بعمله فانه لا يتعجب من رد دعاء الفساق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات
الكبر واسبابه اقول في الكافي عن علي بن سويد عن ابي الحسن عليه السلم قال سالته عن العجب الذي يفسد العمل
فقال العجب درجات منها ان يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعا ومنها ان يؤمن العبد بربه فيمن على
الله ولله عليه فيه المنة بيان علاج العجب على الجملة اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل
المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو
وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب مما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه
فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته
وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه ومن قبل غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى
لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته
وقوته تم فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه وساير الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان
علم ان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله
اذ افاض عليه ما لا يستحقه واثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فلما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع من جملتهم
على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره
له من غير استحقاق واعجابه بنفسه من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول ان
الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه تفطن في من الصفات المحمودة الباطنة ما اقتضى
الايثار بالخلعة لما اثرني بها فيقال وتلك الصفة ايضا من خلعة الملك وعطيته التي خصك بها من غيرك من غير
وسيلة او هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به
فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي اعطاك
الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا او يعطي احدهما بعد الاخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان تعجب بجوده
وفضله لا بنفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك
ولا يتصور في حق الجبار ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المتفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بعبادتك

وقلت

وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك
بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود
اعمالك واسباب اعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان
كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي
وانا عملتها وانا انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع
فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما وهو صريح الحق
والاخر فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت
اذ عملت وما صليت اذ صليت قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب
بمشاهدة اوضح من مشاهدة ابصار العين بل الله خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القدرة والقوة والصحة
وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من ذلك عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في
اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة له من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما
لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو
محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك
وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سياتي تقريره في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الان نزيل اشكالك
بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك
ووجود علمك وارادتك وقدرتك وساير اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة
مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله تعالى ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزاين بها يتوصل الى السعادات
ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله لا محالة ارايت انك لو رايت خزاين الدنيا مجموعة في قلعة حصينة
بيد خازنها ولو جلست على بابها الوف سنين لم يمكنك ان تتناول دينارا منها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان
تبسط يدك اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفتاح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت اليد واخذتها
كان اعجابك باعطاء الخازن المفتاح اولى بك ام بما اليك من مد اليد واخذه فلا تشك انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة
في تحريك اليد باخذ المال قريب انما الشان كله في تسليم المفتاح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة
وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك
وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب
بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق
وصرفها عنك وسلط اقران السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك
وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة
منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل اثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب
اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذا لا تتصرف في قدرتك الا بالعقد والا بسلط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها
فكانه الذي يضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسياتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان
تسلسل الاسباب والمسببات ما يتبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلا وافقره

من أنعم الله عليه بالمال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض عليه نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى كأن هذا ظلم ولا يدري المغرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعاً لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي أو هلا رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار علي عليه السلم حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني أحسن حالاً من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضاً عن عقلك وفقرك لامتنع منه فإذاً ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكثر فلم يتعجب من ذلك وكذا المرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الذميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخص بمثل هذا القبح ولا تدري المغرورة أن الجمال رزق عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال مع الفقر وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فإذاً نعمة الله عليها أكثر وقول الحكيم العالم الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا وأعطيتها الجهال كقول من أعطاه الملك فرساً فيقول يا ملك لم لا تعطيني الغلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهبني ما أعطيتك أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى فهذه أوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والإدلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يعجب بعلمه وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك لما أعجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين بكثرتهم ونسوا فضل الله عليهم قالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وروى ابن عيينة أن أيوب عليه السلم قال إلهي إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي أمر إلا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا أيوب أنى لك ذلك قال فأخذ رماداً فوضعه على رأسه وقال منك يا رب فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته فإذاً هذا هو العلاج القاطع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الإعجاب بها فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال

بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

اعلم أن الإنسان يعجب بالأسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية أقسام

الأول أن يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب أشكاله وحسن صورته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت إلى جمال نفسه وينسى أنه نعمة من الله وهو بعرضة للزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في أقذار باطنه وفي أوائل أمره وفي أواخره وفي الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة أنها كيف تمزقت في التراب وأنتنت في القبور حتى استقذرتها الطباع

الثاني القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا فيما أخبر الله عنهم من أشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته فأعجب بها فاقتلع جبلاً ليطبقه على عسكر موسى عليه السلم فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن أيضاً على قوته كما روي عن سليمان عليه السلم أنه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً ولم يقل إن شاء الله فحرم ما أراد من الولد وكذلك قد يورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب وإلقاء النفس في التهلكة والمبادرة إلى الضرب والقتل لمن قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو أن يعلم أن حمى يوم تضعف قوته وأنه إذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأدنى آفة يسلطها عليه

الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ويخرج إلى قلة الإصغاء إلى أهل العلم إعراضاً عنهم بالاستغناء بالرأي والعقل واستحقاراً لهم وإهانة وعلاجه أن يشكر الله على ما رزق من العقل ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك الناس منه ولا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقم بشكره وليعلم أنه ما أوتي من العلم إلا قليلا وإن اتسع علمه وأن ما جهله مما عرفه الناس أكثر مما علمه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وأن يتهم عقله وينظر إلى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدري فإن قاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي أن يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فإن من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه إلا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا

الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم أنه ينجو ببركة نسبه ونجاة آبائه وأنه مغفور له ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال المحمودة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله فكانوا عند الله شراً من الكلاب وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى أي لا تفاوت في أنسابكم لاجتماعكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين أن الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال إن أكرمكم عند الله أتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أشرف الناس من أكرم الناس لم يقل من ينتمي إلى نسبي ولكن قال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن أسيد هذا العبد الأسود يؤذن فقال الله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أي كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر قريش لا تأتي الناس يوم القيامة بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أي أعرض عنكم فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله اعملا لأنفسكما فإني لا أغني عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع فإن اقتدى بهم في التقوى والتواضع وإلا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق فإن قلت فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية إني لا أغني عنكما من الله شيئا إلا أن لكما رحما سأبلها ببلالها وقال صلى الله عليه وآله وسلم أترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب وذلك يدل على أنه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم أن كل مسلم ينتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والنسب أيضا جدير بأن يرجوها ولكن بشرط أن يتقي الله أن يغضب عليه فإنه إن يغضب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته فإن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة فيه وإلى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فإن كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيمن اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وبقوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وبقوله لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وإذا انقسمت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لا محالة ولو كان كل ذي ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشا بالطاعة ولما نهاهم عن المعصية ولأباح لهم

في الذنوب وترك التقوى اعتمادا على الشفاعة يضاهي ابهماك المريض في شهوته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من اب
او اخ او غيره وذلك جهل فان سعي الطبيب يجمل وهمته ينفع في ازالة بعض الامراض لا كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا
على مجرد الطب بل للطبيب اثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان تفهم عناية الشفعاء
من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب وانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر الخامس العجب بنسب السلاطين
الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله
والفساد في دين الله وانهم ممقوتون عند الله ولو نظر الى صورهم في النار وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب
اليهم وانكر على من نسبه اليهم استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف له ذلهم يوم القيمة وقد تعلق الخصماء بهم والملئكة آخذين
بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب
اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب
بنسبهم فجهل محض السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكفار
نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم
وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون
عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه اهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونك الى البلى والحيات
والعقارب والديدان ولا يغنون عنك شيئا وانت في احوج اوقاتك اليهم وكذلك يهربون منك يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه
وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فاي خير فيمن يفارقك في اشد احوالك ويهرب منك
وكيف تعجب بمن لا ينفعك في القبر والقيمة وعلى الصراط الا اعمالك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم
من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك السابع العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر
منك مالا واعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه
فقال صلى الله عليه وآله وسلم اخشيت ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر في آفات المال وكثرة
حقوقه وعظيم غوائله والى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيمة والى ان المال غاد ورائح ولا اصل له والى ان في اليهود
من يزيد عليه في المال والى قوله صلى الله عليه وآله وسلم بينما رجل يتبختر في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته فهو
يتجلجل فيها الى يوم القيمة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال
يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام
بحقوق المال في اخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزي والبوار فكيف يعجب بماله الثامن العجب بالرأي الخطأ
قال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان
ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا وكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع
والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا
العجب اشد من علاج غيره لان صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف
فتعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغي الى العارف
ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده
وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرأيه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب الله او سنة او دليل عقلي صحيح جامع



لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد
وتشمير في الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط
في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد
ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر به ويتبع سنة السلف لا قول
بل يتبع سنة ائمة الهدى من اهل بيت النبي صلوات الله وسلامه عليه وعليهم خاصة دون غيرهم من السلف كما عرفت غير مرة
ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتيش وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى
واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال فان خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك
من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على ان يشتغل في عمره بشيء غير العلم فاما الذي عزم على التجرد للعلم فاول مهم له معرفة الدليل
وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى المعرفة واليقين في اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور
الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا . نسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال هذا آخر
كتاب ذم الكبر والعجب من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله كتاب ذم الغرور منه والحمد لله اولا
وآخرا وظاهرا وباطنا ه

## كتاب ذمّ الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور، وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور، مخرج اوليائه من الظلمات الى النور، ومورد اعدائه
ورطات الغرور، والصلوة على محمد مخرج الخلائق من الديجور، وعلى آله واصحابه الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله
الغرور، صلوة تتوالى على ممر الدهور، ومكر الساعات والشهور، وسلم. اما بعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة، ومنبع الشقاوة
الغرور والغفلة، فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان والمعرفة، ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة، ولا نقمة
اعظم من الكفر والمعصية، ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة، فالاكياس وارباب البصائر قلوبهم كمشكوة فيها مصباح
المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء، والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور، فالاكياس هم الذين اراد الله ان يهديهم فشرح صدورهم للاسلام
والهدى، والمغترون هم الذين اراد ان يضلهم فجعل صدورهم ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء، والمغرور هو الذي لم تنفتح
بصيرته لتكون بهداية نفسه كفيلا، وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا، ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى
واضل سبيلا، واذا عرف ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع
الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه، فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فاخذ منها حذره وبنى
على الحزم والبصيرة امره، ونحن نشرح اجناس مجاري الغرور واصناف المغترين من العلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادي الامور
الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها، ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها، فان ذلك وان كان اكثر من ان يحصى ولكن يمكن
التنبيه على امثلة تغني عن الاستقصاء، وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة اصناف: الصنف الاول من العلماء، الصنف الثاني
من العباد، الصنف الثالث من المتصوفة، الصنف الرابع من ارباب الاموال، والمغترون من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة
فمنهم من راى المنكر معروفا كالذي يتخذ المسجد ويزخرفه من المال الحرام، ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ
الذي غرضه القبول والجاه، ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره، ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة، ومنهم من يترك اللباب
ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلوة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف، والى غير ذلك من المداخل التي لا تتضح الا بتفصيل الفرق
وضرب الامثلة، ولنبدأ اولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وامثلته. **بيان** ذم الغرور وحقيقته

واعلم

واعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، وقوله عز وجل ولكنكم فتنتم انفسكم
وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور، كاف في ذم الغرور، وقد قال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم، ولمثقال ذرة من صاحب تقوى
ويقين افضل من ملء الارض من المغترين، وقال صلى الله عليه وآله وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني، وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور
لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل، اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به، والغرور هو الجهل الا
ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يغره، فمهما كان المجهول المعتقد
شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا يكون دليلا سمي الجهل الحاصل
به غرورا، فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان، فمن اعتقد انه
على خير اما في العاجل او في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور، واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه، فاكثر
الناس اذا مغرورون وان اختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض، واظهرها واشدها غرور الكفار
وغرور العصاة والفساق فنورد لهما امثلة لحقيقة الغرور. **المثال الاول** غرور الكفار، فمنهم من غرته الحيوة الدنيا ومنهم من
غره بالله الغرور، اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فاذا
هي خير فلا بد من ايثارها، وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذة الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك
وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، والى هؤلاء الاشارة بقوله
تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون، وعلاج هذا الغرور اما بتصديق
الايمان واما بالبرهان، اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق
وفي قوله وما عند الله خير وابقى، وبقوله والآخرة خير وابقى، وبقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور، وقد اخبر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان، ومنهم من قال
نشدتك الله ابعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق، وهذا ايمان العامة وهو مخرج من الغرور وينزل هذا منزلة
تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدري وجه كونه خيرا، واما المعرفة بالبيان والبرهان
فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان، فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو
دليل، وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ
العلماء، فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح، والآخر ان
النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس، فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير
وان كان اقل منه فالنسيئة خير، فان كان هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما لياخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير
من النسيئة فلا اتركه، واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة تركها في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل، فقد ترك
النقد ورضي بالنسيئة، والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة، فان كان عشرة
في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الآخرة، فان اقصى عمر الانسان مائة سنة
وليس هو عشر عشير جزء من الف جزء من الآخرة، فكانه ترك واحدا لياخذ الف الف بل لياخذ ما لا نهاية له ولا حد، وان
نظر من حيث النوع راى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة، فاذا قد غلط في قوله

النقد خير من النسيئة وهذا موضع مغالطة فيقول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه
فان من قال النقد خير من النسيئة اراد به ان خير من نسيئة هو مثلها وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى
القياس الاخر وهو ان اليقين خير من الشك والدنيا يقين والاخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول
لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك
والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي
الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم ادب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول
ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع
الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة الى ما
اخافه من المرض والموت وكذلك من شك في الاخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول ايام الصبر قلائل وهو منتهى العمر
قليل بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم بايام حياتي وقد كنت في العدم
من الازل الى الان لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فابقى في النار ابد الابدين وهذا لا يطاق ولهذا
قال علي عليه السلم لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلنا حقا فقد تخلصنا وهلكت
وما قال هذا عن شك منه في الاخرة ولكن تكلم مع الملحد على قدر عقله وبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور واما الاصل الثاني
من كلامه وهو ان الاخرة شك فهو ايضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمن وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق
تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف
دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من عند اخرهم على ان دواءه النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض
الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي او معتوه يكذبهم في ذلك
وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه
بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر في علمه بسببه ولو اعتمد على قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك
من نظر الى المقرين بالاخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم
خير خلق الله واعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق
على اصنافهم وشذ منهم احاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم الاعتراف بان تحريم
الشهوات فجحدوا الاخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمانينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء
فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة اقوال الانبياء والعلماء وهذا القدر من الايمان
كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به واما المدرك الثاني لمعرفة الاخرة فهو الوحي
والالهام فالوحي للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبي لامر الاخرة ولامور الدين تقليد
بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي حتى يكون معرفته كمعرفتك وانما يختلف المقلد فقط هيهات فان التقليد
ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها وشاهدوها
بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان
يكشف لهم حقيقة الروح وانه من امر الله وليس المراد بالامر الذي يقابل النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام و
المراد بالامر الذي هو الشأن حتى يكون المراد انه من خلق الله فقط فان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان

عالم

عالم الامر وعالم الخلق ولله الخلق والامر فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير
في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا
رخصة في ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه
واذا عرف نفسه عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه في العالم الجسماني غريب وان
هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب عن ذاته وذلك العارض الغريب ورد على ادم عليه السلم وعبر عنه
بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى وانه امر رباني وحنينه الى الجوار الرباني
له طبعي ذاتي الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريبة عن ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك
فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن مقتضى
طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارة الى اسرار
يهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع الفاظها القاصرون فانها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجعل
وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة
وولاية ويسمى صاحبها وليا وعارفا وهي مبادي مقامات الانبياء واخر مقامات الاولياء ولنرجع الى الغرض فالمقصود
ان غرور الشيطان بان الاخرة شك يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون
بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار
في هذا الغرور لانهم اثروا الحياة الدنيا على الاخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون
من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا مغرورون فانهم اعترفوا بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا واثروها
ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال الله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال ان رحمة الله
قريب من المحسنين وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم للاعرابي الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال تعالى والعصر
ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فالمغفرة في جميع كتاب الله منوط بالايمان والعمل الصالح
جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون اعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها المحبين
لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكافرين
والمؤمنين جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين وغرور العاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم
في انفسهم وبالسنتهم انه لو كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا فيه واسعد حالا كما اخبر الله تعالى
عن قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة
امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر منهما بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج
امراة على الف دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا يفنى ويخرب الا اشتريت قصرا في الجنة لا يخرب
واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا في الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين
لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان فليكونن لي في الاخرة
خير من هذا وكذلك وصف الله قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب
ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقض
لي فقلت اني اخذه في الاخرة فقال لي اذا صرت الى الاخرة فان لي هناك مالا وولدا اقضيك منه فانزل الله تعالى افرايت الذي

كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا الآيات وقال تعالى ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي و
ما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي الآية وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من أقيسة إبليس وذلك أنهم
ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعم الآخرة وينظرون إلى تأخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليها عذاب
الآخرة كما قال تعالى ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون
إلى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم فيقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان
خيرا ما سبقونا إليه وترتيب القياس الذي نظمه الشيطان في قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا وكل محسن
محب وكل محب فإنه يحسن في المستقبل أيضا كما قال الشاعر كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي فإنما يقيس المستقبل
على الماضي بواسطة الكرامة والحب إذ يقول لولا أني كريم عند الله ومحبوب لما أحسن إلي والتلبيس تحت ظنه أن كل محسن محب بل تحت
ظنه أن إنعامه عليه في الدنيا إحسان فقد اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على
الهوان ومثاله أن يكون للرجل عبدان صغيران يبغض أحدهما ويحب الآخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب
ويحبسه فيه ليعلمه الأدب ويمنعه من الفواكه وملاذ الأطعمة التي تضره ويسقيه الأدوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش
كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكنه من شهواته
ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا فإنها مهلكات ومبعدات من الله تعالى
فإن الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد في الخبر وكان أرباب البصائر إذا
أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة المقت والإهمال وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار
الصالحين والمغرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله وإذا صرفت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه
إذ قال فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي
أهانن كلا بين أن ذلك غرور قيل كلا ردا عليهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بكرامتي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من أكرمته
بطاعتي غنيا كان أو فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة وإما بالتقليد أما بالبصيرة فبأن يعرف — والهوان من أهنته بمعصيتي غنيا كان أو فقيرا صح
جهة كون الالتفات إلى شهوات الدنيا مبعدا عن الله تعالى ووجه كون التباعد عنها مقربا إلى الله تعالى ويدرك ذلك بالإلهام
في منازل العارفين والأولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة وأما معرفته بطريق التقليد
فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال تعالى أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا
بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون وقيل في تفسير قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون إنهم كلما أحدثوا ذنبا أحدثنا لهم
نعمة لتزيد غرورهم وقال تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم
ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى
وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن آمن به خلص من هذا الغرور فإن منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فإن من عرفه لا يأمن
مكره ولا يغتر بأمثال هذه الخيالات وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وكيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم
تدميرا فقد حذر الله مكره واستدراجه فقال فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا ومكر الله ومكروا مكرا
ومكرنا مكرا وقال تعالى والله خير الماكرين وقال إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا فكما لا يجوز للعبد
أن يستدل بإهمال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرا منه مع أن السيد لم يحذره



مكر فيه فإن من يحذر ذلك فيستحق به مع تحذيره بالاستدلال بالعاجل فمن أمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ ذلك الغرور أنه استدل
بنعيم الدنيا على أنه كريم عند المنعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فلا جرم الشيطان بواسطة الهوى
يميل بالقلب إلى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهو حقيقة الغرور المثال الثاني هو غرور العصاة من المؤمنين بقولهم
إن الله كريم وإنا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم
أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم وأين معاصي العباد في بحار رحمته وإنا موحدون ومؤمنون
فنرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة
سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين
وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله فقياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله
تعالى قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى المغرور أن نوحا صلوات الله عليه أراد أن يستصحب ولده في السفينة
فقال إن ابني من أهلي فقال إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح وأن إبراهيم استغفر لأبيه فلم ينفعه وذلك فيهما أيضا اغترار
بالله لأن الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي وكما أنه لا يبغض الأب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي
بحبه للأب المطيع ولو كان الحب يسري من الأب إلى الولد لكان البغض يسري أيضا بل الحق أن لا تزر وازرة وزر أخرى ومن
ظن أنه ينجو بتقوى أبيه كان كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى بشرب أبيه ويصير عالما بتعلم أبيه ويصل إلى الكعبة ويراها بمشي
أبيه والتقوى فرض عين فلا يجزي فيه والد عن ولده شيئا وعند الله جزاء التقوى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه فما ينفعه
إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب فإن قلت فأين الغلط
في قول العصاة والفجار إن الله كريم وإنا نرجو مغفرته ورحمته وما هذا الكلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم أن الشيطان
لا يغوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم كشف عن ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله
الأماني وهذا هو التمني على الله غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله تعالى الرجاء فقال
إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله يعني أن الرجاء بهم أليق وهذا لأنه
ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى إنما توفون أجوركم يوم القيامة أفترى
أن من استؤجر على إصلاح أوان وشرط له أجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء
الأجير وكسر الأواني وأفسدها جميعا ثم جلس ينتظر الأجر ويزعم أن المستأجر كريم أفيراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغترا
أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء وبين الغرة فإن من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما أن الذي يرجو
في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل
صالحا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكما أنه إذا نكح ووطئ وأنزل بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد
ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف
والرجاء يخاف أن لا يقبل منه ولا يدوم عليه وأن يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله أن يثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الآخرة ويحفظ دينه من سواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل
إلى المعاصي فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ولتعلمن
نبأه بعد حين وعند ذلك يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون أي علمنا أنه كما لا يولد إلا بوقاع ونكاح ولا

زرع الأشجار وبث بذر [illegible] فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب على الأعمال إلا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحاً فقد علمنا الآن صدقك
في قولك وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى فلا ترجعنا فهناك يقال ألم يأتكم نذير كلا أو لم
أما سمعتم سنة الله في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت وأن كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بعد ما سمعتم وعقلتم
قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فإن قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم أنه محمود في
موضعين أحدهما في حق العاصي المنهمك إذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وأنى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله
فيجب عند هذا أن يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر أن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى
قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى
ربكم فأمرهم الله بالإنابة وقال وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى فإذا توقع المغفرة مع التوبة
فهو راج وإن توقع المغفرة مع الإصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له أن يسعى إلى الجمعة فقال له
الشيطان إنك لا تدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج وإن استمر
على التجارة وأخذ يرجو تأخير الإمام الصلاة لأجله إلى وسط الوقت أو لأجل غيره أو بسبب من الأسباب التي لا يعرفها
فهو مغرور لا محالة والثاني أن تفتر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به
الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم
في صلاتهم خاشعون إلى قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الأول يقمع القنوط
المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من التشمر والنشاط فكل توقع حث على توبة وعلى تشمر في العبادة
فهو رجاء وكل توقع أوجب فتوراً في العبادة وركوناً إلى البطالة فهو غرة كما إذا خطر له أن يترك الذنب ويشتغل بالعمل
فيقول له الشيطان ما لك ولإيذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرة
وعند هذا يجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول إنه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب وأنه مع أنه كريم خلد الكفار في النار أبد الآباد مع أنه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والأمراض و
العلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إزالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا أخافه
وكيف أغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق
هو سبب فتورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إعراضهم عن الله وإهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور فقد أخبر
النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر أن الغرور سيغلب على آخر هذه الأمة وقد كان ما وعد به فقد كان الناس في الأعصار الأول
يواظبون على العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون
في التقوى والحذر من الشهوات والشبهات ويبكون على أنفسهم في الخلوات وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين
غير خائفين مع إكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واثقون بكرم الله وفضله راجون لعفوه ومغفرته
كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من كرم الله وفضله ما لم يعرفه الأنبياء والسلف الصالحون فإن كان هذا الأمر يدرك بالمنى وينال
بالهوينا فعلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الرجاء والخوف وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب
على الأبدان أمرهم كله يكون طمعاً لا خوف معه إن أحسن أحدهم قال يتقبل مني وإن أساء قال يغفر لي فأخبر أنهم يضعون الطمع
موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه وبمثله أخبر عن النصارى إذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب

علماءهم

علماؤهم يأخذون عرض هذا الأدنى أي شهواتهم من الدنيا حلالاً كان أو حراماً ويقولون سيغفر لنا وقال تعالى ذلك لمن
خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه
إن كان مؤمناً بما فيه وترى الناس يهذونه هذاً يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها
وكأنهم يقرؤون شعراً من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا
فهذه أمثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص إلا أن
معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم ترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل
فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناوله من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن
أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال أو الحرام وما هو إلا كمن وضع عشرة في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى
ألفاً وأراد أن يميل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية الجهل نعم ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه
لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم
مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره إلى عدد
سبحته أنه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة
وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة وقال ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فهو أبداً
يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت إلى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين
يظهرون من الكلام ما لا يضمرونه إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة
النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في
فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فيا عجباً لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفاً على
قيراط يفوته في الأجرة على النسخ ولا يحتاط خوفاً من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها
وقد دفعنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه أعمال من يصدق
بما جاء به القرآن وإنا نبرأ إلى الله أن نكون من أهل الكفر فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر
من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور أن يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالاً على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى

**بيان** أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف **الصنف الأول** أهل العلم والمغترون منهم فرق **ففرقة منهم** أحكموا
العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات
واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغاً لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه
لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فإنهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان علم معاملة
وعلم مكاشفة وهو العلم بالله تعالى وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة
أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لها قيمة
وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا
يعرفها إلا حذاق الأطباء فسعى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له
الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجتلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطها وعجنها فتعلم
ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويقرؤها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها

اعتبر ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات هيهات لو كتب مثل الفاتحة وعلم الف مرة في شفي جميعه ولو كان في كل
ليلة القدر لم يغنيه ذلك من مرضه شيئا الا ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما امر ويشربه ويصبر على مرارته
ويكون شربه في وقته وبعد تقليل الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه
اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي
ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة ولم يزك نفسه منها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال
الله تعالى قد افلح من زكيها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس وعند هذا يقول له الشيطان
ولا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثواب
عليه الاخبار الواردة في فضائل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن اليه واهمل العمل
كما يقول الشيطان انذكر فضائل العلم وتجنب ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل
الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وكقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا
فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من
الله تعالى الا بعدا وقال صلى الله عليه وآله وسلم يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحا
وقال صلى الله عليه وآله وسلم شر الناس العلماء السوء وقال صلى الله عليه وآله وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم
لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه في كتاب علامات علماء الآخرة اكثر من ان تحصى الا انها لا يوافق هوى العالم الفاجر
وما ورد في فضائل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه
وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله تعالى اشد من
حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تأكيد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله
وصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد ومثاله مثل من اراد خدمة ملك من
الملوك ويعرف اخلاقه وصفاته ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجالسه ولم يعرف ما يحبه وما يكرهه وما
يغضب عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضبه وعاطل عن جميع ما يحبه من
هيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا
عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته
فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب لنيله المراد
من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم يكشف له من معرفة الله تعالى الا الاسامي
دون المعاني اذ لو عرف الله تعالى حق معرفته لخشيه واتقاه قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفي الخبر
رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا فانما الفقيه من فقه عن الله
امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه فهو العالم بالحقيقة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم
يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم
لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله تعالى من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة
السوء للاقران وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز منها
ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم ادنى الرياء شرك والى قوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر



قوله الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والى قوله حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل الى
غير ذلك من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم
ونسوا قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا
الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها
جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة وكبيت مظلم وضع السراج على ظاهره حتى استنار
ظاهره وباطنه مظلم وكرجل قصد الملك ضيافته الى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى ان ذلك
غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقية الزرع من الحشيش بقلعه من اصله
فاخذ يجز رأسه ويقطعه فلا يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لا يطهر
القلب منها لم يتم له الطاعات الظاهرة الا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب
الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول
ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن وفرقة اخرى علموا ان
هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع
عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلي بها العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فاما هم فاعظم عند الله من ان يبتليهم ثم اذا
ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة
دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس لشمت بي
اعداء الدين وفرحوا بي وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره مولاه منه هو الشيطان
وانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين وينسى ما
روي عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب بعضهم في بذاذة زيه فقال انا قوم اعزنا
الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والدبيقي والابريسم المحرم
والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب عز الدين وشرف العلم وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه
شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه
ان ذلك من الحسد حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسته وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل
الان فيكون غضبه لله ام لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من
خبث باطنه وهكذا يرائي باعماله وعلومه واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل
اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما
يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه اصلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم
لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يده او على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان بل يقول انما ذلك لانهم
اذا اهتدوا بي كان الاجر لي والثواب لي فانما فرحي بثواب الله تعالى لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله يطلع من ضميره
انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاختار
في هذا السجن وحمل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي يرى ظهور رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان
ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك

هذا الطمع في اموالهم وانما انت تعينهم ان تنفع المسلمين وتدفع الضرر عنهم وتكف شر اعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنهم
انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفع في كل مسلم حتى يدفع الضرر عن جميع المسلمين لثقل ذلك عليه
ولو قدر ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من اموالهم واذا خطر
له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله افلا
يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة امور احدها في انه مال لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ الخراج من
المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء قيام واولادهم وورثتهم احياء وغايته الاختلاط فمن غصب
مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب ان يقسم بين العشرة ويرد على
كل واحد عشرة وان كان مال كل واحد قد اختلط بمال الاخر الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل
الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الاخرة بسببه اكثر
من الذين زهدوا في الدنيا وتركوها واقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين
اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء وصحابتهم وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به في
الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا ولعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله كما قال عيسى
عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة وقعت في فم النهر فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور اهل العلم
في هذه الاعصار والسالفة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة اخرى احكموا العلوم وطهروا الجوارح
وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد و
طلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ
بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها
وانما مثالهم مثال من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش راه فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج راسه
بعد من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب
فاهملها وهو يظن انه قد قلعها فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت وترعرعت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم
قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين
وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت
في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الافاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم في
المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك
الرؤوس على كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب المستفيدين والتفرد بالتخصيص بهذه الخاصية من بين
الاقران والاشكال والجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق اللسان في الطعن في الكافة المقبلين على الدنيا
لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصص ولعل هذا المسكين المغرور حزنه بالطعن في المشتغلين بالدنيا
اسرع انقياده وتوقيره وحسن ثنائه ولو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه غير الزهد لما يظهر من احواله فساءه
عليه ظهر ويخالط امراءه وغاظه [illegible] ويعتقد بكل حيلة نفسه وربما يحتاج الى ان يكون في تغطية همه وحسن تاويل الكذب
والمراءاة من يعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عن من يعرفه بفضله ويقصر وان كانت
على فترة حاله ومعناه يوثر بعض اصحابه على بعض وهو كما تريعش لمعتقدهم في الفضل والورع وانما ذلك لانه اطوع له واتبع

الكبر

واكثر ثناء عليه واشد اعجابا باصغائه اليه وما مر على خدمته ولعلهم يتقيلون منه ويرغبون في العلم وهو يظن انه يوم
له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه في حماية الله تعالى ما يتم على لسانه وبنان خلقه وربما كان ذلك سكنه الذنوب ثم يتفقد
من نفسه تصحيح النية فيه وربما لو وعد لك الثواب على اثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقد في العزة
والاستمتاع لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم منكم انه بعلمه امتنع مني فبجهله
وقع في حبائلي وربما يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله لينتفع به وانما يريد استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى
مدع تصنيفه ومحي عنه اسمه ونسب الى غيره ثقل ذلك عليه مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف
والله عالم بانه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوي الطويلة العريضة
واما ضمنا بالطعن في غيره ليستبين من طعن في غيره انه افضل من طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن
فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه لعله لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه
فينقله بعينه كالسارق له او يغيره ادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذ قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين
الفاظه وتسجيعها وتحسين نظمها لئلا ينسب الى الركاكة وربما كان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وترويجها ليكون اقرب الى
الناس وهو غافل عما روي ان بعض الحكماء وضع ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة فاوحى الله الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض
نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن
عيوب القلب وخفاياها ولو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا
ام غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة
تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك
لا يهتز بالمسلاكرام ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما كان من قبل مع علمه
بان المشتغل بالاستفادة ولعل التحيز منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة
منها وفي تلك الفئة ومع ذلك فلا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحرك فيه مبادئ الحسد لم يقدر على
اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكر عيوبه بين
يديه ربما فرح به وان اثني عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر
باطنه راض بها ومريد لها والله مطلع عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا القلوب لا يفطن لها الا الاكياس ولا يتنزه
منها الا الاقوياء ولا مطمع فيها لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه وليسوءه
ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن
فامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله تعالى بعمله وعلمه الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار
ومن المعرفة بخفايا الذنوب مع الاهمال فهذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الان
غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم
عليه فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق
لمصالح المعايش فخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة
فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح
ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث العلم

اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وحفظه وتعليمه لا بل
مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ومحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة
وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامراة وتسألني عنه
وذلك غاية الغرور وكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر
المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله تعالى وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل
بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوي والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى شيء من ذلك
قط في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة
وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض كفاية في دينه ولم يدر ان الاشتغال بفرض
الكفاية قبل الفراغ عن فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد بالفقه وجه الله تعالى
فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما غروره
من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة نبيه وربما طعن في المحدثين
وقال انهم نقلة اخبار وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك جلاله
وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على انه
لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل
مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة
والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط
المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله تعالى آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو
معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا
بتلك الصفات كان محجوبا عن الله تعالى فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز
الراوية والخف ولا شك انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء وقد ذكرنا شرح ذلك في
كتاب العلم وفرقة منهم اقتصروا من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمهم الا تعلم المجادلة والالزام وافحام الخصوم
ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهم طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب
الاقران والتلقف لانواع التشنيعات المؤذية وهؤلاء سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا
لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى
بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة
تفاصيل العربدة التي تجري بين المتناظرين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا اذ
اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام
فيشتمل عليها علم المذاهب وهو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفهم معانيهما واما حيل الجدل
من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانما ابدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل بها فغرور هؤلاء
اشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع

واستكثروا

واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة
واعتقدوا انه لا يكون للعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقائدهم
وظنوا انه لا احد اعرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها
ثم هم فرقتان ضالة ومحقة والضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل
لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضها بعضا وانما اتيت من حيث
انها لم تتهم رايها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فرات الشبهة دليلا والدليل شبهة واما الفرقة المحقة فانما
اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات في دين الله وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يتفحص
ولم يبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن او ليس بكامل ولا مقرب عند الله فلهذا
النظر الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملت نفسها
وقلبها حتى عميت عليها ذنوبها وخطاياها الظاهرة والباطنة وهو يظن ان اشتغاله بالجدل اولى واقرب عند الله وافضل
ولكنه لالتذاذه بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله عميت بصيرته فلم يلتفت
الى القرن الاول فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع
والاهواء فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم
بل لم يتكلموا فيه الا من حيث راوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته وان راوا
اصرارا على ضلالة هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله ولم يلزموا الملاحاة معهم طول العمر بل قالوا ان الحق
هو الدعوة الى السنة ومن ترك الجدال في الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما
على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال ابهذا بعثتم
ابهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا والذي نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم انهم راوا النبي صلى الله عليه وآله
وسلم وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد
الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليه ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها
الاشكالات والشبه ولا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وان يعلم
اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا
نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل
الملل وما ضيعوا العمر بتجريد المجادلة معهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما
لا نامن على انفسنا الخطا في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدالنا بل يزيده التعصب والخصومة تشددا
في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجاهدتها ومجادلتها لتترك الدنيا للآخرة اولى هذا لو لم انه عن الجدال
فكيف وقد نهيت عنه وكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى ان اتفقد نفسي فانظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى
وما يحبه لاتنزه عما يبغضه واتصف بما يحبه وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب
من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بانفسهم

انهم لو تحلوا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فعلا كانوا موصوفين بهذه الصفات ثم ينفكون منها هذا انما الاغترار
فيه لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تجردوا في
علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقايق الاخلاص الا وهم مخلصون ولا وقفوا على خفايا عيوب النفس الا
وهم منزهون عنها ولعله انه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل في طريق
الله فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخايفين وهو امن من مكر الله ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين
ويرى انه من الراضين بقضاء الله عز وجل وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على
العز والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف لو
ويصف الرياء ويذكره ويرائي بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقايق الرياء ويصف الزهد في الدنيا
لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار ويخوف بالله وهو منه امن
ويذكر بالله وهو له ناس ويقرب الى الله وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة
وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو للخلق اشد حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله
تعالى لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على
يده لمات غما وحسدا ولو اثنى احد من المترددين اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه فهؤلاء اعظم الناس غرة
وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها و
فوايدها وهذا قد علم ذلك فلم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك فبماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه
نفسه وانما المخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم لو ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة
يمكن ان يدل على طريق على طريق الامتحان والتجربة وهو انه يدعي مثلا حب الله تعالى فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله
يدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الانس في
الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل ترى قلبه يمتلئ بالحلاوة اذا احدق به المريدون وتراه يستوحش اذا خلا
بالله تعالى هل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره والاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها
بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم الظنون فاذا كشف الغطاء
عنهم في الاخرة يفتضحون بل يطرحون في الاخرة في النار فتندلق اقتابهم فيدورون بها كما يدور الحمار بالرحى كما ورد
الخبر لانهم يامرون بالخير ولا ياتونه وينهون عن الشر وياتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء لانهم ليسوا يجدون من قلوبهم شيئا
من اصول هذه المعاني وهو حب الله تعالى والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في
المعاني فظنوا انهم ما قدروا على وصفه للنعماء رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها الا لاتصافهم بها وقد
علموا ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجرى اللسان والمعرفة للعلم وان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارقوا
احاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما كانا دائمة وقل خوفه وظهر لدى الخلق
وضعف في قلبه حب الله تعالى وانما مثاله المريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء
وغيره من الذي لا يقدر على وصف الصحة والشفاء وما سبب عوده وجالبه ولا هو بمفارقه في صفة المرض والاتصاف
به وانما يفارقه في الوصف والعلم بالطب وظنه عند علمه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف
والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقايقها ومن التبس عليه وصف الحقايق بالاتصاف بالحقايق

فهو

فهو مغرور فهذا حال الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار وفرقة
اخرى عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله على الندور في بعض اطراف
البلدان كان وليس انفسهم فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا
للاغراب شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال
والفراق وغرضهم ان يكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا
عن سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون
عن السبيل ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما
اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمركب فانه يشهد من قرنه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسد هذا
اكثر مما يصلحه بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا ولا يخفى وجه كونه مغرورا وفرقة اخرى قنعوا بحفظ كلام الزهاد و
في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر
وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه تميز بهذا القدر على السوقية والجندية اذ
حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فهذا افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن من عقاب الله من غير ان يحفظ
ظاهره وباطنه عن الاثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام الزهاد واهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور
من قبلهم وفرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منها وطلب الاسانيد الغريبة
العالية وهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان وقد لقيت فلانا ومعي من الاسانيد
ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر
وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بما فيها وقد يفهمون بعضها ايضا
فلا يعملون بها ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة معالجة القلب ويشتغلون بكثرة الاسناد فانه
طلب الاسانيد العالية ولا حاجة بهم الى شيء من ذلك ومنها وهو الذي اكب عليه اهل الزمان انهم لا يقومون بشرط
السماع فان السماع بمجرده وان لم يكن له فايدة ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات
بعد التفهم فالاول السماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع
ترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ نائم والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع
والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يحفظ وربما يشتغل بحديث او ينسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف
او حرف ما يقرأ عليه لم يشعر ولم يعرف وكل ذلك جهل وغرور واما الاصل في الحديث ان يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله
فيحفظه كما يسمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم سمعته من الصحابة او التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من يسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله
وهو ان تصغي فتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غيرت حرفا او اخطات علمت خطاه وللحفظ طريقان
احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما يجري على سمعك في مجاري الاحوال والثاني ان تكتب كما تسمع
وتصحح المكتوب وتحفظه كيلا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب بعدك في خزانتك فانه لو امتدت
اليه يد غيرك ربما غيره فاذا لم تحفظه لم تشعر بتغيره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته
تامن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفلة وفارقت المجلس ثم قلت

ثم رأيت نسخة لذلك جمع نسخ تستاق يكون ما فيها مغيرا او تتفاوت حواشي النسخة التي سمعتها لم يجز للسامع ان يقول سمعت هذا
الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة فاما اذا لم يكن معك حفظ تقابل به
لا نسخة صحيحة استوثقت عليها التقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم
وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب صريح واقل شرط
السماع ان يجري الجميع على سمعك مع نوع من الحفظ يشعر به بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم الذي
يحاذى ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه
ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي
الذي يلعب والغافل والمشغول بالنوم عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وهل السماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يؤدي كما سمع من لا يدري ما سمعه فهذا هو افحش انواع الغرور
وقد بلي به اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوا في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة
الا ان المحدثين ذلك نحوا هاهنا وقبولا ان المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقتهم فينقص جاههم ويقل ايضا
احاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما حكموا ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يقرع سمعه دمدمة
وان كان لا يدري ما يجري فيه وصحة السماع لا يعرفه من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم اصول الفقه وما ذكرناه مقطوع
به في قوانين اصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي افنائهم العمر
في جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الحق
فقد يكفيه الحديث الواحد عمره كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فاول حديث روي قوله صلى الله عليه وسلم من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا كان سماع الاكياس الذين يحذرون
الغرور وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه قد غفر لهم وانهم من علماء الامة
اذ قوام الدين والسنة بعلم اللغة والنحو فافنوا اعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة
ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها
وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيفما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الاديب
لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع عمره في معرفة لغة الترك والهند وانما فارقتها لاجل ورود الشريعة
بها فيكفي من اللغة علم الغريبين في الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالكتاب والسنة واما التعمق فيه الى درجات
لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله
مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعاني وانما الحروف ظروف
وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزيل ما به من الصفراء فضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه
السكنجبين فهو من الجهال المغرورين فكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب والقراءة والتدقيق في مخارج الحروف مهما
تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل
والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها
بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك
وهو القشر الاعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغرورون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل



فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فيجاوزها الى ما وراءها حتى يصل الى لباب العمل فيطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه
ويزجي عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها من الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم
الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب
كان في المنزل القريب او في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم
الكلام والحساب والصناعات وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها
علوم وكان الغرور فيها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في انها محمودة كما يشارك القشر
اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه بعينه هو المنتهى والباقي محمود للوصول به الى المقصد الاقصى فمن اتخذ
المنزل مقصودا وعرج اليه فقد اغتر به وفرقة اخرى عظم غرورهم في فن الفقه وظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله
يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق واساؤوا تاويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطأوا
فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم
فنشير الى امثلته فمن ذلك فتواهم بان المرأة مهما ابرأت الزوج من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل
الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو
ابراء من غير طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد
ما لا تطيب به النفس كالانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه فانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لا
عن ضرورة تقابله حتى اذا رددت بين ضرر وبين الابراء واختارت الابراء دفعا للضرر فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في
الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق
عليه ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابراء ولذلك
لا يحل مال الانسان ان يؤخذ الا بطيبة النفس منه ولو طلب من انسان مالا على ملأ من الناس فاستحيا من الناس
ان لا يعطيه وكان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس فسلم المال وقد دار
بينهما فلا يحل اخذ ما هو الالم يلحقه من اللوم فعلم التسليم فسلم فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط
حتى يصير الباعث على المال اهون من الالم وهذا السؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب
بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي
يحكم بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته
فهو حرام عليه وكذلك كل ما يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام اذ طيبة القلب لا تكون في الابراء والهبة وغيرهما الا اذا
خلى الانسان واختياره حتى ينبعث الداعي من ذات نفسه لا ان يضطر بواعث الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك
هبة الرجل مال الزكوة في آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكوة فالفقيه يقول سقطت الزكوة
فان اراد به ان مطالبة السلطان والساعي قد سقطت عنه فقد سقط فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال
وان ظن انه يسلم في القيمة ويكون كمن لم يملك المال او كمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله
بفقه الدين وسر الزكوة فان سر الزكوة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم
ثلاث مهلكات شح مطاع واتما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه
فان الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال ان استنبط الحيل حتى يسد على نفسه

طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله تعالى مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء
المغرورون لا يميزون بين الاملاك والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كلما لا يتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور
بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها في العبادة وسلوك طريق الله فكل ما تناوله العبد للاستعانة على الدين والعبادة فهو
حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في امثال هذا لملانا فيه مجلدات والغرض التنبيه
على امثلة تعرف الاجناس لا الاستقصاء فان ذلك يطول. الصنف الثاني ارباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة
منهم من غروره في الصلاة ومنهم من في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك
كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا من غرور الا الاكياس وقليل ما هم. فمنهم فرقة اهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل
والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي يغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه
حتى لا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا آل الامر الى اكل الحلال
قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة
ثم من هؤلاء من يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها
فهو ايضا مغرور لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر
الذي هو اعز الاشياء فيما له مندوحة عنه الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطرق شتى ولا يقدر على صد العباد الا بما
يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك. وفرقة غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد
نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته
وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلاة ثم يغفلون في
جميع الصلاة ولا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح النية في اول الصلاة تميزوا عن العامة
بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم. وفرقة اخرى يغلب عليها الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها
فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا
عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن
من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وامر ان يؤديها
على وجهها فاخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد اخرى وهو في ذلك غافل
عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما احراه بان تقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل
وفرقة اخرى اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة ولسان احدهم يجري به وقلبه يتردد
في اودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر
بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال
القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف عنايته
الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما امره به مولاه الا انه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم
مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه
يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويتلذذ به ويغتر باستلذاذه
ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هي لذته في صوته ولو ردد الحانه بشعر او كلام اخر لالتذ به ذلك

في جميع صلاته ح

هذا تشبيه حسن



الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرف ان لذته بكلام الله من حيث نظمه ومعانيه او بصوته. وفرقة منهم
اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر وصاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون السنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن
الرياء وبطونهم عن الحرام عند الافطار والسنتهم عن الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه
الخير فيهمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور. وفرقة اخرى اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير
خروج من المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام
ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم
ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وانفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب
به السمعة والرياء فيعصي الله في كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه في حقه
ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره قبل حضوره البيت به وهو مع ذلك يظن
انه على خير من ربه وهو مغرور. وفرقة اخرى اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم
بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة واذا باشر هو بنفسه منكرا ورد عليه غضب
وقال انا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تأخر عنه اغلظ القول عليه وانما غرضه الرياء
والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله ولو جاء غيره واذن في وقت
غيبته قامت عليه القيامة وقال لم اخذ حقي وزاحمني على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن انه على خير وانما
غرضه ان يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره ولو كان اتقى منه واعلم ثقل عليه. وفرقة اخرى جاوروا بمكة والمدينة
واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قول من يعرفهم
ان فلانا مجاور بمكة تراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا وكذا سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك التصريح
واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم انه قد يجاور ويمد عين طمعه الى اوساخ اموال الناس واذا جمع من ذلك شيئا شح عليه
وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان يتقيها
لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال انه من المجاورين الزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو ايضا
مغرور وما من عمل من الاعمال ولا عبادة من العبادات الا وفيها افات فمن لم يعرف مداخل افاتها واعتمد عليها
فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتاب احياء العلوم فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج
والزكاة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الان الاشارة الى مجامع ما سبق في الكتب. وفرقة اخرى
زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك
راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان
الجاه اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا
وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذاتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد وان يكون منافقا حسودا او متكبرا
او مرائيا او متصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول
بذلك على الاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف
بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه
في الظاهر ورده في الباطن لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ ابواب الدنيا ويرى

نفسه انه زاهد في الدنيا فهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى
المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفرقة من العباد
من يشدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم القران فيه وهو في جميع ذلك لا يخطر
له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن
بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك فربما توهم انه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ باحوال القلب وان توهم فيظن
ان العبادات الظاهرة يترجح بها كفة حسناته وهيهات وذرة من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال
الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه بالرياء وحب الثناء
فاذا قيل له انت من اوتاد الارض واولياء الله واحبائه فرح به وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية
الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه وفرقة اخرى حرصت على النوافل
ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى احدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وسائر الرواتب ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه
على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه واله فيما يرويه عن ربه عز وجل ما تقرب الي المتقربون بمثل اداء
ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخر
لا يفوت او نفلان احدهما يضيق وقته والاخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه فهو مغرور ونظائر ذلك اكثر
من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على
النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان
على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب ان يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم فقيل له من ابر قال امك ثم قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال
اباك قال ثم من قال ادناك فادناك فينبغي ان يبدأ في الصلة بالاقرب فالاقرب فان استويا فبالاحوج فان استويا
فبالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج فهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا
من تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت بالاشتغال بالوفاء
بالوعد فالاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو في نفسه طاعة وكذلك تصيبه النجاسة فيغلظ القول على
ابويه واهله بسببه فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور والحذر من الايذاء اهم من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات
والطاعات لا تحصى ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه
لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف في الفقه
حتى من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه
ما يحتاج اليه غيره في حوائجهم فمعرفة ما يحتاج اليه غيره في حق غيره اولى به الا ان حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة والقهر للاقران
والتقدم عليهم يعمي عليهم حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بمهم دينه الصنف الثالث المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم
والمغترون منهم فرق ففرقة منهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين
من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي الفاظهم وادابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة
والجلوس على السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير
ذلك من الشمائل والهيئات اقول واي فضل وكرامة للصادقين من الصوفية حتى يكون للمتشبهين بهم فضل وغرورهم ان

من اهل

من اهل البدع من السماع والرقص والجهر بالقول في الدعاء وغير ذلك قال فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها
ظنوا انهم ايضا صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الظاهر والباطن من الاثام
الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو فرغوا من جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم من الصوفية كيف
ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا انفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف
والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم
ظاهر ومثالهم مثال امراة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين تثبت اسماؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد
منهم قطر من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال
ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيفية تحريكهم الايدي وتلقفت
جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر
انفذت الى ديوان العرض وامر بان تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته ويمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف
عناؤها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز ضعيفة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها اجئت للاستهزاء
بالملك واستهزاء باهل حضرته للتلبيس عليه خذوها فالقوها قدام الفيل ليخبطها فالقيت الى الفيل وهكذا يكون
حال المدعين للتصوف يوم القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل
الى سر القلب وفرقة اخرى زادت على هؤلاء في الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون فارادت
ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزيي بزيهم فتركت الخز والابريسم وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة
والسجادات المصبغة ولبست من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم وظن احدهم مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب
وكونه مرقعا ونسي انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقع اذ كانت
ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوطة الرقيقة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها
فمن اين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون
رغد العيش ويأكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم
الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في اهل التصوف كافة
اذ يظن ان جميعهم كانوا من جنسهم فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين بهم وفرقة اخرى
ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات المحمودة والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب
ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ لانه تلقف من الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن
ان ذلك اعلى من علم الاولين والاخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء
فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم
تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء
فيقول في العباد انهم اجراء متعبون ويقول في العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق
وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب
خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة اخرى منهم وقعت في الاباحة وطووا
بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي

بعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وإنما يغتر به
من لم يجرب وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال ولم يعلم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من
أصلهما بل كلفوا تأديبهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها
وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة إلى حب الله وواصلة إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا
عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا
عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله تعالى لقوتهم فيها ويرفعون درجتهم عن درجة الأنبياء
إذ كان يصدهم عن طريق الله تعالى خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل
الإباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة
قبل إحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء وإحصاء أصنافهم يطول وفرقة أخرى
جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الأعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل
والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب
لله تعالى ويزعم أنه واله بالله ولعله قد تخيل في الله تعالى خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يخلو
عن مقارفة ما يكره الله وعن إيثار هوى نفسه على أمر الله تعالى وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا لما تركها
حياء من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد
ليصحح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم ينقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فما فهموا
التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد ويتوكلون على الله لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد
وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به وما من مقام من مقامات المنجيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا
مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب وفرقة أخرى ضيقت على أنفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص و
أهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومكسبه وأخذ
يتعمق في غير ذلك ولم يدر المسكين أن الله لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال بل
لا يرضيه إلا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفيه وينجيه فهو مغرور وفرقة أخرى ادعوا
حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرئاسة و
جمع المال وإنما غرضهم التكبر وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون أن غرضهم
الإرفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون
عليهم ليكثر أتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق
في طريق الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والإنفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله
عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والإنفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لإرادة الخير كمن يعمر مسجد
الله فيطينه بالعذرة ويزعم أن قصده العمارة وفرقة أخرى منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس
من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم في جميع أحوالهم مشغولون
بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات
إلى كونه عيبا عيب ويشغفون بكلمات مسلسلة تضيع الأوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم

علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه وفرقة أخرى جاوزوا هذه
الرتبة وابتدأوا سلوك الطريق وانفتحت لهم أبواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادئ المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها
وأعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات إليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم
وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم عن الوصول إلى
المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها
فوقف ينظر إليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك وفرقة أخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا إلى ما يفيض
عليهم من الأنوار في الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات إليها جادين
في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فوقفوا وغلطوا فإن لله تعالى سبعين
حجابا من نور ولا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل وإليه الإشارة بقول
إبراهيم صلوات الله عليه إذ قال الله تعالى إخبارا عنه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به هذه
الأجسام المضيئة فإنه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدة والجهال يعلمون أن الكوكب
ليس بإله فمثل إبراهيم لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل و
وهي على طريق السالك ولا يتصور الوصول إلى الله إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها أعظم من
بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت
السموات حيث قال الله عز وجل وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه في أول ما يلقاه
أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترقى إليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب
الأقرب الذي لا وصول إلا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوي في حضيض النقص والانحطاط
عن ذروة الكمال قال لا أحب الآفلين إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين
وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الأول وأول الحجب بين الله وبين العبد
هو نفسه فإنه أيضا أمر رباني وهو نور من أنوار الله أعني سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليتسع
لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره إشراقا عظيما إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو
عليه وهو في أول الأمر محجوب بمشكاة وهي كالساتر له فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله تعالى
عليه ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا
الحق فإن لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل
بعد إلى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس إذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في
المرآة فيظن أنه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل • رق الزجاج ورقت الخمر • فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح • وكأنما قدح ولا خمر • وبهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فرأوا إشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا
فيه كمن يرى كوكبا في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيمد اليد إليه ليأخذه وهو مغرور وأنواع الغرور
في طريق السلوك إلى الله لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره
ولعل القدر الذي ذكرناه أيضا كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه
لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهمه ولكن في ذكره فائدة وهو إخراجه من الغرور الذي هو فيه

أو ربما يصدق بأن الأمر عظيم كما يظنه ومما يحكيه بذهنه المختصر ويحيله القاصر ويعده المزخرف ويصدق بما ينقل من
المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله تعالى ومن عظم غروره ربما أصر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل
والله أعلم. الصنف الرابع أرباب الأموال والمغترون منهم فرق كثيرة ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات
والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون أساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا
المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات
المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في إنفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فإذا
عصوا الله تعالى بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله تعالى وردها إلى ملاكها إما بأعيانها أو برد بدلها عند
العجز فإن عجزوا عن الملاك فكان الواجب ردها إلى الورثة فإن لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أهم المصالح وربما
يكون الأهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن لا يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالآجر وغرضهم
من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم بها لا لبقاء الخير والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم
الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أنفق عليه
لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله تعالى مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلى
ذلك وفرقة أخرى ربما اكتسبت الأموال من الحلال وأنفقت على المساجد وهي أيضا مغرورة من وجهين أحدهما الرياء وطلب
الثناء فإنه ربما يكون في جواره أو في بلده فقير وصرف المال إليه أهم من الصرف إلى المساجد وزينتها وإنما يخف عليهم الصرف إلى
المساجد ليظهر ذلك بين الناس والثاني أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة
قلوب المصلين ومختطفة لأعينهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين و
يحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى أنه من الخيرات ويعتد ذلك وسيلة إلى الله تعالى
وهو بذلك قد تعرض لسخط الله وهو يظن أنه مطيع له وممتثل لأمره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما
شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع
ولحضور القلب مع الله تعالى قيل دخل رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند
الله صديقا فهكذا ينبغي أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام
أو بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح صلوات الله عليه انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمتي أمتي حقا
أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة
التي تعجبكم شيئا وإن أحب الأشياء إلى الله القلوب الصالحة بها يعمر الله الأرض وبها يخرب إذا كانت على غير ذلك وقال
أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن إن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد أن يبني مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال ابنه سبعة أذرع في السماء
طولا لا تزخرفه ولا تنقشه فغروره هذا من حيث إنه رأى المنكر معروفا واتكل عليه وفرقة أخرى ينفقون الأموال في الصدقات
على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والإفشاء للمعروف ويكرهون التصدق
في السر ويرون إخفاء الفقير لما أخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على إنفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد أخرى
وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق
ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي بأحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره مأسور إلى جنبه لا يواسيه وحكى أبو نصر

التمار

أن رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له كم أعددت للنفقة فقال ألفي درهم قال بشر فأي شيء
تبتغي بحجك تنزها أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فإن أصبت مرضاة الله تعالى
وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله أتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس مدين
يقضي دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وإن قوي قلبك أن تعطيها واحدا فافعل فإن إدخالك
السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام قم فأخرجها
كما أمرناك وإلا فقل لنا ما في قلبك فقال يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر وأقبل عليه فقال المال إذا جمع
من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله تعالى على نفسه أن لا
يقبل إلا عمل المتقين وفرقة أخرى من أرباب الأموال يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات
البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى
على بواطنهم فهم محتاجون إلى قمعه بإخراج المال فقد اشتغلوا بطلب فضائل هم مستغنون عنها ومثاله مثل من دخل
في ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السكنجبين
وفرقة أخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إنهم يخرجون من المال الخبيث الرديء الذي يرغبون
عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستسخار في خدمة
أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك إلى من يعينه واحد من الأكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة
فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله وهو فاجر إذ طلب
بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وأمثاله من غرور أرباب الأموال أيضا لا يحصى وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه
على أجناس الغرور وفرقة أخرى من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا
أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ
أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فإن لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة
لأنها تبعث على العمل فإن ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره إذا قصر عن الأداء إلى الغير فلا قيمة له وربما
يغتر أحدهم بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجالس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكي ولا عزم وربما يسمع
كلاما مخوفا فلا يزيد على أن يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم أو نعوذ بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو
مغرور وإنما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري والجائع الذي يحضر عند من يصف له الأطعمة
اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغني عنه من جوعه شيئا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها
لا يغني من الله شيئا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير أفعالك حتى تقبل على الله تعالى وتعرض عن الدنيا إقبالا
قويا أو ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا فصل فإن قلت فما ذكرته من
مداخل الغرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب اليأس إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من
خفايا هذه الآفات فأقول الإنسان إذا فترت همته في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر فيه واستوعر الطريق وإذا
صح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى الغرض حتى إن الإنسان إذا أراد
أن يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده عنه استنزله وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه وإذا أراد
أن يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال استخرجه وإذا أراد أن يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها

فاراد ان يسخر السباع والفيل وعظيم الحيوانات فاستسخرها واراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث بها فاخذها
واستخرج الترياق منها واراد ان يستخرج الديباج الملون المنقوش من دود القز فاستخرج واراد ان يعرف مقادير الكواكب
وطولها وعرضها فاستخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الالات
فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيا الشبكة لاصطياد السمك الى غير ذلك
من دقايق حيل الادمي كل ذلك لان همه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو اهمه امر اخرته فليس الا شغل واحد
وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويمه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال ولو اصبح وهمه
هذا الهم الواحد لما استحال عليه بل هو كما يقال لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شي لم يعجز عنه السلف الصالح
ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا
ونظم اسبابها فان قلت قد قربت الامر فيه بعد ان اكثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم انه
ينجو منه بثلثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلثة امور لابد منها اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور
الاصلي الذي به يدرك الانسان حقايق الاشيا فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر
على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لابد منه في اصل الفطرة وهذا ان لم يفطر عليه الانسان
فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما
وصلوتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن
ابي الدرداء انه قال يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المرضى
ويشيع الجنايز ويعين الضعيف ما علم من اجره عند الله تعالى يوم القيمة فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انما يجزى
على قدر عقله وقد اثني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقالوا له خيرا فقال صلى الله عليه واله كيف عقله
فقالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله ومن خلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر
وانما يقرب الناس على قدر عقولهم وقال ابو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا بلغه عن رجل شدة عبادة
سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ ذلك وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف
عقله فقالوا ليس بشي فقال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون اقول وقد اسلفنا اخبارا من طريق اهل البيت عليهم السلام في ذلك
في كتاب العقل من ربع العادات قال والذكا وشدة غريزة العقل نعمة من الله تعالى في اصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحمق
فلا تدارك لها الثاني المعرفة واعني بها ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الاخرة فيعرف
نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وهي مضرة له وانما الموافق له
طبعا هو معرفة الله والنظر الى وجهه فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه وليستعن
على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة ومن كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر فان فيها اشارات الى وصف النفس
والى وصف جلال الله تعالى ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا
الكتاب الا في علوم المعاملة واما معرفة الدنيا والاخرة فيستعين عليه بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت
ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى الاخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والاخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله
وبمعرفة الاخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم اموره ما يوصله الى الله تعالى وينفعه في الاخرة



واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده
منه الاستعانة على سلوك طريق الاخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشاوه تجاذب الاغراض والنزوع
الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا احب اليه من الاخرة وهوى نفسه احب
اليه من رضاء الله فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة
عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه
من الله تعالى وما يبعده عنه والعلم بافات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه كتب احياء علوم الدين
فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وافاتها فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه
فياخذه باداب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله
فان المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات
المحمودة التي لا بد ان يوضع خلفا من المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر من الانواع التي اشرنا
اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى يقوى به الارادة وتصح فيه
النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فاقول يخاف عليه
ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله عز وجل فان المريد المخلص
اذا فرغ من تهذيب الاخلاق ومراقبة القلب حتى صفاه من جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا
في عينه وتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته
والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ ياتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فياتيه من جهة
الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة عليهم وعلى دينهم والنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد برحمته
الى العبيد فيراهم حيارى في امرهم سكارى في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وقد فقدوا الطبيب واشرفوا على
العطب فيغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو
يقدر على ذكرها من غير تعب ومونة ولزوم غرامة فكان مثاله كرجل به داء عظيم لا يطاق المه وقد كان لذلك يسهر ليله
ويقلق نهاره لا ياكل ولا ينام ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا
كلفة ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدا بالنهار بعد شدة القلق وطاب
عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة
وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل
ما يكون واسرع زمان يقدر فاخذته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد
المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم
وبعد شفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك
رجاء ان يجد مجال الفتنة فلما اشتغل به وجد الشيطان مجال الفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء اخفى من دبيب
النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات
والتصنع في الزي والهيئات فاقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ راوه شافيا
لادوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من ابائهم وامهاتهم واقاربهم فاثروه بابدانهم واموالهم وصاروا له

لدخولها كالخدم والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس
وذاقت لذة يا لها من لذة وأصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة وكان قد ترك الدنيا فوقع في أعظم آفاتها
فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت إلى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمارة انكسار
الطبع وسكون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدي الخلق غضب فإذا أنكر على نفسه ما وجد من الغضب
بادر الشيطان فخيل إليه أن ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع
الغرور في تمام الحجب ذلك الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع في الكبر
الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك إذا سبقه الضحك أو خرج منه بعض
الأوراد كره أن يطلعوا عليه فيسقط قبوله أتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الأعمال والأوراد
من أجلهم والشيطان يخيل إليه أنما تفعل ذلك كيلا يفتروا عن طريق الله فيتركون الطريق بتركها وإنما ذلك
خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تأبى نفسه من اطلاعهم على مثل ذلك من أقرانه بل ربما
يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثره في القبول على كلامه شق ذلك عليه
ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك إذ مثاله من رأى جماعة من إخوانه قد وقعوا في بئر
وتغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي من البئر بسببه فرق قلبه لإخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر
فشق عليه فجاء من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك فنحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لا محالة إذ غرضه
خلاص إخوانه من البئر فإن كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فإذا ظهر من أعانه أو كفاه فرح به ولم يثقل عليه
أرأيت لو اهتدوا جميعهم بأنفسهم ألا كان ينبغي أن يثقل عليه ذلك إن كان غرضه هدايتهم فإذا اهتدوا بغيره لم يثقل عليه
ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى
ومن أعوج خبايا النفس بعد الاستواء فإن قلت فمتى يصح له أن يشتغل بنصح الناس فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم لله تعالى
وكان يود لو وجد من يعينه أو لو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه من ثنائهم ومن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم
فلم يبال بذمهم إذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم أما إلى
السادات فمن حيث أنه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فإنه
لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية إنما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر
الماشية إليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال
بإصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه بإصلاحهم فيكون كالشمع الذي يضيء لغيره ويحترق في نفسه فإن قلت فلو ترك
الوعظ إلا من سلم من هذه الآفات لتعطلت الدنيا من الواعظ وخربت القلوب فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حب
الدنيا رأس كل خطيئة ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى
الله عليه وآله وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكره كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين إلا الأقلين الذين
لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن تترك بقية الشهوات
التي سلطت على الناس فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة بحب الرياسة ولا يتركونها لقلة من يعمل لله فالوعظ على الخلق
حرام كما لا ينفع الخلق الترهيب في الزنا والسرقة والظلم وسائر المعاصي بقول الله وبقول رسوله إن في السماء فانظر إلى الغفلة
كيف نزع القلب عن حديث النفس فإن الله يصلح خلقا كثيرا بإفساد شخص واحد وإنما ذلك ولولا دفع الناس بعضهم ببعض





لفسدت الأرض وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم في الآخرة فإنما يخشى أن يفسد باطنه
الإنقاذ فأما أن تخرس ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا فإن قلت فإن علم
المريد بهذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح أو نصح وراعى الصدق والإخلاص فيه فما الذي يخاف
عليه وما الذي بقي بين يديه من الأخطار وحبائل الاغترار فاعلم أنه بقي عليه أعظمها وهو أن الشيطان يقول
له قد أعجزتني وفلت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت عليك فما
أصبرك وما أعظم عند الله قدرك ومحلك إذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي إليه ويصدقه
ويعجب بنفسه في فراره من الغرور فيكون إعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الأكبر فالعجب أعظم من كل ذنب فلذلك
قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظننت أنك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي فإن قلت فلو لم يعجب بنفسه
إذ علم أن ذلك من الله تعالى لا منه وأن مثله لا يقوى على دفع الشيطان عنه إلا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف
ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله فما الذي
يخاف عليه بعد نفي العجب فأقول يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه
الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف
من مكره ومن أمن مكر الله فهو خاسر جدا بل سبيله أن يكون مشاهدا لجملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن
يكون قد حجب عنه صفة من صفات قلبه من حب الدنيا ورياء الخلق والثناء المعجب وهو غافل عنه ويكون خائفا أن يسلب
حاله كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه إلا بعد
مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال له أفلت مني
يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون
كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فإذن المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك
لا يفارق الخوف والحذر من قلوب الأولياء أبدا فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فإن الأمور بخواتيمها **أقول** ولنختم الكتاب
بكلام الصادق عليه السلام على ما روي منه في كتاب مصباح الشريعة قال عليه الصلاة والسلام المغرور في الدنيا
وفي الآخرة مغبون لأنه باع الأفضل بالأدنى ولا تعجب من نفسك حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك أن لعلك
تبقى وربما اغتررت بطول عمرك وأولادك وأصحابك لعلك تنجو بهم وربما اغتررت بجمالك ومنيتك وإصابتك
مأمولك وهواك وظننت أنك صادق ومصيب وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرك في العبادة
ولعل الله تعالى يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما أقمت نفسك على العبادة متكلفا والله يريد الإخلاص وربما
افتخرت بعلمك وكسبك وأنت غافل عن مضمرات ما في علم الله وربما توهمت أنك تدعو الله وأنت تدعو سواه
وربما حسبت أنك ناصح للخلق وأنت تريدهم لنفسك أن يميلوا إليك وربما ذممت نفسك وأنت تمدحها على الحقيقة
واعلم أنك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني إلا بصدق الإنابة إلى الله والإخبات له ومعرفة عيوب أحوالك من حيث
لا توافق العقل والعلم ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة وأئمة الهدى وإن كنت راضيا بما أنت فيه فما
أشقى بعلمك منك وأضيع عمرا فأورثت الحسرة يوم القيامة ٥ هذا آخر الكلام في كتاب ذم الغرور وبتمامه تم ربع المهلكات
من المحجة البيضاء في إحياء الإحياء ويتلوه إن شاء الله في ربع المنجيات كتاب التوبة والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا
وباطنا حرر في سنة ١٢٧